المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

كلية التربية

قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية

إعداد الطالب

يحيى بن حسن بن أحمد الجعفري

إشراف الدكتور

د/ السعيد محمود السعيد عثمان

الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأصول الإسلامية للتربية

العام الجامعي

١٤٢٠-١٤٢١هـ

دار الأندلس الخضراء

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

التنسيق والإخراج الفني
عبدالله بازي ٠٥٠٣٦٢٦٤٩٥

دار الأندلس الخضراء

المملكة العربية السعودية - جدة

الإدارة: ص.ب : ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف : ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس : ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات : ❖ حي السلامة - خلف مسجد الشعيبي هاتف - فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩

❖ حي الثغر - شارع باخشب - هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

❖ مكتب الرياض : هاتف / فاكس : ٢٤٣٤٩٣٠

الموقع: www.alandalos.com - البريد الإلكتروني : alandalos١@gawab.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

يسعدني وقد منَّ الله تعالى علي بإتمام هذا البحث أن اهديه إلى الوالدين الغاليين أمد الله في عمرهما، عرفاناً بفضلهما بعد الله تعالى في شحذ همتي والدعاء المستمر لي بالتوفيق والسداد.

وإلى أسرتي العزيزة التي طالما حرمها البحث الكثير من فرص الترفيه والمتابعة ،والاهتمام بشئونهم الصغيرة والكبيرة عسى أن يكون في ذلك عزاء لهم وتقدير لصبرهم.

وإلى الأخ المفضال الأستاذ: أحمد بن حسن بن أحمد الجعفري على ما بذله من جهد ووقت في سبيل إتمام هذا البحث.

الباحث

قائمة المحتويات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الصفحة	الموضـــوع

الصفحة	الموضـــوع
٢٥٣	ثالثاً: النشاط المدرسي .
٢٥٤	أ- مفهوم النشاط .
٢٥٥	ب- أهمية النشاط .
٢٥٨	ج- أهداف النشاط .
٢٥٩	د- دور الأنشطة المدرسية في تكوين الانفتاح العقلي لدى المتعلم
٢٥٩	١- التسامح .
٢٥٩	٢- تبادل الأفكار .
٢٦٠	٣- تعويد المتعلم على حب العمل الجماعي .
٢٦١	٤- إبعاد المتعلم عن العزلة الاجتماعية .
٢٦١	٥- تنمية جانب الإبداع والابتكار.
٢٦٣	خاتمة البحث.
٢٦٣	أولاً: النتائج .
٢٦٧	ثانياً: التوصيات .
٢٦٩	قائمة المراجع .

الفصل التمهيدي

- مقدمة.
- موضوع الدراسة .
- أهمية الدراسة.
- أهداف الدراسة .
- تساؤلات الدراسة.
- مصطلحات الدراسة .
- منهج الدراسة .
- الدراسات السابقة.

المقــدمــة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلـم ، والـصلاة والـسلام على معلم البشرية ، وخير البرية سيدنا ونبينا محمد بـن عبـد الله خـاتم الأنبيـاء والمرسلين ، وقدوة المربين وعلى آله وصحابته أجمعين ومن سار على نهجه واستمسك بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

أما بعد :

فلقد شرف الله تعالى الإنسان وكرمه وميزه على باقي المخلوقات ، فكـان مـن أعظم ما شرفه ، وكرمه به العقل. قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء٧٠].

ويقول «القرطبي ،١٤١٣هـ» : "والـصحيح الـذي يعـوّل عليـه في قولـه تعـالى: +**وَفَضَّلْنَاهُمْ**" أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبـه يعـرف الله ، ويفهم كلامه ، ويوصل إلى نعيمه ، وتصديق رسله[1].

ويقـول«ابـن تيميـة ، ١٣٩٨هـ» : "والعقـل شـرط في معرفـة العلـوم ، وكمـال وصلاح الأعمال ، وبه يكمُلُ العلم والعمل لكنه ليس مستقلاً بذلك ؛ لكنه غريزة في النفس وقوَّة فيهـا بمنزلـة قـوة البـصر الـتي في العـين ؛ فـإن أتـصل بـه نـور الإيمـان والقرآن ، كان كنـور العـين إذا أتـصل بـه نـور الـشمس والنـار. وإذا أنفـرد بنفسه لم

(١) ج٥ ، ص١٩٠

قال «آل الشيخ، ١٤١٢هـ» :" وفيه قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان[١]. وبعد ذلك سلك الصحابة رضي الله عنهم هدي النبيﷺ في ذلك فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف على منبر المسجد بعد أن فرغ من صلاة الظهر، ويقول: أيها الناس، ما إكثاركم في صدقات النساء؟.

لقد كان رسولﷺ وأصحابه يقللون، وإنما الصدقات ما بين أربعمائة درهم فما دون ذلك لو كان الإكثار في ذلك تقوى أو مكرمة لم تسبقوهم إليها، فلا يزيدنّ رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم قال: فنزل فاعترضته امرأة، فقالت: يا أمير المؤمنين أو ما سمعت الله تعالى يقول: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [النساء ٢٠]. قال عمر: اللهم غفراً. كل الناس أفقه من عمر ! أخطأ أمير المؤمنين وأصابت امرأة إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت نفسه فليفعل[٢].

وفي هذا الموقف يظهر عدم تعصب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرأيه ولا لنفسه أمام امرأة من عامة الناس حيث إنه اعترف بخطئه وصوب قول المرأة أمام الناس وعلى مرأى ومسمع منهم. أضف إلى ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا منغلقين على ما عندهم من علم فنظروا إلى ما عند الآخرين، وانفتحوا على الثقافات الأخرى. فهذا بن عباس رضي الله عنه وغيره من الصحابة، كما يقول «الذهبي، ١٤١٦هـ» :"كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، ولكن لم يكن سؤالهم عن شيء يمس العقيدة، أو يتصل بأصول الدين أوفروعه وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية، ولم يكونوا يَقْبلون كل ما

(١) ص ٤٠٧.
(٢) ابن كثير، ١٤١١هـ، ج١، ص٤٦٧.

يُروى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه شك بل كانوا يحكّمون دينهم وعقلهم فما اتفق مع الدين والعقل صدّقوه وماخالف ذلك نبذوه[١].

وهذه الدراسة تعتبر محاولة علمية متواضعة في هذا الجانب. سائلاً

الله العلي القدير التوفيق والرشاد، ومجانبة الهوى ومخالفة السداد، موقناً بوعده الصادق في قوله تعالى: ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [فاطر٢]. فما شاء الله كان و مالم يشألم يكن.

موضوع الدراسة:

لقد حث ديننا الإسلامي على العلم ورغب فيه ونوه بمكانة أهله وأعلى من قدرهم، وبيّن فضل العلم وأثره في الدنيا والآخرة، وحض على التعلم والتعليم ووضع لذلك كله قواعد وأحكاماً ضابطة، وأكد على ضرورة تفتح المسلم لاستيعاب متغيرات العصر فهذا المصطفىﷺ يقف موقفاً يدل على تفتحه العقلي ويدعو إلى ذلك حيث نزل عند رأي أهل الخبرة والمعرفة، ففي غزوة الأحزاب أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه على رسول اللهﷺ بحفر الخندق حول المدينة فقبل النبيﷺ مشورته وبادر بتنفيذها، ولهذا لما أقبل فرسان المشركين تسرع بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها[٢].

ويقول «القرضاوي، د.ت» :"ولا عجب أن يقتبس المسلمون من أساليب الفرس أو الروم أو غيرهم مما يمتنعون به من عدوهم، وما يمكنهم من النصر عليه، وكل ما يعود عليهم بالخير في حياتهم، فالوسائل لا حكم لها في ذاتها، وإنما لها حكم مقاصدها[٣].

---

(١) ج١، ص٧٨.
(٢) ابن كثير، ١٤١٤هـ، ج٤، ص٩٤ - ص١٠٧ .
(٣) ص٥١.

ويقول «أبو العينين، ١٤٠٧ هـ»: "والمسلم اليوم في أمس الحاجة إلى هذه الروح في عصر مليء بالاختراعات والابتكارات، فضلاً عن أنه لا بد أن يسهم فيها وفي حركتها[١].

ومن صور الانفتاح العقلي عند المصطفى ﷺ التي تؤكد على جواز الاستفادة من المخالفين ما جاء في حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة[٢] ... الحديث» فلم ير ﷺ حرجاً في أن يتعلم أبناء المسلمين على أيدي المشركين وذلك حرصاً منه ﷺ على تعليم أبناء المسلمين ودفع الجهل عنهم وتنوير عقولهم بالقراءة والكتابة، وفي ذلك كله دفع للمجتمع الإسلامي في المدينة إلى الترقي في معارج الحضارة.

ومن مواقفه ﷺ التي تدل على بعده عن التعصب وعلى تفتحه العقلي تنظيم علاقاته بغير المسلمين" وكان همه في ذلك هو توفير الأمن والسلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء، مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد فسنّ في ذلك قوانين التسامح والتجاوز التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصب، وكان أول بنود تلك المعاهدة: إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم كذلك لغير بني عوف من اليهود[٣] وفي هذا الموقف يظهر عدم تعصب المصطفى ﷺ وجواز الاستفادة من المخالفين شريطة عدم الانسلاخ من الدين «وللمسلمين دينهم».

وسيرة الرسول ﷺ تضع المعْلم البارز في حدود التفاعل مع الحضارات الأخرى، وما يمكن اقتباسه والاستفادة منه ومالا يمكن اقتباسه. فعن جابر بن عبد

---

(١) ص٦٠.

(٢) ابن حنبل، مسند بني هاشم عبد الله بن عباس، ج٤، ص٤٧.

(٣) المباركفوري، ١٤٠٠هـ، ص٢١٣

الله رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبيﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فرآه النبي ﷺ فغضب فقال: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، ولا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**»[1] وإنما غضب النبي ﷺ وتغير وجهه واشتد إنكاره ؛ لأن الأمر هنا أمر«دين» لا يؤخذ إلا من الصادق المصدوق، أما علوم الحياة وفنونها وما يهتدي إليه الناس بعقولهم وتجاربهم فهو ملك عامّة البشر، نأخذه من أي وعاء خرج ونلتمسه من الشرق أو الغرب، ونقتبسه من المسلم والمشرك[2]، دون مساس بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

ويقول «الكيلاني، ١٤٠٧هـ»: والانفتاح على خبرات الجماعات الأخرى يرتبط مع عقيدة الإسلام نفسها فمراجعة هذه الخبرات يساعد على أمرين:

الأول: التعرف على مكامن الخير وأصوله في كل جماعة لتنميتها والاستفادة منها في الحوار الدائم مع الإنسانية.

الثاني: التعرف على عوامل الانحراف والمرض في كل جماعة لتشخيصه وتحديد وسائل علاجه وكل ذلك يساعد على تحقيق الأهداف البعيدة التي يعمل الإسلام من أجلها[3].

ولذلك فإن الفهم الصحيح للانفتاح المنضبط تجاه خبرات الآخرين أمر ضروري لتبادل الخبرات ؛ لأن هذا الفهم"هو الذي يمكّن من الانتقاء والاستفادة العلمية والفنية الصحيحة دون مساس بالقيم والعقائد والمبادئ والهوية[4].

---

(١) ابن حنبل، مسند المكثرين جابر بن عبد الله، ج١، ص٣٨٧.

(٢) القرضاوي، د.ت، ص ٥٣.

(٣) ص٦٣.

(٤) أبو سليمان، ١٤١٤هـ، ص ١٦٩.

وفي بيان أهمية ذلك يقول"«العزب، ١٤٠٦هـ»: "على المتعلم أن يعي ثقافة عصره ليدير حواره مع مفردات هذا العصر مطالباً كذلك بأن يعي ثقافة كل العصور، انطلاقاً من قضية مسلمة هي: أن الثقافة شجرة جذورها غائصة في تربة الزمن، وفروعها ضاربة في آفاق كل العصور"[1] وانطلاقاً من ذلك كان موضوع هذه الدراسة «الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية» ذلك الانفتاح الواعي النافع المفيد، وليس الانبهار الفكري وما يحمله من سمات التسيب والخمول والتقليد الأعمى والتي تعتبر محاولة لإبراز منهج الإسلام في التفكير السليم، ونبذ التعصب واتباع الهوى، وقبول الحق من المخالفين ولا سيما في مجال التربية والتعليم - فنحن في أمس الحاجة إلى تكوين عقلية واعية متفتحة- وفي غيرها من المجالات حتى نستطيع من خلالها أن نميز بين الخير والشر وبين الغث والسمين. عقلية تستطيع الاستفادة من غيرها فتأخذ ما كان فيه نفع لها ولأهلها دون مساس بعقيدتها وتعاليم دينها وتنبذ ما عدا ذلك لاسيما إذا كان فيه دعوة للانسلاخ من الدين فالأمّة المسلمة أمة وسط لا إفراط فيها ولا تفريط.

أهميَّة الدراسة:

تتضح أهميَّة هذه الدراسة في النقاط التالية:

١- أنها تبرز قدرة التربية الإسلامية على الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى دون انتهاك للأسس والمعطيات المتميزة التي تقوم عليها التربية الإسلامية.

٢- أنها دعوة إلى التفكير السليم والاعتماد على الدليل، والبرهان، ونبذ التعصب، والجمود، والتبعية المذمومة، وهذا ما يدعو إليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المصدران الأساسيان للتربية الإسلامية.

٣- أنها حلقة من حلقات عملية التأصيل الإسلامي حيث يتم تناول هذا المصطلح«الانفتاح العقلي» وتأصيله في الكتاب والسنة.

---

(١) ص١٨١.

٤- حاجة المؤسسات التربوية في العالم الإسلامي إلىهذا المفهوم «الانفتاح العقلي» لا سيما وأن هذه المؤسسات لديها من الوسائل المختلفة ما تؤثر به في نفوس أبناء الأمة .

٥- أنها تُكسب القدرة على مجابهة الاختلاف في المنهجيات والمذاهب الفكرية ، ووقوفه أمامها موقفاً إيجابياً ؛ موقف النقد والتمحيص والتحليل وأخذ ما يناسب ونبذ ماعدا ذلك .

٦ – أنها تمكننا من الوقوف على مدى فهم غيرنا من الباحثين غير المسلمين للنص الإسلامي ، وكيفية تطبيقهم لهذا النص ، ومعرفة السلبيات والإيجابيات في ذلك .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي :

١- توضيح مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي .

٢- بيان أهمية الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبويّة.

٣- بيان الأسس التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية.

٤- بيان بعض المظاهر التي تدل على الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية.

٥- بيان ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

٦- إبراز التزام بعض المربين المسلمين بالانفتاح العقلي وذلك من خلال :

إيراد نماذج لهؤلاء إما بنقل نصوص مباشرة ، أوالإشارة إلى مواقف تطبيقية لهم.

٧- وضع تصور مقترح للأساليب التربوية التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال :

أ- أساليب وطرق التدريس الملائمة .

ب- المقررات الدراسية .

ج- النشاط المدرسي .

تساؤلات الدراسة :

تنطلق هذه الدراسة من خلال التساؤلات التالية :

س ١ : ما مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي ؟

س ٢ : ما أهمية الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؟

س ٣ : ما الأسس التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية؟

س ٤ : ما المظاهر التي تدل على الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية؟

س ٥ : ما ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ؟

س ٦ : ما أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند كل من :

١ - أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢- الأمام الشافعي رحمه الله.

٣- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

س ٧ : ما الأساليب التربوية التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال :

أ - أساليب وطرق التدريس الملائمة .

ب - المقررات الدراسية.

ج - النشاط المدرسي .

مصطلحات الدراسة :

الانفتاح العقلي :

ويعرِّف «الشريف، ١٤١١هـ» هذا المصطلح بأنه : " هو البعد عن التزمت، والجمود والتعصب وتحرير الذهن من الأفكار المسبقة وإعطاء النفس الحرية التامة في البحث والدراسة واكتشاف الحقائق[١] .

والمراد به في هذه الدراسة :

رفض التعصب والجمود العقلي مع القدرة على التقبل، والتعامل، والتفاعل مع الآخرين بقصد الاستفادة مما هو جديد ومفيدسواء مادياً، أو معنوياً شريطة عدم تعارض ذلك مع مصادر الشريعة الإسلامية.

منهج الدراسة :

المنهج هو : " الطريق الواضحة التي ينتهجها العقل للتوصل إلى الكشف عن الحقيقة التي يريد الباحث الوصول إليها، أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة مستعيناً بمجموعة من القواعد العامة يخضع لها العقل في عملية البحث[٢].

وفي هذه الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والطريقة الاستنباطية ؛ غير أن المنهج الوصفي التحليلي قد رافق الباحث في جميع فصول دراسته أمّا الطريقة الاستنباطية فقد كانت في جوانب من فصول دراسته كما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى على النحو التالي :

أولاً : قبل الشروع في التوضيح والتفصيل يرى الباحث التعريف بالمنهج الوصفي وكذلك الطريقة الاستنباطية.

فالمنهج الوصفي يمكن القول بأنه هو:

---

(١)ص ٧٥.

(٢) النقيب، ١٩٩٦م، ص ٢٠ .

"المنهج الذي يرتبط بظاهرة معينة بقصد وصفها وتفسيرها"[1] .

والطريقة الاستنباطية تعرف بأنها : " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ، ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربويّة مدعمة بالأدلة الواضحة"[2] .

ثانياً : التوضيح والتفصيل لكيفية استخدام المنهج الوصفي التحليلي والطريقة الاستنباطية .

ففي الفصل الأول : استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي عند استعراضه لمفهوم الانفتاح العقلي.

وفي الفصل الثاني : استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والطريقة الاستنباطية ، فالمنهج الوصفي التحليلي استخدمه عند استعراضه لتأصيل المفهوم في القرآن الكريم والسنة النبويّة حيث يجمع الآيات التي أشارت إلى الموضوع وكذلك الأحاديث ، ثم دراستها وتحليلها على ضوء التفاسير المعتمدة ، وشروح الأحاديث المعتمدة ، ثم عاد للطريقة الاستنباطية لاستنباط واستخراج أهميّة الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وفي الفصل الثالث والرابع والخامس : اقتصر الباحث على استخدام المنهج الوصفي التحليلي فقط.

الدراسات السابقة :

وبعد الرجوع إلى دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية بالرياض ومركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى تبين أن الموضوع بكرٌ حيث إن الباحث لم يجد دراسة

---

(١) العساف، ١٤١٦هـ ص ١٨٩ .

(٢) فودة ، عبدالله ، ١٤١٠هـ، ص٤٢ .

تتحدث عن موضوع البحث الذي يقوم بدراسته، لكنه وجد عدة دراسات معينة يستفاد منها في بعض جوانب موضوع البحث .

ومن تلك الدراسات :

الدراسة الأولى «ميمني، هدى عبد الرحيم ،١٤٠٦هـ» العنوان: التربية العقلية في القرآن الكريم - رسالة ماجستير- غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى. مكة المكرمة.

- استهدفت الدراسة :

إيضاح تربية الجانب العقلي للإنسان في القرآن الكريم، وأهمية العقل الذي كرم الله به الإنسان على سائر المخلوقات لتحقيق خلافة الله له في الأرض، ثم محاولة تطبيق هذا المنهج الرباني في حياتنا الواقعية، والاستفادة منه في تربية النشء على المنهج الإسلامي الصحيح.

وقد استخدمت الباحثة في تلك الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج الاستدلالي «الاستنباطي» وخرجت بالنتائج التالية :

١- تقدير الإسلام للعقل واعتباره مناط المسؤولية.

٢- وردت في القرآن الكريم بعض العمليات العقلية التي تبيّن مجال فعل العقل مثل التفكير، والنسيان، والاعتبار، والاستنباط .

٣- حث القرآن الكريم على استخدام العقل للتأمل في ملكوت الكون.

الدراسة الثانية «الشريف، نايف بن حامد، ١٤١١هـ» العنوان: التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي - رسالة دكتوراه - غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى. مكة المكرمة.

- واستهدفت الدراسة:

١- التعرف على طبيعة التفكير، وتحديد مفهوم واضح للتفكير العلمي ومحدداته.

٢- التعرف على تحديد التصور الإسلامي للتفكير العلمي في عناصره الأساسية.

٣- محاولة إبراز أصالة التربية الإسلامية في تناولها للتفكير العلمي وتنميته هدفاً، ومحتوى، وطريقة.

وقد استخدم الباحث في تلك الدراسة المنهج الاستنباطي، والمنهج المقارن وتوصل إلى عدة نتائج من أهمها :

١- أن المفهوم الصحيح للتفكير العلمي شامل، ومتكامل لجميع مجالات الحياة، وجوانب المعرفة ،ويتطلب ضمانات وضوابط ليكون فعّالاً.

٢- أن مفهوم التفكير العلمي في الإسلام شامل ومتكامل ؛ لأن مصدره الوحي الإلهي .

الدراسة الثالثة «الصوفي، حمدان عبدالله، ١٤١٦هـ» العنوان: مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية -رسالة دكتوراه - غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى مكة المكرمة .

- واستهدفت هذه الدراسة:

١- إيضاح مفهوم الأصالة والمعاصرة، وإظهار طبيعة العلاقة بينهما من منظور إسلامي.

٢- إلقاء الضوء على أهم العوامل التي أدت إلى النزاع «المتوهّم» بين الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي.

٣- إلقاء الضوء على الاتجاهات الفكرية المعاصرة واختلافاتها في تحديد العلاقة بين الأصالة والمعاصرة في الفكر التربوي وإظهار الاتجاه الصحيح من بين هذه الاتجاهات .

٤- إظهار أهم مقومات الأصالة التي تكفل للفكر التربوي الإسلامي سلامة المنطلق، والمحتوى ،والمنهج .

٥- بيان أهم مقومات المعاصرة التي تكفل للفكر التربوي الإسلامي الاستفادة من الجوانب النافعة في الفكر التربوي المعاصر دون وقوع في التبعية والتقليد.

٦- إبراز أثر مفهوم الأصالة والمعاصرة في مجال فلسفة التربية.

٧- إبراز أثر مفهوم الأصالة والمعاصرة في مجال أهداف التربية، وقد استخدم الباحث في تلك الدراسة: المنهج الوصفي، والمنهج الاستدلالي «الاستنباطي». وقد توصل إلى عدة نتائج من أهمها:

١- هناك ترابط وتوافق بين الأصالة والمعاصرة في الفكر التربوي الإسلامي، وإنما ظهر النزاع «المتوهم» بين الأصالة والمعاصرة عندما اختلت العلاقة بينهما لأسباب بعضها داخلية منها:

أ- ظهور فرق المعتزلة.

ب- الجمود.

وبعضها خارجية منها:

أ- الحروب الصليبية.

ب- الغزو الفكري.

٢- هناك مقومات للأصالة ومقومات للمعاصرة ينبغي أن تحكم سير الفكر التربوي حتى يكتسب صفة الجمع بين الأصالة والمعاصرة منها:

أ - المرونة.

ب- الوسطية «التوازن».

ج - الاختيار الحر والانتقاء الواعي.

الدراسة الرابعة: «التويم، خالد محمد، ١٤١٧هـ» العنوان: التبعيّة الفكرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي ـ رسالة دكتوراه ـ غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.

ـ واستهدفت هذه الدراسة ما يلي :

١ – التعريف بمفهوم التبعيّة الفكرية ، وإبراز معاييرها .

٢ – التعرف على عوامل وأسباب ظاهرة التبعيّة الفكرية .

٣ – توضيح آثار الظاهرة على المجتمع الإسلامي في ميدان التربية والتعليم ، والكشف عن طريقة التربية الإسلامية في معالجتها .

وقد استخدم الباحث في تلك الدراسة : المنهج الوصفي ، المنهج الاستنباطي ثم توصل إلى عدة نتائج من أهمها :

١ – أن التبعيّة منها ما هو محمود وهو اتباع الكتاب والسنة واتباع الدليل من تجربة وبرهان عقلي في أمور الدنيا ، ومنها ما هو مذموم وهو اتباع الآخرين دون حجة وبرهان.

٢ – نشأة التبعيّة بسبب عوامل داخلية وخارجية ، من العوامل الداخلية عدم الالتزام بأحكام الدين ، ومن العوامل الخارجية الغزو العسكري والفكري .

٣ – الاقتباس من الأمم الأخرى مشروع ولكن بضوابط منها ما يخص المقتبس وهي العلم الشرعي وضوابط للمقتبَس وهو أن لا يخالف العقيدة ولا يهدد هوية الأمة ، وأن يكون فيه مصلحة للمسلمين .

التعليق على الدراسات السابقة :

تظهر الدراسات أن هناك اهتماماً كبيراً بتوجيه وتربية العقل المسلم على العودة إلى الأصول ذات المصادر الربانية ، ونبذ التبعيّة الفكرية وتربيته على التفكير السليم الذي يقوده إلى اكتساب صفة التفتح العقلي ، فدراسة «ميمني ، ١٤٠٦هـ» ركزت على جانب التربية العقلية ، كما أنها لم تجعل محورها قضية الانفتاح ، ولم تبرز طريقة التربية الإسلامية في تأصيل وترسيخ مفهوم الانفتاح

العقلي لأن هذا الانفتاح إنما هو رد فعل إيجابي للتربية العقلية السليمة التي يهدف الإسلام إلى إثباتها والإعلاء من شأنها. ويستفاد من هذه الدراسة في مفهوم العقل ومكانته في التربية الإسلامية .

أما دراسة «الشريف ، ١٤١١هـ» فقد ركزت على قضية التفكير العلمي وهذه القضية ليست هي المحور الأساسي في هذه الدراسة. ويستفاد من هذه الدراسة في الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي حيث يعتبرها الباحث عاملاً مساعداً على الانفتاح المنضبط.

وأمّا دراستا «الصوفي ، ١٤١٦هـ» وَ «التويم ، ١٤١٧هـ» فهما مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً بموضوع الدراسة غير أنهما لا تمثلان المحور الأساسي لهذه الدراسة. ويستفاد منهما في بعض مظاهر الانفتاح ، وكذلك الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم.

وتنفرد هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة بما هو آت :

١- بيان مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي .

٢- تأصيل مفهوم الانفتاح العقلي ، وإيراد نماذج لبعض المربين المسلمين وبيان أبرز مظاهر الانفتاح العقلي لديهم .

الفصل الأول

مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي

مكانة العقل في الإسلام .

أولاً : مظاهر تكريم الإسلام للعقل .

ثانياً : وظيفة العقل في الإسلام.

ثالثاً : العلاقة بين الوحي والعقل .

مفهوم الانفتاح العقلي.

أولاً : مفهوم الانفتاح.

ثانياً : مفهوم الانغلاق.

ثالثاً : مفهوم العقل.

رابعاً : مفهوم الانفتاح العقلي من منظور إسلامي .

مكانة العقل في الإسلام:

ينوه الإسلام تنويهاً كبيراً بالعقل، ويعلي من مكانته وقيمته، ويحفل به وبوسائل الإدراك بعامّة، ففي القرآن الكريم جاءت فيه مادة «ع ق ل» «٤٩مرة»، «عقلوه» مرة واحدة، «تعقلون» ٢٤مرة، «نعقل» مرة واحدة «يعقلها» مرة واحدة، «يعقلون» ٢٢ مرة.

ومادة «ف ك ر» وردت «١٨مرة»، «فكّر» مرة واحدة «تتفكروا» مرة واحدة، «تتفكرون» ٣مرات، «يتفكروا» مرتين، «يتفكرون»١١مرة.

ومادة «ف ق هـ» وردة «٢٠مرة»، «تفقهون» مرة واحدة، «نفقه»

مرة واحدة، «يفقهوا»مرة واحدة، «يفقهون» ١٣مرة، «يفقهوه» ٣ مرات، «يتفقهوا»مرة واحدة[١]. وذلك تأكيداً للنهج القرآني الفريد في الدعوة إلى الإيمان، وقيامه على احترام العقل.

وأما الآيات التي تحث على النظر، والتفكر، والتدبر، والتبصر في آيات الله في الأنفس، والآفاق، وفي حوادث التاريخ، وأحكام التشريع، وتتوجه بالخطاب لأولي الألباب... فقد بلغت من الكثرة حداً أعطى الإسلام ميزة بين كل المذاهب والشرائع.

يقول «العقاد، د.ت»: " والقرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآيات، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكرعلى إهمال عقله وقبول الحجر عليه،

---

(١) عبد الباقي، ١٤٠٨هـ، ص٥٩٥، ص٦٦٦، ص٦٦٧

ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلوم الحديثة. بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته. فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ولا في العقل المدرك الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كلّ ما يتسع له الذهن الإنساني في خاصة أو وظيفة ...[1].

ويقول «الصافي، ١٤١٩هـ»: " وبحثت في القرآن الكريم عن أية إدانة يوجهها إلى العقل تسوّغ التوجس منه، فلم أجد فيه غير التمجيد له والحث على إعماله، والنهي عن تعطيله، بل المسؤولية عن إهماله[2].

وفي السنة النبوية المطهرة نجد أحاديث عديدة وردت فيها ألفاظ «العقل» بصيغة الفعل، والمصدر، كما وردت أحاديث أخرى صحيحة استخدمت فيها ألفاظ أخرى دالة على العقل مثل «الحلم»، ونجد أحاديث أخرى تدل على فضل العقل، ومكانته دون أن تستخدم هذه اللفظة أو مشتقاتها، ومنها قوله ﷺ: «**إن القلم رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ**»[3] وفي رواية: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقلة حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم**»[4]. فهذا الحديث الشريف يعفي من لا عقل له، ومن كان عقله غير ناضج من تحمل المسؤولية الكاملة عن السلوك غير السوي؛ لأن المؤاخذ هو العاقل فقط[5]، ومن ثم فالعقل مناط التكليف.

---

(١) ص٧ - ص٨.

(٢) ص٩.

(٣) البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره ص١٠٤٣، رقم الحديث ٥٢٦٨.

(٤) أبو داود، كتاب الحدود، باب في الجنون، يسرق، أو يصيب أحداً ج٤، ص١٤١، رقم الحديث١٤٤٦.

(٥) عبد الله ١٤٠٦هـ أ، ص١٩

وأما المذاهب الفلسفية والكلامية، والتي أرادت تمجيد العقل، والرفع من شأنه حسب زعمهم لم ولن يصلوا بحال إلى عُشر معشار ما بلغه الإسلام، من تكريم للعقل، وتشريف له، هذا إذا لم نقل: أنهم أساءوا إلى العقل أيما إساءة؛ حيث أوغلوا به في مفاوز لا يهتدي فيها إلى سبيل، حتى صار أحدهم يأتي بالحكم ونقيضه، وإن أصاب مرة تعثر مرات! وأصحاب العقل - على ما بينهم من الاختلاف والتنازع - كلٌ يدعي استناده إلى العقل، وقيام الحجة معه، وظهور البرهان عنده، هذا، وكلهم مجمعون على أن حجة العقل قطعية! لا يقوى دليلٌ على معارضتها فهم مختلفون فيه، مخالفون له[1] !!

يقول «ابن قتيبة، ١٣٩٣هـ»: "وقد كان يجبُ - مع ما يدعونه من معرفة القياس، وإعداد آلات النظر - ألا يختلفوا كما لا يختلف الحسَّاب، والمسَّاح، والمهندسون؛ لأن آلاتهم لا تدل إلا على عدد واحد، وإلا على شكل واحد ... فما بالهم أكثر الناس اختلافاً، لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين[2]

وهذا شأن كل من أعرض عن الكتاب والسنة أن يكون أمره مختلفاً. قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة١٣٧].

والبشرية قد غلت في نظرتها للعقل، ولا سيما بعد أن فتح الله للعقل مجالات رحبة، وذلك من خلال اكتشاف الكثير من أسرار الكون التي كان يجهلها، وظنت أن بإمكانها أن تستغني عمّا جاء به الأنبياء، فطرحوا الشرائع السماوية جانباً، وسنّوا لأنفسهم الأنظمة، وشرعوا لحياتهم القوانين، وأحلوا ما اشتهته أنفسهم، وحرموا ما اشمأزت منه نفوسهم، استناداً على ما تمليه عقولهم القاصرة، وخيالاتهم المريضة الفاسدة، فحاربوا الدين السماوي بحجة تحرير العقل من

---

(١) حسن، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٦٨.

(٢)ص ١٤.

قيوده، وإفساح المجال له ليقوم بواجبه، من وضع الأنظمة وسن القوانين. والعقل في التصور الإسلامي له وضع يليق به، لا يرتفع ليكون إلها، ولا يمتهن ليكون صاحبه كسائر الحيوانات، إذ من المسلَّم به أن العقل له قدرة في معرفة ما يصلحه وما يضره وقدرة في معرفة الحسن من القبيح .

يقول «أبو سليمان، ١٤١٤هـ»: " والعقل هو الذي يميّز بين الوحي الخير، والصحيح الموثق ،وبين الدجل والخرافة، والكهانة الفاسدة الكاذبة الضالة، وهو الذي يمكن الإرادة الإنسانية من الخيار، ويضعها أمام مسؤولية المسلك والمصير... ولا مجال للتلقي عن رسالة الوحي والتوجيه والعلم ولا مجال لمسؤولية الخلافة والاعمار دون وجود العقل... ودون فطرة العقل في معطياته وقدراته وبديهيا ته، في الإدراك والفهم والتمييز ،وما تدل عليه وتدعوا إليه من مقاصد الخير والعطاء"[1].

ومن ذلك يظهر أنه" ليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني وتعتز به وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلامية، وليس ثمة كتاب أطلق سراح العقل وغالى بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم كتاب الإسلام، بل إن القرآن الكريم ليكثر من استثارة العقل ليؤدي عمله الذي يخلقه الله له"[2].

وعليه يمكن للباحث أن يبرز مكانة العقل في الإسلام من خلال :

أولاً : مظاهر تكريم الإسلام للعقل:

ولقد أبرز الإسلام مظاهر تكريمه للعقل واهتمامه به في عدة مواضع نذكر منها :

١- جعل الإقناع العقلي من ركائز الإيمان :

فلم يطلب الإسلام من الإنسان أن يطفئ مصباح عقله ويعتقد، بل دعاه إلى

---

(١)ص١١٩.

(٢) الرومي ، ١٤٠١هـ، ج١، ص٢٩ .

إعمال ذهنه، وتشغيل طاقته العقلية في سبيل وصولها إلى أمور مقنعة في شؤون حياته، وكل ما يتطلبه. ومن ذلك دعوته إلى التفكر والتدبر والنظر في:

أ- كتابه: قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص٢٩]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد٢٤].

ب- مخلوقاته: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران١٩١]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم٨]، ثم يتحدى العقل بحواسه أن يجد خللاً في شيء منها ليزداد بعد عجزه إيماناً وتسليماً، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك ٣، ٤].

ج- تشريعاته: قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة١٧٩]، يقول «قطب، ١٤١٢هـ»: " فأمر بالتفكر في تلك التشريعات لتحري الحكمة فيها، لأن الحياة لا تسير آلية بحيث تنطبق عليها القاعدة التشريعية انطباقاً آلياً، وإنما هناك مئات من الحالات للقاعدة الواحدة، وما لم يكن الإنسان مدركاً للحكمة الكامنة وراء التشريع وفاهماً لترابط التشريعات في مجموعها فلن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفة التي تعرض للبشر في حياتهم الواقعية[1] .

---

(١) ج١، ص ٨٧ .

د- وفي أحوال الأمم الماضية: قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام١١].

هـ- وفي الدنيا ونعيمها الزائل :قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً﴾ [الكهف٤٥].

يقول «الرومي، ١٤٠١هـ»: " وهذا التأمل والتدبر ليس هو المقصود لذاته، وإنما ليؤدي ثمرة نافعة، لا أعني بها فلسفة يتشدق بها الفلاسفة، ويتبارون في إغماض الكلام فيها وإبهامه، ثم لا ينتهون إلى شيء وإنما أعني بها الإصلاح ... إصلاح القلب ... إصلاح العقيدة ... إصلاح الحياة في الأرض على منهج الدين الصحيح"[1].

وحول التوجيه عموماً إلى التفكر، والتدبر، والنظر ،يقول «ابن تيمية، ١٤٠٩هـ»: " وهذا كثير في القرآن: يأمر ويمدح التفكر، والتدبر، والتذكر، والنظر والاعتبار، والفقه، والعلم، والعقل، والسمع، والبصر، والنطق، ونحو ذلك من أنواع العلم وأسبابه وكماله، ويذم أضداد ذلك"[2]، ويعلق ابن تيمية على ذلك بقوله: " فإذا تبين أن جنس عدم العقل والفقه لا يحمد بحال في الشرع، بل يحمد العلم والعقل ويؤمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب"[3]

٢- حرية الإيمان:

ترك الإسلام للعقل الحرية في الخيار بين الإيمان والكفر قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً﴾ [الكهف٢٩]، وقال الله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة٢٥٦].

---

(١) ج١، ص٣٣.
(٢) ج٢، ص١٥٩
(٣) ج٢، ص١٥٩ .

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: " هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي، وأنه لكمال براهينه، واتضاح آياته وكونه دين العقل والعلم، ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفطر له لا يحتاج إلى الإكراه عليه ؛ لأن الإكراه، إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب ويتنافى مع الحقيقة والحق[1].

ويقول «الألوسي ،١٤١٥هـ»: " جيء بها إثر بيان دلائل التوحيد للإيذان بأنه لا يتصور الإكراه في الدين ؛ لأنه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه، الدين خير كله[2].

٣- الوضوح العقلي في العقيدة والشريعة :

حرص الإسلام على قيام العلاقة بين العبد، وربه على الوضوح العقلي في العقيدة والشريعة، وعدم تقييده له بعد اقتناعه وإيمانه بالرهبانيّة، فلارهبانية في الإسلام ؛ لما فيها من تقييد للعقل، ولما فيها من تعطيل للطاقة والقوى البشرية، والمخالفة لنظام الحياة مخالفة تقضي بالفناء على البريّة فيما لو اعتنق الناس الترهّب والانعزال ديناً[3] .

ويعلق «الجمال، ١٤١٤هـ» على الرهبانيّة بقوله: " والرهبانيّة عكس ما يقولون بأنها تفتح أفاق العقل وتزيد صفاءه .. والحقيقة أنها تظلم العقل، ويخبو نوره لانطواء صاحبها على نفسه، واعتزاله المجتمع، فلا يرى النور، والظلمة، والخير، والشر، والإيمان ،والكفر في معترك الحياة" [4].

٤- المحافظة على العقل:

العقل من الضروريات الخمس التي أنزلت الشرائع للمحافظة عليها وهي :

---

(١) ج١، ص٢٣٠ .

(٢) ج٢، ص ١٤

(٣) الرومي، ١٤٠١هـ، ص٣٤، ص٣٥ .

(٤) ج١، ص٢٠٤.

الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال. فأوجب الإسلام العلم وكل ما به قوام الحياة، وهي تعود على العقل بالحفظ وحرّم كل ما يذهب العقل أو يزيله كالخمر والمخدرات وسائر المسكرات؛ لأنها تصيب العقل بآفة تجعل صاحبه عبئاً على المجتمع ومصدر شر وأذى للناس.

والإسلام يحافظ على العقل: إمّا بالحث على العلم والتعلم: فكانت أول آية من كتاب الله تحث على العلم والتعلم قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق١- ٥].

يقول «العبد، ١٤٠١هـ»: " إن العلم هو الذي ينهض بالإنسان ويوجهه نحو الخير، والتفكر، والتدبر، في كون الله تعالى، وفي شرعه وهنا يكون السمو والتحضر والتقدم[1]".

ومن هنا كانت كلمة «اقرأ» فتحاً جديداً للإنسان نحو الثقافة والفكر والبحث في أحوال المخلوقات.

وإمّا بتحريم الاعتداء عليه: ومن محافظة الإسلام على العقل أنه حرم الاعتداء عليه فحرم على المسلم شراب المسكر والمفتر، وكل ما يخامر العقل ويفسده قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة٩٠].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب، لم يشربها في الآخرة**»[2].

---

(١) ص ١٠، ص١١.

(٢) مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام، ج٣، ص١٢٦٢، رقم الحديث ٢٠٠٣.

كـل هـذا حفاظاً علـى العقـل وعلـى بقائـه ، وجعـل الإسـلام الديـة كاملـة في الاعتداء على العقل وتضييع منفعته بضرب ونحوه .

قال «ابن حنبل ، ١٤٠٦هـ» : " سمعت أبي يقول في العقل دية ، يعنى إذا ضرب فذهب عقله"[١] .

وقال «ابن قدامة ، ١٣٨٩هـ» : " لا نعلم في هذا خلافاً ، وقـد روي عـن عمر وزيـد رضى الله عنهما وإليه ذهب من بلغنا قوله من الفقهاء ؛ لأنه أكبر المعاني قـدراً ، وأعظـم الحـواس نفعـاً ، فـإن بـه يتميـز عـن البهيمـة ، ويعـرف حقـائق المعلومـات ويهتـدي إلى مـصالحة ، ويتقـي مـا يـضره ويـدخل بـه في التكليـف وهـو شـرط في ثبـوت الولايـات ، وصحة التصرفات ، وأداء العبادات ، فكان بإيجاب الدية أحق بقية الحواس"[٢] .

وإما بالنهي عن الكهانة والخرافة : ولقد شدد الإسلام في النهي عـن تعـاطي مـا تنكره العقول ، وتنفر منه كالتطير والتشاؤم بصفر ونحوه ، واعتقاد التأثير في العدوى والأنواء وغيرها ، وكذا حرم إتيان الكهان وغيرهـم مـن أدعيـاء علـم الغيـب وحـرم تعليق التمائم وغيرها من الحروز ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ قال : **«لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ولا نوء ولا صفر»**[٣] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسـول الله ﷺ : **«لا عـدوى ولا طيرة ولا غول»**[٤] . وعن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ قال : **«مـن أتـى عرَّافـاً فـسأله عـن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**[٥] . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إن الرقى والتمائم والتولة شرك»**[٦] .

---

(١) ج٣، ص ١٢٥١ .

(٢) ج٨، ص٤٦٥ .

(٣) مسلم، كتاب السلام، باب لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة ولاصفر، ولا نوء، ولا غول، ج٤، ص١٣٩٠ ، رقم الحديث ٢٢٢٠ .

(٤) مسلم، كتاب السلام، باب لا عدوى، ولا طيرة ولا هامة ولاصفر، ولا نوء، ولا غول، ج٤، ص١٣٩٠ ، رقم الحديث ٢٢٢٢ .

(٥) مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ج٤ ، ص١٣٩٧ ، رقم الحديث ٢٢٣٠ .

(٦) أبو داود، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم، ج٤ ، ص ٢١٢ ، ص٢١٣رقم الحديث ٣٨٨٣.

هذا مع أمر الشارع العبد أن يأخذ بالأسباب، ويتوكل على خالق الأسباب كما قال ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»**(١).

ثانياً: وظيفة العقل في الإسلام:

لقد كرم الإسلام العقل، وشرفه، وأعلى من شأنه ولكن في إطار إسلامي خاص به، وفي حجم معقول، لا يتعداه، وفي مجال على قدره حتى لايضل، وفي ذلك أيضاً تكريماً للعقل حتى لاينزلق في مهاوي الردى مزالق الضلال. فالعقل له طاقاته ومدركاته ولكنها محدودة بحدود، وملتزمة بقيود فهو لا يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة وطاقه على الاستيعاب، والإدراك، لذا فإنه سيظل بعيداً عن تناول كثير من الحقائق.

ولذا أمر الإسلام العقل بالاستسلام والامتثال للأمر الشرعي الصريح حتى ولو لم يدرك الحكمة والسبب في ذلك.

«فالعقل ليس أصلاً لثبوت الشرع في نفسه ولا معطياً له صفة لم تكن له، ولا مفيداً له صفة كمال إذ العلم مطابق للمعلوم المستغني عن العلم، تابع له، ليس مؤثراً فيه»(٢).

يقول«قطب، ١٤١٢هـ»: «إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة «الوحي»، ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول. ومهمة الرسول أن يبلغ ويبيّن، ويستنفذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام، وينبه العقل الإنساني إلى تدبر دلائل الهدى وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق، وأن يرسم له منهج التلقي

---

(١) مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، ج٤، ص ١٦٢٩، رقم الحديث ٢٦٦٤.

(٢) ابن تيمية، ١٣٩٩هـ، ج١، ص ٨٨.

الصحيح، ومنهج النظر الصحيح، وأن يقيم له القاعدة التي ينهض عليها منهج الحياة العلمية، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة.

وليس دور العقل أن يكون حاكماً على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان، والقبول أو الرفض بعد أن يتأكد من صحة صدورها عن الله، وبعد أن يفهم المقصود بها: أي المدلولات اللغوية والاصطلاحية للنص»[1].

لذا منع الإسلام العقل من الخوض فيما لا يدركه ولا يكون في متناول إدراكه كالذات الإلهية، والروح في ماهيتها ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء٨٥].

وقال ﷺ: «**تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره**»[2].

وقال ﷺ: «**لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال: هذا خلق الله فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيء فليقل آمنت بالله. وفي رواية زاد ورسله**»[3].

ومن خلال هذه الأدلة يظهر للباحث تكريم الله سبحانه وتعالى للعقل وتشريفه حيث صرفه عن التيه في مجال لا دليل للفكر فيه؛ لأنه ليس من شؤون العقل السؤال عنها ولا من مداركه، وكذلك الجنة ونعيمها والنار وجحيمها وكيفية ذلك وغيرها من الغيبيات التي ليست في متناول العقل ومداركه.

وعلى هذه القواعد والأسس مضى المسلمون في العصر الأول من الإسلام، عرفوا ما للعقل وما عليه، فحفظوا، ودرسوا، وعقلوا ما للعقل، وما كان ليس له اجتنبوه بل اجتنبوا من قال به، أو قرب منه. فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أتاه صَبيغ بن عِسْل مرسلاً من قبل عمرو بن العاص حيث إنه سار بين

---

(١) ج٢، ص٨٠٧.
(٢) أبو نعيم، د.ت، ج٦، ص٦٧.
(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ج١، ص١١١، رقم الحديث ١٣٤.

أجناد المسلمين مثيراً الشبهات بسؤاله عن متشابه القرآن. فعندما رآه عمر قال له: سَبيلُ مُحدَثه. ثم ضربه وأعاده إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين. قال أبو عثمان النهدي: فلو جاء ونحن مئة لتفرقنا عنه[١].

ولا يعني هذا أن عصر صدر الإسلام كان خالياً كل الخلو من الآراء الشاذة، بل وجد في وقته ﷺ شيء من ذلك. فالمنافقون قالوا يوم أحد عن أخوانهم: ﴿**هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ**﴾ [آل عمران١٥٤] وقولهم: ﴿**لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا**﴾ [آل عمران١٥٤]. وقولهم: ﴿**لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُوا**﴾ [آل عمران١٥٦] فهل هذا إلا تصريح بإنكار القدر؟ وقالت طائفة من المشركين ﴿**لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ**﴾ [النحل٣٥]. وقول طائفة: ﴿**أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ**﴾ [يس٤٧]. فهل هذا إلا تصريح بالجبر؟[٢] بل إن منهم من جادل في ذات الله: ﴿**وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [الرعد١٣]. وكانت تلك الآراء الشاذة يُقضى عليها في مهدها بمجرد أن نزل الوحي وبيّن الحق من الضلال. فهذا الإمام مالك عندما جاءه رجل فقال له: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه٥]. كيف؟! غضب الإمام مالك واحمرّ وجهه وقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وما أراك إلا رجل سوء. وأمر بإخراجه، وإنما أنكر عليه الإمام مالك؛ لأنه أراد أن يخوض بعقله في صفة من صفات الله لا يعلم حقيقتها إلا الله. أراد أن يسأل عن الكيفية التي استوى الله فيها على عرشه والله تعالى استوى على عرشه كما شاء، وكيف شاء: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشورى١١].

فما أخبرنا الله في كتابه وعلى لسان رسوله آمنا به، وما سكت عنه في أمر الغيب وفيما يتعلق في ذات الله المقدسة في أسمائه، وصفاته لم نشغل عقولنا ولم نبحث

---

(١) ابن بدران، د. ت، ج٦، ص ٣٨٥.

(٢) الشهرستاني، د. ت، ج١، ص٣٩.

ولم نتكلف في معرفة ذلك ونسلم ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [النساء٦٥][(١)] ، والعقل خلقه الله سبحانه وتعالى ليقوم وظيفته التي خصه الخالق بها وفي الحدود التي حدها الشرع الحكيم. وإذا تعطّل عمل هذا العقل عن القيام بما أختصه الله تعالى به ؛كان الجمود العقلي الذي تنطلق منه الانحرافات العقدية والتي يتفجر بها العقل فيكون أثرها التدميري في التربية الإسلامية. والواجب وضع العقل في موضعه، فلاجمود مع تحقير العقل وإهمال عمله ،ولا افتتان بالعقل إلى حد تأليهه.

ثالثاً: العلاقة بين العقل والوحي:

وبعد أن بيَّن الباحث وظيفة العقل يجدر به أن يحدد العلاقة بين الوحي والعقل أو الصلة بينهما وعلى هذا نفهم ما ورد عن تظاهر العقل والشرع وعن التكامل بينهما كقولهم: " العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، وهو ليس مستقل بذلك، ولكنه إنما غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس[(٢)].

والعقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس، والشرع كالبناء ولن يغنى أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاضدان بل متحدان... والعقل بنفسه قليل الغناء، لا يكاد يتوصل إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته، والشرع يعرف كليات الشيء وجزئياته، ويبين ما الذي يجب أن يعتقد في شيء شيئاً، وما الذي هو معْد له في شيء شيئاً .

وعلى الجملة: فالعقل لا يهتدي إلى تفاصيل الشرعيات، والشرع تارة يأتي

(١) نصر، ١٤١٣هـ، ص٢٨ .

(٢) ابن تيمية ، ١٣٩٨هـ، ج٣ ،ص ٣٣٨ – ص٣٣٩ .

بتقرير ما استقر عليه العقل، وتارة بتبنيه العاقل وإظهار الدليل حتى يتنبه لحقائق المعرفة. وتارة بتذكير العاقل حتى يتذكر ما فقد، وتارة بالتعليم، وذلك في الشرعيات وتفصيل أحوال المعاد. فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة والدالُّ على مصالح الدنيا والآخرة ومن عدل عنه فقد ضل سواء السبيل[١].

ويقول «محمود، ١٤١٢هـ»: " إن الإسلام يربي العقل عن طريق الشرع، ولا يمكن أن يتضمن الشرع شيئاً يناقض العقل، وذلك أن الشرع دائماً في صالح الإنسان في دينه ودنياه، ولا يتصور مع هذا تناقض بين الشرع والعقل[٢]. ووفق المنهج الذي سلف في بيان حدود وظيفة العقل، وكذلك هذه الأقوال التي بين أيدينا ظهر للباحث أنه لا يمكن أن يقع تعارض بين أحكام العقل الصريح، والنصوص الشرعية الصحيحة. وما قد يظهر من خلاف ذلك، فينبغي عند ظهوره ألا نعارض نصوص الشرع بما قد نراه بعقولنا وآرائنا وأقيستنا؛ فإن العقول تتفاوت، وليس هناك العقل المطلق الكامل الذي نحاكم إليه هذه النصوص. كما أن العقل نفسه محدود بحدود وظيفته، ولا يستطيع أن يحيط بغير المحدود الذي يحيط به الشرع أو الوحي[٣].

ويقول «القرني، ١٤١٩هـ»: " وجماع منهج أهل السنة أنهم لا يرون أمراً يجب اعتقاده والإيمان به لم ترد به النصوص، كما أنهم لا يردون النصوص الثابتة بدعوى التعارض بين العقل والنقل، بل لا يسلمون بإمكان التعارض أصلاً"[٤].

يقول الإمام الزهري: " من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم[٥].

ومن خلال هذه الأقوال يظهر للباحث أن بينهما تكامل وانسجام تام لكن لا

---

(١) الأصفهاني، د.ت، ص١٤٠ – ص١٤٢.

(٢) ص ٢٦٠.

(٣) ضميرية، ١٤١٧هـ، ص١٩٥.

(٤) ص ١٧٦.

(٥) العسقلاني، ج١٣، ص٥١٣.

يعني هذا أنهما ندان متعادلان في يقينية ما يقدمانه، فالوحي هو الأصل ؛ لأنه من علم الله عز وجل المطلق الصدق. والعقل تابع للأول ؛ لأنه مرتبط بالإنسان والإنسان طاقته محدودة فهو إذن محدود.

يقول «قطب، ١٤١٣هـ»: " ... ولكن يبقى أن الوحي والعقل ليسا ندين، فأحدهما أكبر من الآخر وأشمل، وأحدهما جاء ليكون هو الأصل الذي يرجع إليه الآخر، والميزان الذي يختبر الآخر عنده مقرراته ومفهوماته، وتصوراته، ويصحح به اختلالاته وانحرافاته فبينهما – ولا شك – توافق وانسجام ولكن على هذا الأساس. لا على أساس أنهما ندان متعادلان، وكفو أحدهما للآخر!"[١].

وبعد أن اتضحت مكانة العقل في الإسلام يمكن للباحث توضيح مفهوم «الانفتاح العقلي» غير أن هذا المصطلح يتكون من كلمتين، هما: «الانفتاح» وَ «العقل»، وياء النسبة التي ربطت أولى الكلمتين بالأخرى.

وسيعرّف الباحث - أولاً - كلاً من الكلمتين مفردة، ثم يعرفه بصفته مركباً وسيكون ذلك على النحو التالي :

أولاً: مفهوم الانفتاح :

أ - في اللغة :

عند تحديد مفهوم كلمة الانفتاح لابد من إرجاع الكلمة إلى حروفها الأصليّة «ف. ت .ح». والفتح: نقيض الإغلاق ؛ فتحه، يفتحه، فتحاً، وافتتحه، وفتحه فانفتح. والمِفتح، والمفتاح: مفتاح الباب وكل ما فتح به الشيء، قال الجوهري: وكل مستغلق. وفي الحديث «أوتيت مفاتيح الكلم»، وفي رواية: «مفاتح» ؛ هما جمع مفتاح، ومِفْتح وهما في الأصل مما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي

(١)ص ١٩ .

يتعذر الوصول إليها، فأخبر أنه أوتي مفاتيح الكلام، وهو ما يسّر الله له من البلاغة والفصاحة، والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم، ومحاسن العبارات، والألفاظ التي أغلقت على غيره، وتعذرت عليه، ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون سهل عليه الوصول إليه. والمَفْتَح والمِفْتَح: قناة الماء. وكل ما انكشف عن شيء فقد انفتح عنه وتفتّح. وتفتح الأكمة عن النور: تشققها والفتح: النصر. ومنه قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال١٩]. قال أبو إسحاق: معناه إن تستنصروا فقد جاءكم النصر..[(١)]

وقال «الفيومي، ١٩٨٧م»: فتحت الباب فتحاً خلاف أغلقته، وفتحته فانفتح فرجته فانفرج، وباب مفتوح خلاف المردود والمقفل[(٢)].

وقال «الفيروز آبادي، ١٤١٦هـ»: فتح، كمنع: ضد أغلق كفتّح وافتتح والفتح: الماء الجاري، والنصر[(٣)].

وقال «ابن فارس، ١٤١١هـ»: «فتح» الفاء والتاء والحاء أصلٌ صحيح يدل على خلاف الإغلاق، يقال: فتحت الباب وغيره فتحاً[(٤)].

وقال «مصطفى، ١٣٩٢هـ»: فتح بين الخصمين فتحاً: قضى وفي التنزيل العزيز: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف٨٩] وانفتح الشيء عن الشيء انكشف عنه، والفتح عند أهل العربية نوع من الحركة يفتح له الفم[(٥)].

وعلى هذا فإن الانفتاح في اللغة يأخذ عدة معان، ومنها:

---

(١) ابن منظور، د.ت، ج٢، ص٥٣٦، ص٥٣٧.
(٢) ص ١٧٥.
(٣) ص ٢٩٧.
(٤) ج٤، ص ٤٦٩.
(٥) ج٢، ص٦٧١.

١- ضد الانغلاق .

٢- النصر .

٣- الحكم بين الخصمين .

٤- الكشف عن الشيء .

٥- نوع من الحركة يفتح لها الفم .

والمقصود بالانفتاح في هذه الدراسة المعنى الأول والرابع.

ب - في الاصطلاح:

عرفه «ابن مانع، ١٤١٢هـ» بأنه: عدم اتخاذ الفرد موقفاً سلبياً مما هو جديد عليه، سواء مادياً، أو معنوياً لمجرد أنه جديد، بحيث يتقبل هذا الجديد ويتفاعل معه حتى يثبت له بطرق معقولة عدم فائدة التعامل مع هذا الجديد[١].

و أشار إليه «أبو سليمان، ١٤١٤ هـ» في معرض حديثه عن شمولية الرؤية الحضارية للمسلمين بقوله: الاستفادة العلمية والفنية الصحيحة دون مساس بالقيم، والعقائد، والمبادئ، والهوية[٢].

ثانياً: مفهوم الانغلاق :

أ- في اللغة :

عند تحديد مفهوم الانغلاق لا بد من إرجاع الكلمة إلى حروفها الأصلية «غ. ل .ق» .

قال «ابن فارس، ١٤١١ »: الغين، واللام، والقاف أصل واحد صحيح يدل على نشوب شيء في شيء[٣].

---

(١) ص ٧٨ .

(٢) ص ١٦٩.

(٣) ج ٤، ص ٣٩٠ .

وقال «الفيومي، ١٩٨٧م»: غلق الرجل غلقاً مثل ضجر، وغضب... وأنغلق ضد انفتح[١].

وقال «مصطفى وآخرون، ١٣٩٢هـ»: أغلق عليه الأمر: لم ينفتح وأنغلق خلاف أنفتح[٢].

وعلى هذا الانغلاق في اللغة يأخذ عدة معان، ومنها:

١- ضد الانفتاح.

٢- نشوب شيء في شيء.

ب - في الاصطلاح:

عرفه «ابن مانع، ١٤١٢هـ» بأنه: عدم الالتفاف إلى ما حول الفرد من مستجدات ماديّة، أو معنويّة بنظرة إيجابية وموضوعية فاحصة، مما يجعل عالم الفرد وخبرته تتسم بالثبات، والتقادم فتزيد من انغلاقه على تلك الخبرة، وعدم تجاوبه مع ما حوله من جديد[٣].

ويساهم الانغلاق مساهمة فعالة في تشكيل عقلية «البعد الواحد» والتي تعني: " التأكيد على عنصر واحد من ظاهره ذات عناصر متعددة إدراكاً، وتعاملاً، وإبرازاً"[٤]، فقد يكون الانغلاق بضرب ستار حديدي يحول دون تمازج ثقافي بين دولة وأخرى، وقد يكون انغلاقاً على مستوى التخصص العلمي، وقد يكون عبارة عن شك المرء في كل ما حوله.

إن من المسلّم به إن الجهل بما عند الآخرين سوف يحرمنا قطعاً من جزء من وعينا لذاتنا الذي يتوقف على الوعي بما عند الآخرين، ولن ندرك حجم ذلك إلا من

---

(١)ص ١٧٢.

(٢) ج٢، ص٦٥٩.

(٣)ص ٧٨.

(٤) بكار، ١٤١٣هـ، ص٢١٢

خلال الانفتاح على خبرات الآخرين انفتاحاً يمكننا من رؤية نافذة إلى جوهر ما هم عليه، والانغلاق يحرمنا من ذلك، وليس الانفتاح ضرورياً للوعي بالذات فحسب، ولكنه ضروريٌّ أيضاً من أجل حل الأزمات الداخلية ، ذلك لأن كل ثقافة بل كل تخصص علمي يواجه أزمات داخلية تفقده كل طاقته الخاصة، وحينئذ فلا مخرج إلا بإضافة عناصر وإدخال إمكانات أوسع للتغير نحو الأفضل. نعم إن الانغلاق قد يكون ضرورياً حين تتعرض ثقافة الأمة إلى تدفقٍ حضاري يخالف مكوناتها الأساسية ريثما تتمكن الأمة من استيعاب الوافدات الجديدة، وهضمها، وتمثلها، وتحديد الموقف منها، لكن إذا دام الانغلاق فإنه سيعني وجوداً محروماً من النمو الطبيعي المتفاعل القائم على انتخاب أفضل ما عند الآخرين مما ينسجم مع أطرنا الثقافية. عموماً لم نشاهد انغلاقاً شديداً إلا رأينا بعده انفتاحاً غير متوازن لا يقل ضرره عن الانغلاق والنتيجة هي فقد التوازن في الحالتين. وأخطر ما في الانغلاق هو تشكيل العقل الذي يحمل الأفكار الخاطئة عن الواقع المعاش وعن الأفكار العالمية، مما يجعله ينهار عند الاحتكاكات الجادة مع من يعيشون خارج دائرته وما ذلك إلا لأن نظرتهم الأحادية تنعكس على طرق تفكيرهم مما يحرمهم من التنوع والثراء ورؤية الكون على ما هو عليه. إن الانطلاق يولد الخبرة، والخبرة تولد الثقة بالنفس، والمنغلقون على ما لديهم لا يستطيعون إلا أن يكونوا خائفين، ولا يستطيعون إلا أن يكونوا غرباء ، والخوف والغربة عامل من عوامل الاضمحلال(1).

ثالثاً: مفهوم العقل:

أ - في اللغة:

عند تحديد مفهوم كلمة العقل لابد من إرجاع الكلمة إلى حروفها الأصليّة «ع.ق.ل»: العقل: هو مصدر «عَقِلَ»، يعقل عقلاً، فهو معقول، وعاقل. وأصل

(1) بكار، ١٤١٣هـ، ص٢٢٦، ص٢٢٨.

معنى العقل المنع يقال: عقل الدواء بطنه أي أمسكه، وعقل البعير: إذا ثنى وظيفه إلى ذراعه وشدهما جميعاً بحبل ؛ لمنعه من الهرب[1].

وقال «ابن فارس، ١٤١١هـ»: العقل: العين، والقاف، واللام أصل واحد مطرد يدل عُظْمُه على حبسه في الشيء، أو ما يقارب الحبسة. من ذلك «العقل» وهو الحابس عن ذميم القول والفعل[2].

وقال «الفيروزآبادي، ١٤١٦هـ»: العقل: العلم، أو بصفات الأشياء من حسنها، وقبحها، وكمالها، ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين، أو مطلق لأمور، أو لقوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعانٍ مجتمعة في الذهن[3].

وقال «الجرجاني، ١٤١٨هـ»: العقل: نور في القلب يعرف الحق والباطل، وقال: هو ما يعقل به حقائق الأشياء، وهو مأخوذ من عقال البعير، يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل[4].

وقال«الزبيدي، ١٣٠٦هـ»: العقل أصل معناه المنع[5].

وما تقدم من اطلاقات فهي تدور حول المنع، ويستطيع الباحث أن يخرج من المفهوم أو المعنى اللغوي لكلمة«العقل» بملاحظات ونتائج أهمها ما يلي:

١- أنه ملكة معنوية، وليست شيئاً حسياً، وبه يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات.

٢- أنه يمنع صاحبه عما لا يليق ويزجره.

٣- أنه يكشف لصاحبه عما ينبغي أن يفعله وعندئذ كأنه يتحصن به.

(١) ابن منظور، د.ت، ج١١، ص٤٥٨.

(٢) ج٤، ص ٦٩.

(٣) ص ١٣٣٦.

(٤) ص ١٩٧.

(٥) ج ٨، ص٢٥

٤- أن العقول متفاوتة بحسب فطرة الله التي فطر الناس عليها، باتفاق العقلاء بل قد يحصل التفاوت في الشخص الواحد كما قال «الشاطبي، د.ت» : " فالإنسان وإن زعم أنه أدرك الأمر، وقتله علماً لا يأتي عليه الزمان إلا وقد عقل فيه ما لم يكن عقل، وأدرك من علمه ما لم يكن أدرك قبل ذلك، كل أحد يشاهد ذلك من نفسه عياناً، ولا يختص ذلك عنده بمعلوم دون معلوم ..."[1] وقال«ابن تيمية ،١٣٩٨هـ» : "كان الصواب عند جماهير أهل السنة - وهو ظاهر مذهب أحمد وهو أصح الروايتين عنه، وقول أكثر الصحابة- أن العلم والعقل ونحوهما يقبل الزيادة والنقصان[2] .

ب - في الاصطلاح:

العقل يقع بالاستعمال على أربعة معان وفيما يلي تفصيل هذه المعاني :

الأول: الغريزة المدركة التي في الإنسان، فبها يعلم ويعقل، وهي كقوة البصر في العين، والذوق في اللسان، فهي شرط في المعقولات، والمعلومات، وهي مناط التكليف، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان، وقد جعل «المحاسبي، ١٣٩٨هـ» : هذا المعنى هو المعنى الحقيقي للعقل وإنما يطلق العقل على غيره من المعاني مجازاً[3].

الثاني: العلوم الضروريّة ؛ وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات والواجبات، والممتنعات ،والفلاسفة والمتكلمون عرّفوا العقل بها ومنهم من قسمها إلى قسمين: قسم يقع في الناس ابتداء، والآخر يحصل بالاكتساب وخصّوا العقل بالقسم الأول.

---

(١) ج ٢، ص٣٢٢.
(٢) ج١٠ ،ص٧٢١- ص٧٢٢.
(٣)ص٢٠١.

الثالث: العلوم النظريّة، وهي التي تحصل بالنظر والاستدلال، وتفاوت الناس ، وتفاضلهم فيها أمر جليّ وواقع، ويطلق بعض العلماء على هذا المعنى من معاني العقل: العلم ،كما ذكر ذلك «الأصبهاني، ١٤١١هـ». ثم عقد مقارنة بينه وبين العقل بالإطلاق الأول مفضلاً العلم عليه، أراد بذلك أن يقرر أن الدين يدرك بالعلم لا بالعقل[١].وهذا المعنى من معاني العقل هو الذي يسمّى فاقده والقاصر فيه غبياً ،وجاهلاً وأحمق ،ولايسقط التكليف عنه[٢] . والعقل بهذا المعنى أخص من العلم والمعرفة ؛ لأن صاحبه يعقل ما علمه فلا يدعه يذهب ؛ ولأن الإدراك مراتب بعضها أقوى من بعض، فأولها الشعور، ثم الفهم، ثم المعرفة، ثم العلم، ثم العقل[٣].

الرابع: الأعمال التي تكون بموجب العلم، ولهذا قال الأصمعيّ :

العقل: الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن. وقيل لرجل وصف نصرانيّاً بالعقل: مه إنما العاقل من وحّد الله وعمل بطاعته وقال أصحاب النار: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (الملك١٠)[٤]، ويرى الباحث أن هذا التعريف من أفضل التعريفات الاصطلاحية للعقل وفي كل معاني العقل المتقدمة لا يوصف بأنه جوهر قائم بنفسه خلافاً للفلاسفة ومن شايعهم من المتكلمين" فإن العقل عرض من الأعراض قائم بغيره، وهو غريزة، أو علم، أو عمل بالعلم ؛ فليس العقل جوهراً قائماً بنفسه فيمتنع أن يكون أو المخلوقات عرض قائماً بغيره فإن العرض لا يقوم إلا بمحل فيمتنع وجوده قبل وجود شيء من الأعيان[٥]

ويقول «ابن تيمية، ١٣٩٦هـ»: في معرض رده على القائلين بأن العقل جوهر

---

(١) ج٢، ص٥٠٣ .
(٢) العريفي ،١٤١٩هـ، ص٢٩ .
(٣) ابن القيم، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٨٥ .
(٤) حسن، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٥٨ - ص١٥٩ .
(٥) ابن تيمية، ١٣٩٨هـ، ج١٨، ص ٣٣٨ .

قائم بنفسه : " العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة، وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد١٧]. ونحو ذلك، مما يدل على أن العقل مصدر عقل يعقل عقلاً، وإذا كان كذلك، فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل الصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا[١] .

ج - أقسام العقل :

للعقل قسمان: غريزي، واكتسابي. فالغريزي: قوة متهيئة لقبول العلم. والاكتسابي: العلم الذي يستفيده بتلك القوة، ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

رأيت العقل عقلين   فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع   إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس   وضوء العين ممنوع[٢]

ويقول «ابن القيم، ١٤١٨هـ»: " العقل عقلان: عقل غريزي طبعي، هو أبو العلم ومربيه ومثمره، وعقل كسبي مستفاد، وهو ولد العلم وثمرته ونتيجته، فإذا اجتمعا في العبد استقام أمره، وأقبلت عليه جيوش السعادة من كل جانب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإذا فقدهما أحد فالحيوان البهيم أحسن حالاً منه، وإذا فُقد أحدهما أو انتقص انتقص صاحبه بقدر ذلك[٣]".

وقسم السعدي العقل إلى قسمين :

١- عقل غريزي: وهو ما وضعه الله في الإنسان من قوة الذهن في أمور الدين والدنيا .

---

(١) ص١٩٦، ص٢٧٦ .
(٢) الأصفهاني، ١٤١٨هـ، ص ٥٧٧ .
(٣) ج١، ص١٧٠ .

٢- عقل مكتسب: إذا انضمّ إلى العقل الغريزي ازداد صاحبه حزماً وبصيرة. فكما أن العقل الغريزي ينمو بنموِّ الإنسان حتى يبلغ أشده فكذلك العقل المكتسب له مادتان للنموِّ:

المادة الأولى: مادة الاجتماع بالعقلاء، والاستفادة من عقولهم وتجاربهم تارة بالاقتداء، وتارة بمشاورتهم ومباحثتهم. فكم ترقى الرجل بهذه الحال إلى مراقي الفلاح. ولهذا كان اعتزال الناس يفوت صاحبه خيراً كثيراً ونفعاً جليلاً مع ما يحدثه الاعتزال من الخيالات وسوء الظن بالناس والإعجاب بالنفس الذي يعبر عن نقص الرجل، وربما ضر البدن فإن مخالطة الناس تفتح أبواباً من المصالح تقوي القلب، وتفتح الذهن، وتكسب صاحبها الخيرية قالﷺ: **«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»**[1]، وفي ضعف القلب، ضرر على العقل، وضرر على الدين، وضرر على الأخلاق، وضرر على الصحة وينبغي للإنسان أن يعامل الناس بحسب أحوالهم كما كان النبيﷺ يحسّن خلقه مع الصغير والكبير قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف١٩٩]، أي خذ ما صفى لك من أخلاق الخلق، ودع عنك ما تعسر منها .. فيجالس أبناء الدنيا بالأدب والمروءة، والأكابر بالتوقير، والإخوان والأصحاب بالانبساط، والفقراء بالرحمة والتواضع، وأهل العلم والدين بما يليق بفضلهم .. فصاحب هذا الخلق الجليل تراه مبتهج النفس في حياة طيبة ..

المادة الثانية: للعقل المكتسب فهي: الاشتغال بالعلوم النافعة: فيستفيد بكل قضية رأياً جديداً، وعقلاً سديداً، وما يزال المشتغل بالعلم يترقى في العلم والعقل والأدب.

والعلم يقوم مقام الرياسات والأموال فمن أدرك العلم فقد أدرك كل شيء، ومن فاته العلم فقد فاته كل شيء وكل هذا في العلوم النافعة.

---

(١) ابن ماجة، أبواب الفتن، باب الصبر على البلاء، ج٢، ص٣٨٨، رقم الحديث ٤٠٨١

أما كتب الخرافات والمجون فإنها تحلل الأخلاق وتفسد الأفكار والقلوب بحثها على الاقتداء بأهل الشر، وهي تعمل في الإيمان والقلوب عمل النار في الهشيم(١).

وأشار «ضميرية، ١٤١٦هـ» إلى أن العقل يطلق على أمرين :

١- القوة الفطرية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان وخلقه عليها متهيئاً بسببها لقبول العلم وهي ما تسمى بالعقل الغريزي .

وهذا العقل هو محل التكليف ومناط الأمر والنهي، فهو حجه الله تعالى على جميع الخلق، وبه يكون التمييز والتدبير في أمر الدين والدنيا .

٢- العلم الذي يستفيده الإنسان لتلك القوة الفطرية السابقة بعد تجارب يمرُّ بها، وعبر يستفيدها من ملاقاة الآخرين، فإن ملاقاتهم تلقيح للعقول وهذا ما يسمى بالعقل المكتسب(٢).

رابعاً: مفهوم الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية :

غالباً ما يذكر هذا المفهوم تحت الاتجاهات العلمية كصفة للباحث المسلم. فهذا «عبيدات، ١٩٩٦م» أشار إلى الانفتاح العقلي بقوله: أن" يحرر الباحث الذهن تماماً من جميع أفكاره المسبقة ويعطي لنفسه الحريّة في البحث والدراسة واكتشاف الحقائق حتى لو كانت مخالفة لمعتقداته(٣)

كما أشار إلى ذلك «الشريف، ١٤١١هـ» بقوله: البعد عن التزمت والجمود والتعصب وتحرير الذهن من الأفكار المسبقة وإعطاء النفس الحرية التامة في البحث والدراسة واكتشاف الحقائق(٤).

---

(١) السعدي، ١٤١٩هـ، ص٣٣ - ص٣٤ .
(٢) ص٢٨٠.
(٣) ص ٣٧.
(٤) ص ٧٥ .

كما أشار إلى ذلك «عريفج، ١٤١٩هـ» بأنه: "الاطلاع باستمرار على جهود غيره من العلماء الذين يعملون في حقل اختصاصه عرباً كانوا أم أجانب"[١].

أما «عطيفة، ١٤١٥ هـ» فقد أشار إلى التفتح الذهني بقوله: "رفض التزمت والجمود العقلي"[٢].

وهناك من أشار إلى التفتح العقلي ومنهم «جابر، ١٩٩٠م» بقوله:

«تحرر العقل والتفكير من التحيز، والجمود، والإصغاء إلى أراء الآخرين وتفهم هذه الآراء واحترامها حتى لو تعارضت مع آرائه الشخصية أو خالفتها تماماً»[٣] و«عسكر وآخرون، ١٤١٨هـ» بأنه: تحرر التفكير من التحيز والجمود وتقبل آراء الآخرين حتى لو تعارضت مع آرائه الشخصية[٤].

وبعد استعراض الباحث لهذه التعاريف ظهر له بأن الانفتاح العقلي من منظور إسلامي: رفض التعصب والجمود العقلي مع القدرة على التقبل، والتعامل، والتفاعل مع الآخرين بقصد الاستفادة مما هو جديد ومفيد سواء مادياً أو معنوياً شريطة عدم تعارض ذلك مع مصادر الشريعة الإسلامية.

والتربية الإسلامية تربية متفتحة مستعدة لإثراء غيرها وإفادته وتقويمه والتأثير الإيجابي فيه، وقابلة للاستفادة من كل صالح ومفيد للإنسان من المعارف والعلوم أياً كان مصدرها أو مكانها، ما دامت في حدود الشرع الإسلامي ؛ لأنها ليست مبنية على التعصب، والجمود، والانغلاق، والتقوقع، فهي تربية متصفة بالحيوية، والشمولية، والاستمرارية لتلبي حاجات الإنسان المتطورة والمستجدة وفق تطور حياة البشرية، وتجدد ظروفها، ومطالبها، ومصالحها، ولا عجب في ذلك فهي:

---

(١) ص ٢٢.
(٢) ص ١١٥ .
(٣) ص ٣٤.
(٤) ص ٤٣.

مستمدة من كتاب الله تعالى الصالح لهداية البشرية قاطبة على تعاقب أجيالها واختلاف أمكنتها وأزمنتها .ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشارحة لأحكام القرآن والمطبقة لها في واقع الحياة الإنسانية.قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه١١٤] . وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء٨٥]. وقال ﷺ: **«الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها»**[1]. وخاصية التفتح في التربية الإسلامية لا تعني أنها تربية ضعيفة غير راسخة القدمين، عالة على غيرها، بل هي تربية مستقلة، ذات شخصية متميزة تستمد قوتها من القرآن والسنة، ولكنها كتربية «إنسانية» موجهة إلى البشر كافة، متفتحة على أفكارهم وتجاربهم وخبراتهم وعلومهم، وكما هي قادرة على إثرائها، وتهذيبها، وتقويمها، فهي قادرة على استقلاليتها وتميزها -على أن تأخذ منها كل ما يفيد الإنسان ويصلح شؤونه ويحسّن مستوى حياته، ويحقق له أسباب القوة والتقدم شرط عدم تعارض ذلك مع مصادرها الربانية القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

(١) الترمذي ،كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ،ج٥، ص٤٩، رقم الحديث ٢٦٨٧

الفصل الثاني

الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية وأهميته

أولاً: العقل والفكر في القرآن والسنة.

ثانياً: معالم الانفتاح العقلي في ضوء القرآن والسنة.

ثالثاً: أهمية الانفتاح العقلي في ضوء القرآن والسنة.

أولاً: العقل والفكر في القران الكريم والسنة النبوية.

لقد زود الله الإنسان بملكة عظيمة يستطيع بها أن يدرك صور المعارف ويفهم الكثير من حقائق الأشياء الماديّة، وحقائق المعاني المجردة، جعلته مسؤولاً عن التفكر في الأدلة الموصلة إلى الحقائق، التي تكشف له طريقي الخير والشر في الدنيا والآخرة، ومسؤولاً عن عقل النفس عن الانزلاق وراء أهوائها، وشهواتها، ونزغاتها التي تتجه به إلى ما فيه شره، أو خيره، أو هلاكه في عاجل أمره، أو آجله .ولذلك اهتم القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهرة بشأن العقل، والفكر اهتماماً عظيماً، وتواردت الأدلة على تمجيدهما، والحث على إعمال العقل، وإعلاء شأن الفكر، وذمّت الذين يعطلون عقولهم، وفكرهم الذين لا يأخذون بوسائل الفهم المتينة، وضوابطه الرصينة، الذين يكتفون بالتقليد الأعمى، وما أشبهه من حجج واهيات، ويستمسكون بالباطل ويصرون عليه، ولو قدمت لهم الحجج القاطعات، والبراهين الساطعات، على أن الحق في غير ما هم عليه وأن ما هم عليه من أمر باطل يجب رفضه ومقاومته لا الأخذ به والانتصار له. وعليه يمكن للباحث توضيح ذلك الاهتمام من القرآن والسنّة النبويّة المطهرة من خلال استعراض الأدلة التالية :

أ- القرآن الكريم :

ففي مقام الحث على إعمال العقل، وإعلاء شأن الفكر نجد أن القرآن يستعرض ذلك بصيغ متعددة وأساليب متنوعة، ويمكن تصنيف ذلك على النحو التالي :

١- أسلوب التعجب الشديد من تعطيل العقل.

ومن صيغه قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ وقد ذكرت هذه الصيغة في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة[١] .

---

(١) عبد الباقي ١٤٠٨هـ، ص٥٩٥ .

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة٤٤].

فهذا «ابن كثير، ١٤١١هـ» يقول في تفسيره لهذه الآية: " كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرون بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه. أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتتبصروا من عميانكم[١].

وهذا «الألوسي، ١٤١٥هـ» : يفسر قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ من هذه الآية، يقول: " أفلا عقل لكم يمنعكم عما تعملون سوء خاتمته ووخامة عاقبته، أو أفلا تعقلون قبيح صنعكم شرعاً لمخالفة ما تتلونه في التوراة[٢].

ويقول «الزمخشري، د.ت»: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم في ذلك مسلوبو العقول لأن العقول تأباه وتدفعه[٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران٦٥].

يقول «القنوجي، ١٤١٠هـ» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ أي تتفكرون في دحوض حجتكم وبطلان قولكم حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

---

(١) ج١، ص٨٢.
(٢) ج١، ص٢٤٨.
(٣) ج١، ص٦٦.
(٤) ج٢، ص ٢٦٢.

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ من هذه الآية، " أي أفلا يكون لكم عقول، بها تدركون، أي الدارين أحسن بالإيثار[١].

ويقول «الألوسي، ١٤١٥هـ»: في تفسيره لقوه تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك حتى تتقوا ما أنتم عليه من الكفر والعصيان ... أي أتغفلون أو لا تتفكرون فلا تعقلون[٢].

وبعد استعراض الباحث لأقوال المفسرين حول قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ ظهر له أن فيها إشارة صريحة واضحة إلى أن العاقل الواعي المتفتح هو الذي يعمل عقله، ولا يتناقض معه، فيعمل بما يعلم، ولا يسوي بين الخبيث والضار والطيب والنافع.

وقو له تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾، وقد ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم[٣].

قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: " قل لهم في بيان الفرق، بين من قبل دعوتي، وانقاد لما أوحي إليّ وبين من لم يكن كذلك ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتنزلون الأشياء منازلها وتختارون من هو أولى بالاختيار والإيثار[٤].

وظهر للباحث أن التفكير يكون فيما يمكن للعقل التفكير فيه من عالم الشهادة مما يجعله طريقاً للإيمان بالله، وهو على العموم بحث عن المعاني العقلية التي تدل عليها الأشياء ويقتضيها العقل، وهذا يدل على أهمية العقل والفكر في القرآن الكريم.

وقو له تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾، وقد وردت مرتين في القران الكريم[٥] وقال

---

(١) ج٢، ص٢٠.
(٢) ج٤، ص١٢٧.
(٣) عبد الباقي، ١٤٠٨هـ، ص٦٦٧.
(٤) ج٢، ص٢٧.
(٥) عبد الباقي، ١٤٠٨هـ، ص٣٢٠

تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ [النساء٨٢]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد٢٤].

يقول «القنوجي، ١٤١٠هـ»: " يقال تدبرت الشيء تفكرت في عاقبته وتأملته ثم استعمل في كل تأمل، والتدبر أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما يصير إليه عاقبته[1]. ودلّت هاتان الآيتان على وجوب التدبر للقرآن الكريم ليعرف معناه، والمعنى أنهم لو تدبروه حق تدبره لوجدوه مؤتلفاً غير مختلف صحيح المعاني قوي المباني، بالغاً في البلاغة إلى أعلى درجاتها، قال ابن عباس: أفلا يتفكرون فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي، وأن أحداً من الخلق لا يقدر عليه[2].

ويقول «الألوسي، ١٤١٥هـ»: " وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواءً كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزاءه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه[3].

ويقول«القرطبي، ١٤١٣هـ»: " تدبرت الشيء فكرت في عاقبته... والتدبير أن يدبّر الإنسان نفسه كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته، وعليه تدل هاتان الآيتان على وجوب التدبر في القرآن الكريم ليعرف معناه[4].

وبعد استعراض أقوال المفسرين لقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ ظهر للباحث: أن التدبر يدل على تفكير عميق مع ما يتبعه من تدبر العواقب، وهو منتج للعلم الذي يدعو للالتزام. والتدبر من أهم أعمال العقل وأشرفها وأجلها، وتدبر القرآن عبادة جليلة القدر، فارقة بين المؤمنين والمنافقين، فالمؤمن يقرأ القرآن بلسانه متفكراً في معانيه، ودلالاته وحججه، ويثمر ذلك عنده تصحيح النيّة والعمل وزيادة

---

(١) ج٣، ص ١٨٦

(٢) القنوجي، ١٤١٠هـ ،ج٣، ص١٨٦.

(٣) ج٣، ص٨٩.

(٤) ج٣ ،ص١٨٧ .

الإيمان، وأما المنافق فلا يجاوز القرآن ترقوته، يقرؤه قراءة ألفاظ فلا يصح له عمل ولا يوجد به إيمان لأن عقله غائب عن قراءته.

٢ – أسلوب التلطف والترغيب في استعمال العقل والفكر في مختلف المجالات.

ومن صيغه الدالة على إعمال العقل وإعلاء شأن الفكر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾"يوسف"، ويقول «الألوسي، ١٤١٥هـ»: في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه من البدائع أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أنه خارج عن طوق البشر مشتمل على ما يشهد أنه منزل من عند خلاّق القوى والقدر[١].

ويقول «ابن الجوزي، ١٤٠٧هـ»: عند قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال ابن عباس: لكي تفهموا[٢].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف٣].

يقول «القنوجي، ١٤١٠هـ»: عند قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لعلكم تفهموه وتتعقلوا معانيه وتحيطوا بما فيه قال ابن زيد لعلكم تتفكرون[٣].

وبعد استعراض أقوال المفسرين لقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تبيّن للباحث ما يلي:

أ- أنّ العقل مدعو لتدبر القرآن الكريم وفهم معانيه.

ب- أنّ العقل إذا انطلق من هدي القرآن الكريم فإن تفكيره يكون صحيحاً ومنضبطاً.

ج- أن للعقل حدوداً، فهناك في القرآن ما يدركه العقل، وهناك ما لا يدركه.

ففي الأول دليل على عظمة الله ووحدانيته .واثبات ذلك بالطرق التي يتوصل

---

(١) ج٦، ص٣٦٧.

(٢) ج٤، ص ١٧٨.

(٣) ج١٢، ص٣٢٨.

العقل إلى فهمها وإدراكها فيصل بذلك إلى حقيقة كنهها وإثبات ما يثبت بها. أما ما لا يدركه العقل بالحدود التي مكنته من الاستنتاج في إطارها فهو مثبت أن العقول لابد أن تصل إلى درجة تعلن فيها التسليم، وتوقن أنه خارج القوى العقلية وأنه يسمو عنها لأنه تنزيل من عند خالقها تعالى. فالعقل أفادنا فيما استطاع فهمه وتوصل لمعرفته، وما لم يتوصل لمعرفته سلم واستفاد قصوره عند القدرة الحكمة الإلهية .

ومن الصيغ أيضاً قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" يقول تعالى: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر٢١].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: "يخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم ويبين له طرق الخير والشر ... فلا أنفع للعبد من التفكير في القرآن والتدبر لمعانيه"[1]. ويقول «قطب، ١٤١٢هـ»: عند قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهي خليقة بأن توقظ القلوب للتأمل والتفكير[2].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل٤٤].

يقول «القاسمي، ١٤١٥هـ»: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين أويتأملون ما فيه من العبر فيحترزون عما أصاب الأولين[3].

---

(١) ج٥، ص٢١٥ .
(٢) ج٦، ص٣٥٣٢ .
(٣) ج٤، ص٥٢٢ .

ويقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: عند قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه فيستخرجون من كنوزه وعلومه، بحسب استعدادهم وإقبالهم عليه[١].

ويقول«قطب، ١٤١٢هـ» : عند قوله تعالى : ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في آيات الله وآيات القرآن فإنهما يدعوان دائماً إلى التفكر والتدبر وإلى يقظة الفكر والشعور[٢].

ومن الصيغ أيضاً قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة٢١٩].

يقول «الألوسي، ١٤١٥هـ» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي في الآيات فتستنبطوا الأحكام منها وتفهموا المصالح والمنافع المنوطة بها وبهذا التقدير حسن كون ترجي التفكر غاية لتبيين الآيات[٣].

ويقول «السعدي ،١٤١٤هـ»عند قوله تعالى :﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه وتعرفوا أن أوامره فيها مصالح الدنيا والآخرة[٤].

ويقول «رضا ،١٣٥٠هـ» عند قوله تعالى :﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيظهر لكم الضار منها أو الراجح ضرره فتعلموا أنه جدير بالترك فتتركوه على بصيرة واقتناع بأنكم فعلتم ما فيه المصلحة، كما يظهر لكم النافع فتطلبوه فمن رحمته بكم لم يرد أن يعنتكم، ويكلفكم ما لا تعقلون له فائدة وإرغاماً لإرادتكم وعقلكم، بل أراد بكم اليسر فعلمكم حكم الأحكام وأسرارها وهداكم إلى استعمال عقولكم فيها، لترتفعوا بهدايته عقولاً وأرواحاً، لا لتنفعوه سبحانه أو تدفعوا عنه الضر فإنه غنيّ عنكم بنفسه، حميد بذاته، عزيز بقدرته[٥].

---

(١) ج٣، ص٣٧.
(٢) ج٤، ص٢١٧٣.
(٣) ج١، ص٥١٠.
(٤) ج١، ص١٩٨.
(٥) ج٢، ص٣٣٩.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة٢٦٦].

يقول «البقاعي، د.ت»: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي ليكون حالكم حال من يرجى أن يحمل نفسه على الفكر ومن يكون كذلك ينتفع بفكره ".

قال الحرالي: " فتبنون الأمور على تثبيت ،لا خير في عبادة إلا بتفكر كما أن الباني لابد أن يفكر في بنائه .كما قال الحكيم: أول الفكرة آخر العمل وأول ا لعمل آخر الفكرة .كذلك من حق أعمال الدين ألا تقع إلا بفكرة في إصلاح أوائلها السابقة، وأواخرها اللاحقة، فكانوا في ذلك صنفين بما يشعر به ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ مطابقين للمثل، متفكر، مضاعف حرثه وجنّته وعامل بغير فكره، لتستهويه أهواء نفسه، فتلحقه الآفة في عمله، في حرثه وجنّته من سابقه ولاحقه[1] .

ويقول «الألوسي، ١٤١٥هـ» عند قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي لعلكم تعملون أفكاركم فيما يفنى ويضمحل من الدنيا وفيما هو باقي لكم في الآخرة ولا تفعلون ما يحزنكم فيها[2] .

وبعد استعراض أقوال المفسرين في هاتين الصيغتين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ و ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ تبيّن للباحث ما يلي:

١- أن المثل من المعطيات المحسوسة التي يقف العقل معها محللاً، ومتأملاً ومفكراً، ويأخذ بدلالاته القوية العقل إلى الصواب الذي قد لا يجده دون دليل مادي، والمثل محفز لإعمال العقل وتحريكه لئلا يكون مجرد متقبل.

٢- التفكر في آيات الله يقود العبد إلى الإيمان بالله، وكلما أزداد تفكر العقل في بديع الصنع الإلهي وتناسقه ازدادت قناعته وإيمانه بقدرة الله ووحدانيته.

---

(١) ج٤، ص٨٨، ٨٩ .

(٢) ج٢، ص٣٨ .

٣- أن القرآن لم يطلب من الفرد أن يكون مطيعاً دون وعي، بل طلب منه أن يستعمل عقله في أسرار الشرع ومراميه، فإن ذلك سبيل للإيقان بأن الشرع هو المناسب حقاً للحياة وذلك عن قناعة تامة.

٤- أن المطلوب من المسلم هو حمل النفس على الفكر السليم، ومحاولة الانتفاع من معطيات الفكر.

وقد حث القرآن الكريم على التفقه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام٦٥].

يقول «القاسمي، ١٤١٥هـ» عند قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي يفهمون ويعتبرون، فيكفوا عن كفرهم وعنادهم[(١)].

ويقول «السعدي، ١٤١٤هـ» عند قوله تعالى: +لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ" أي يفهمون ما خلقوا من أجله، ويفقهون الحقائق الشرعية والمطالب الإلهية[(٢)].

ويقول «الميداني، ١٤٠٨هـ»: والفقه هو الفهم الصحيح لحقائق الأمور[(٣)].

ومن ذلك نخلص إلى أن التفقه: هو المعرفة الحقيقة والفهم الخالص والفطنة ومن ثم فهو أعمق من التفكر والتدبر. والتفقه في الدين، وتعمق معانيه واستخراج كنوزه هو الخير كله، والناس تتفاوت فيه حسبما يمنحهم الخالق تبارك وتعالى، ودلالته واضحة على مكانة العلم وقدره الذي يعد من أهم مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً فيما بعد.

٣- أسلوب المدح لأهل العقول وتخصيصهم بالخطاب:

ومن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ

---

(١) ج٣، ص٣٤٠.
(٢) ج٢، ص٣٥.
(٣) ص١٣.

السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة١٦٤].

يقول «الألوسي، ١٤١٥هـ» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يتفكرون، أخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها أن النّبي ﷺ لّما قرأ هذه الآية قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»[١].

ويقول «القاسمي، ١٤١٥هـ» في قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي يتفكرون فيها وينظرون إليها بعين العقول، فيستدلون على قدرته سبحانه، القاهرة، وحكمته الباهرة، ورحمته الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به جلّ شأنه[٢].

ويقول «قطب ،١٤١٢هـ»: حول قوله تعالى ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ نعم لو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة فاستقبل مشاهد الكون بحس متجدد، ونظرة مستطلعة، وقلب نوّره الإيمان ... أن هذا هو ما يصنعه الإيمان، هذا التّفتح، هذه الحساسية، هذا التقدير للجمال والتناسق والكمال .. إن الإيمان رؤية جديدة للكون، وإدراك جديد للجمال وحياة على الأرض في مهرجان من صنع الله آناء الليل وأطراف النهار[٣].

ويقول «السعدي ،١٤١٤هـ»: " والحاصل، أنه كلما تدبر العقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق[٤] ومثل هذه الدعوة إلى إعمال العقل وإعلاء شأن الفكر متنوع وكثير في كتاب الله فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم٢٤].

---

(١) ج١، ص٤٣١.
(٢) ج١، ص٤٢٣.
(٣) ج١، ص١٥٣.
(٤) ج١، ص١٤٤.

يقول «القنوجي، ١٤١٠هـ» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فإن من له نصيب من العقل يعلم أن ذلك آية يستدل بها على القدرة الباهرة، كيف والعقل ملاك الأمر، وهو المؤدي إلى العلم فيما ذكر وغيره[1]. وقوله تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية٥]. وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل١٢]، وقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم٢١].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يعملون أفكارهم، ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شئ إلى شئ[2].

يقول «القنوجي، ١٤١٠هـ» عند قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إن قوام الدنيا بوجود التناسل لأنهم الذين يقتدرون على الاستلال لكون التفكر مادة له، يتحصل عنه، أو لأن الفكر يؤدي إلى الوقوف عند المعاني المطلوبة من التأنس والتجانس بين الأشياء كالزوجين وأما الغافلون عن التفكر فما هم إلا كالأنعام[3].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية١٣].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ» في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم، في شكر نعمته، وأن تتغلغل أفكارهم، في تدبر آياته وحكمه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

---

(١) ج١٠، ص٢٤٠.
(٢) ج٤، ص٨٠.
(٣) ج١، ص٢٣٧.
(٤) ج٥، ص٩.

ويقول «القنوجي، ١٤١٠هـ» عند قوله تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ خصّ المتفكرين لأنه لا ينتفع بها إلا من تفكر فيها، فإنه يتنقل من التفكير إلى الاستدلال"، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس٢٤].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي نبينها ونوضحها، بتقريب المعاني إلى الأذهان، وضرب الأمثال ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: يعملون الأفكار فيما ينفعهم[1]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام٩٨].

يقول «ابن كثير، ١٤١١هـ» عند قوله تعالى: ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ أي أيفقهون ويعون كلام الله[2].

وبعد استعراض أقوال المفسرين لهذه الصيغ الذي يظهر عليها المدح لأهل العقول وهي: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ توصل الباحث إلى ما يلي:

١- أن ثمرة إعمال العقل والفكر في مخلوقات الله هو معرفة خالقها وهو الله سبحانه وتعالى ومن ثم زيادة إيمان المخلوق بالخالق.

٢- أن إعمال العقل والفكر يرتفع بالإنسان من مجرد أنه مخلوق مع سائر الكائنات إلى أنه مخلوق مميز عنها بقدرة استنتاج المعاني من النظر والتأمل في الأشياء.

٣ - أن إعمال العقل والفكر يؤدي إلى الوقوف عند المعاني المطلوبة من التأنس والتجانس بين الأشياء كالزوجين، والمعطلون عقولهم.

---

(١) ج٢، ص٣٢٨

(٢) ج٢، ص١٥١ .

ما هم إلا كالأنعام.

ومن الدعوات الصريحة في الحث على إعمال العقل وإعلاء شأن الفكر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف١٨٤].

يقول «ابن الجوزي، ١٤٠٨هـ»: في تفسيره لهذه الآية فحثهم على التفكر في أمره ليعلموا أنه برئ من الجنون ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف١٨٥].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ» في معنى هذه الآية أي: أولم يعملوا أفكارهم، وينظروا: هل في صاحبهم، الذي يعرفونه ولا يخفى عليهم من حاله شئ، هل هو مجنون، فلينظروا في أخلاقه وهديه، وصفاته، وينظروا فيما دعا إليه. فلا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها ولا من الأخلاق إلا أتمها، ولا من العقل والرأي إلا ما فاق به العالمين[1].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم٨].

يقول «القرطبي، ١٤١٣هـ»: في تفسيره لهذه الآية إنما أمروا أن يستعملوا التفكر في خلق السماوات والأرض وأنفسهم ،حتى يعلموا أن الله لم يخلق السماوات وغيرها إلا بالحق[2]. ويقول «القنوجي، ١٤١٠ هـ»: في معنى +أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا" أن أسباب التفكر حاصلة لهم، وهم أنفسهم لو تفكروا فيها كما ينبغي لعلموا وحدانيته تعالى وصدق أنبيائه[3]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ٤٦].

---

(١) ج٢، ص١٨٢

(٢) ج ٧، ص٧.

(٣) ج١٠، ص٢٢٩.

وللباحث وقفة مع هذه الدعوة الصريحة في الحث على إعمال العقل والفكر لينظر ماذا قال المفسرون وأهل العلم في ذلك .

وقبل الشروع في أقوال المفسرين يحبذ الباحث أن يشير إلى أن هذه الموعظة موجهة إلى مشركي قريش ، وبسبب اتهامهم لرسول الله ﷺ بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى ، دون تفكر أو تدبر ، شأنهم في ذلك شأن الذين يتبعون أهوائهم ، ويقتفون آثار آبائهم ومتبوعيهم دون دليل وقد أقام الله عز وجل هذه الموعظة العظيمة التي من أخذها بجميع مقوماتها فلا بد أن يصل إلى الحق ؛ وهي في الآية : كون النبي ﷺ رسولاً من عند الله سبحانه وتعالى ، ونذيراً لهم بين يدي عذاب شديد ، وليس كما يزعمون ويرددون دون وعي أو نظر بأنه ساحر أو كاذب أو مجنون ﴿**مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ [سبأ:٤٦]. ولكي يحصل الانتفاع بهذه الموعظة العظيمة ، فلابد من الأخذ بجميع المقومات التي قامت عليها ، وهي :

١- القيام لله تعالى : ﴿**أَن تَقُومُوا لِلَّهِ**﴾ ، والتجرد في طلب الحق .

٢- مراجعة النفس والخلوة بها أو مع شخص ثانٍ : ﴿**مَثْنَى وَفُرَادَى**﴾

٣- التفكر فيما يقوله المخالف﴿**ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾[1] .

وبعد هذه الإشارة إلى وجهة هذه الموعظة في الأصل وسبب توجيهها والتعرف على مقوماتها التي يحصل الانتفاع بالأخذ بها وتطبيقها ، بقي على الباحث أن يشرع في ذكر أقوال المفسرين -رحمهم الله - حتى تظهر أهمية مقومات هذه الموعظة أو حتى تظهر أهمية هذه المقومات :

فهذا «الشوكاني ، ١٤١٢هـ» يقول حول هذه الآية : أي أحذركم بواحدة ، وأنذركم سوء عاقبة ما انتم فيه ،وأوصيكم بخصلة واحدة ؛ وهي +**أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى**" وهذا تفسير للخصلة الواحدة أو بدل منها أي هي : قيامكم وتشميركم في طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً ؛ لأن

---

(١) الجليل ، ١٤١٨هـ ، ج١ ، ص٦١- ص٦٢ .

الاجتماع يشوش الفكر وليس المراد القيام على الرجلين بل المراد القيام لطلب الحق وإصداق الفكر فيه ؛ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمر النبيﷺ وما جاء به من الكتاب فإنكم عند ذلك تعلمون أن ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ ؛ وذلك لأنهم كانوا يقولون: أن محمداً مجنون ؛ فقال لهم: اعتبروا أمري بواحدة ؛ وهي أن تقوموا لله وفي ذاته مجتمعين، فيقول الرجل لصاحبه: هلم فلنصدُق، هل رأينا بهذا الرجل من جنة - أي جنون- أو جربنا عليه كذباً، ثم ينفرد كل واحدٍ عن صاحبه، ليتفكر ولينظر ؛ فإن في ذلك ما يدل على أن محمداً ﷺ صادق، وأنه رسول من عند الله، وأنه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون[1].

ويقول «السعدي، ١٤١٤هـ» في تفسيره لهذه الآية: " أي أعظكم بخصلة واحدة أشير عليكم بها وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي ولا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك وهي ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ أي تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب وإخلاص لله عز وجل، مجتمعين ومتباحثين في ذلك ومتناظرين وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك، فإذا قمتم لله مثنى وفرادى واستعملتم فكركم وأجلتموه وتدبرتم أحوال رسولكم هل هو مجنون فيه صفات المجانين ؛ من كلامه وهيئته ووصفه، أم هو نبي صادق منذر لكم ؟ فلو قبلوا هذه الموعظة واستعملوها لتبين لهم أكثر من غيرهم أن رسولﷺ ليس بمجنون ؛ لأن هيئته ليست كهيئة المجانين وخنقهم واختلاجهم ..فكل من رأى أحواله وقصده استعلم هل هو رسول الله أم لا ؟ سواء تفكر وحده أم مع غيره ؛ جزم بأنه رسول الله حقاً وتبين صدقه[2].

ويقول «قطب، ١٤١٢هـ» حول ظلال هذه الآية :

" وهنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق، ومعرفة الافتراء من

---

(١) ج٤، ص٣٨١، ص٣٨٢.

(٢) ج٤، ص١٩١.

الصدق، وتقدير الواقع الذي يواجهونه من غير زيف ولا دخل ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ إنها دعوة إلى القيام لله عز وجل بعيداً عن الهوى، بعيداً عن المصلحة، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تستجر في القلب، فتبعد به عن الله، بعيداً عن التأثيرات السائدة في البيئة والمؤثرات الشائعة في الجماعة. دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط لا مع القضايا والدعاوى الرائجة ولامع العبارات المطاطة التي تبعد القلب والعقل عن مواجهة الحقيقة في بساطتها، دعوة إلى منطق الفطرة الهادئ الصافي بعيداً عن الضجيج، أو الخبط، أو اللبس، والرؤية المضطربة، والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة، وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة، منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشي والمؤثرات، وعلى مراقبة الله عز وجل وتقواه. وهي +بِوَاحِدَةٍ" إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق: القيام لله، لا لغرض، ولا لهوى، ولا لمصلحة، ولا لنتيجة، التجرد والخلوص، ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجه القائمون لله المتجردون. ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ مثنى ليراجع أحدهما الآخر، ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارئ، لتتبع الحجة في هدوء وفرادى مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادئ عميق ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر والرزانة، وما يقول شيئاً يدعوا إلى التظنن بعقله ورشده، إن هو إلا القول المحكم القول المبين[1].

وبعد هذا الاستعراض المبسط لأقوال بعض المفسرين يعمد الباحث إلى توضيح مقومات هذه الموعظة العظيمة، وشروط الانتفاع بها على النحو التالي:

١ - ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ فالقيام لله عز وجل هو المنطلق لصحة العمل إذا اقترن ذلك بالمتابعة فيه للرسول ﷺ.

---

(١) ج٥، ص٢٩١٤.

٢ - ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ وفي ذلك حكمة وفائدة عظيمة وهي أن الالتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق كغوغائية المجتمعات والتقليد الأعمى ؛ فاتباع كل ناعق قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس متهماً نفسه، ظاناً أن الحق مع الأكثرية، دون أن يدري أن هذه الحركة الغوغائية قد غطت الحق، وضيعت معالمه.

٣ - ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ وهذه هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الحق، بعد الالتزام بالشرطين السابقين، والتفكير، والعلم، وإعمال الرأي هو المتمم لهذا المنهج الإلهي للوصول إلى الحق، وهذا الشرط يقودنا إلى إقامة الدليل والبرهان على ما يعتقد أنه الحق، والكفار الذين خوطبوا مباشرة بهذه الآية لم يكن لديهم الدليل فيما يعتقدونه، وكان المطلوب منهم التفكير بحال الرسول ﷺ وإقامة الدليل على مايتهمونه به ؛ فإذا كان الآمر بالتفكير مع الكفار بهذه الصورة، فإن الأمر بالنسبة لطالب الحق في المسائل الشرعية والعقائدية آكد[١].

ومن أروع ما هدى إليه القرآن في جانب الفكر والعلم: تنويهه بأولي الألباب والنهى أي أصحاب العقول الواعية الصافية، وإلى ذلك يشير «القاسمي، ١٤١٥هـ»: بأنهم ذوو العقول والأفهام[٢].

ويقول «البريكان، ١٤١٨هـ»: إن الله لا يخاطب إلا العقلاء لأنهم الذين يفهمون عن الله شرعه ودينه قال تعالى: ﴿وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[٣].

وقد وردت كلمة ﴿أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ ﴿أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ في القرآن الكريم ست عشرة مرة[٤].

---

(١) الجليل، ١٤١٨هـ، ج١، ص٦٥، ص٦٨.

(٢) ج١، ص٥٠٣.

(٣) ص٤٣، ص٤٩.

(٤) عبد الباقي، ١٤٠٨هـ، ص٨١٨.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة١٧٩].

يقول: «رضا، ١٣٥٠هـ»: في تفسيره لهذه الآية: " فحض بالنداء أصحاب العقول الكاملة، مع أنه عام للتنبيه على أن ذا اللب هو الذي يعرف قيمة الحياة والمحافظة عليها، ويعرف ما تقوم به المصلحة العامة وما يتوصل به إليها ... وكأنه يقول: أن ذا اللب هو الذي يفقه سر هذا الحكم، وما اشتمل عليه من الحكمة والمصلحة، فعلى كل مكلف أن يستعمل عقله في فهم دقائق الأحكام، وما فيهما من المنفعة للأنام(١).

ويقول «القنوجي، ١٤١٠هـ»: في معنى ﴿يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ﴾ أي يا ذوي العقول الكاملة جعل هذا الخطاب موجهاً إلى أولي الألباب وناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس لأنهم هم الذين ينظرون في العواقب ويخافون ما فيه الضرر العاجل ... والألباب جمع لب، وهو العقل الخالي من الهوى، سمي بذلك لأحد وجهين إما لبنائه من لب المكان أقام به وإما من اللباب وهو الخالص(٢)

وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة١٩٧]

ويقول «السعدي، ١٤١٤هـ»" أي يا أهل العقول الرزينة اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل وفساد الرأي(٣).

وقال تعالى: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة١٠٠].

يقول «الألوسي، ١٤١٥هـ» ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ في تحري الخبيث

---

(١) ج٢، ص١٣٣.
(٢) ج١، ص٣٥٧.
(٣) ج١، ص١٧٩.

وأن كثر وآثروا عليه الطيب وأن قل فإن مدار الاعتبار هو الخيرية والرداءة لا الكثرة والقلة، وفي الأكثر أحسن كل شئ أقله، ولله در من قال: والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمرٌ عنا[1].

ويقول «القرضاوي، ١٤١٦هـ»: إن كثيراً من الناس يهتمون بالكم والعدد، ولا يهتمون بالكيف والنوع، ولكن أولي الألباب هم الذين يعنيهم الكيف، ويهمهم الطيب وأن كان قليلاً، لهذا أمرهم الله بالتقوى رجاء الفلاح في الدنيا والآخرة[2]. وقال تعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [البقرة٢٦٩]، وهذه الآية ترشد إلى أن من أحق من ينتفع بالحكمة هم أولى الألباب وهم أهل العقول الوافية والأحلام الكاملة، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه، والضار فيتركونه[3].

وقال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ [آل عمران٧].

يقول «أبو السعود، د.ت»: ﴿إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائغة وهو تذييل سبق من جهته تعالى مدحاً للراسخين بجودة الفهم وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ [آل عمران١٩٠].

يقول «أبو السعود، د.ت» ﴿لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾ ي لذوي العقول المجلوّة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين من العوائق

---

(١) ج٤، ص٣٧.
(٢) ص٢٣.
(٣) السعدي، ١٤١٤هـ، ج١، ص٢٤١.
(٤) ج١، ص٣٣.

الظلمانية المتأملين في أحوال الحقائق وأحكام النعوت المراقبين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في النفس والآفاق الناظرين إلى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود[1].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر٩].

ويقول «القنوجي، ١٤١٥هـ»: إنما يتعظ بوعظ الله ويتدبر ويتفكر فيه أصحاب العقول الصافية، والقلوب النيرة وهم المؤمنين لا الكفار، فإنهم وإن زعموا أن لهم عقولاً فهي كالعدم ...[2].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر١٨].

يقول «الألوسي، ١٤١٥هـ»: ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى، المستحقون للهداية لا غيرهم، وفي الآية دلالة على حط قدر التقليد المحض ولذا قيل:

شمّر وكن في علوم الدين مجتهداً ولا تكن مثل عَيْر قاد فانقاد[3]

ويقول «القنوجي، ١٤١٠هـ»: ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي هم الذين أوصلهم إلى الحق، وهم أصحاب العقول الصحيحة، لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم، ولم ينتفع من عداهم بعقولهم ... وفي الآية إشارة إلى إيثار الإتباع وترك التقليد، لأن الله قد أثنى على المتبعين بكونهم مهدين، وسماهم أولي الألباب، ولم يثن على التقليد ولا على أهله في موضع من القرآن الكريم، بل ذمه وذمهم في غير موضع[4].

---

(١) ج١، ص٤٦٤.

(٢) ج١٢، ص٨٩.

(٣) ج١٢، ص٢٤٣.

(٤) ج١٢، ص٩٧، ص٩٨.

ويقول «السعدي ، ١٤١٤هـ» في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي العقول الزكيّة ومن لبهم وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن وغيره، وآثروا ما ينبغي إيثاره على ما سواه. وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل، سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، حسنها، وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة أو الذي يميز[1].

هذا ما يتعلق بأولي الألباب أما أولو النهى ، فالنهى: جمع نهيه وهي اسم للعقل، يقول «الرازي، ١٩٨٨م»: «النهية» بالضم واحدة «النهى» وهي العقول لأنها تنهى عن القبيح[2].

وقد وردت هذه اللفظة في القران الكريم مرتين كلتاهما في سورة «طه»[3].

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ [طه٥٤].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ» في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ أي لذوي العقول الرزينة، والأفكار المستقيمة، على فضل الله، وإحسانه، ورحمته، وسعة جوده، وتمام عنايته ... وخص الله أولي النهى بذلك، لأنهم المنتفعون بها، الناظرون إليها نظر اعتبار .

ويقول «أبو السعود، د.ت» ﴿لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ النهى جمع نهيه سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك أي لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية[4].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ [طه١٢٨].

---

(١) ج٤ ،ص٢٩٩ .

(٢)ص٢٨٤.

(٣) عبد الباقي، ١٤٠٨هـ، ص٨٩٢ .

(٤) ج٣، ص٤٦٩ .

يقول «الألوسي، ١٤١٥هـ : ﴿لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾ أي لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه هؤلاء المنكر عليهم من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي»[1]

٤- أسلوب الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها :

وفي المقابل ذم الله الذين يعطلون عقولهم وفكرهم فقال الله تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة١٧٠] .

يقول «رضا ، ١٣٥٠هـ» : في تفسيره لقوله تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ ... أيتبعون ما ألفوا عليه آباءهم في كل حال وفي كل شئ ولو كان آباءهم لا يعقلون شيئاً من عقائد الدين إذ يسلكون طريق العقل بالاستدلال على أن ما هم عليه من العقائد والعبادات حق ولا يهتدون في أحكامه وأعماله بوحي من الله جاءهم به رسول من عند الله .."[2] .

وقال البيضاوي : " أي لو كان أباؤهم جهلة لايفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم"[3] .

ويقول «قطب ، ١٤١٢هـ» في ظلال هذه الآية : وسواءً كان هؤلاء الذين تعنيهم الآية هم المشركون الذين تكرر منهم هذا القول كلما دعوا إلى الإسلام ... أو كانوا هم اليهود الذين كانوا يصرون على ما عندهم من مأثور آبائهم .. سواءً كانوا هؤلاء أم هؤلاء فالآية تندد بتلقي شئ في أمر العقيدة من غير الله ؛ وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا أدراك : ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ أولو كان الأمر كذلك، يصرون على اتباع ما وجدوا عليه آباءهم ؟ فأي جحود هذا

---

(١) ج٨، ص٥٨٨ .

(٢) ج١، ص ١٢٠ .

(٣) ج٢، ص٩١ .

وأي تقليد ؟ ومن ثم يرسم لهم صورة تليق بهذا التقليد وهذا الجحود، صورة البهيمة، التي لا تفقه ما يقال لها .. بل هم أضل ..فالبهيمة ترى، وتسمع، وتصيح وهم صم بكم عمي. ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة171] . صم، بكم، عمي ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون، فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها، وكأنهم إذن لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون. وهذا منتهى الزراية لمن يعطل تفكيره، ويغلق منافذ المعرفة والهداية، ويتلقى في أمر العقيدة والشريعة من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منها أمر العقيدة والشريعة[1] .

ويؤكد ذلك «السعدي، ١٤١٤هـ» بقوله: " لَمّا بيّن تعالى، عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك، بالتقليد، وعلم من ذلك أنهم غير قابلين للحق، ولا مستجيبين له، بل كان معلوماً لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم. أخبر تعالى، أنّ مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها، فهم يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهون فقهاً ينفعهم فلهذا كانوا صماً، لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول. عمياً لا ينظرون نظر اعتبار. بكماً فلا ينطقون بما فيه خير لهم والسبب الموجب لذلك كله تعطيلهم لعقولهم وفكرهم"[2].

وقال تعالى في بيان أباطيل المشركين وما فعلوه في تحريم ما أحلّ الله من الأنعام: ﴿مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة103] .

يقول «الألوسي، ١٤١٥هـ»: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾.

إنهم المقلدون لأسلافهم المفترين من معاصري رسول الله ﷺ، وهذا بيان

(١) ج١، ص١٥٥- ص١٥٦.
(٢) ج١، ص١٥٠ .

لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم[1]، ويقول «أبو السعود، د، ت»: إنه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبقون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم[2].

وقال تعالى في وصف الّذين عطلوا عقولهم وفكرهم: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال٢٢].

يقول «البغوي ،١٤١٧هـ»: سمّاهم «دواب» لقلة انتفاعهم بعقولهم[3] ويقول «الألوسي، ١٤١٥هـ» عند قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ تحقيقا لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره ويهتدي إلى بعض مطالبه، أمّا إذا كان فاقداً للعقل أيضاً فقد بلغ الغاية في الشرّية وسوء الحال، وبذلك يظهر كونهم شر الدواب حيث أبطلوا ما به يمتازون عنها[4].

ويقول «أبو السعود، د.ت»: ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ تحقيقاً لكمال سوء حالهم فإن الأصم الأبكم إذا كان له عقل ربما يفهم بعض الأمور ويفهمه غيره بالإشارة ويهتدي بذلك إلى بعض مطالبه وأمّا إذا كان فاقداً للعقل أيضاً فهو الغاية في الشرّية وسوء الحال، وبذلك يظهر كونهم شراً من البهائم حيث أبطلوا مابه يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله فصاروا أخس من كل خسيس[5].

ويقول «السعدي ،١٤١٤هـ» : ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ ما ينفعهم، ويؤثرونه على ما يضرهم[6].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [يونس١٠٠].

---

(١) ج ٤، ص٤٣.
(٢) ج ٢، ص ٩٧.
(٣) ج٣، ص٣٤٣.
(٤) ج٥، ص١٧٦.
(٥) ج٢، ص٣٥٤.
(٦) ج٢، ص٢٠٥.

ويقول «أبو السعود، د، ت»: ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ أي لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات[(١)].

"وقد جعل الله عليهم الرجس: أي النجاسة والقذر، وهو رجس معنوي وعقوبة قدرية، جزاء تعطيل العقول" «القرضاوي[(٢)]».

ويقول «ابن كثير، ١٤١١ هـ»: فكل الأنفس قابلة للإيمان والاهتداء إلا أنفس الذين ألغوا عقولهم فقد جعل الله عليهم الرجس، وهو الخيال والضلال[(٣)].

وقال سبحانه وتعالى في وصف اليهود: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر١٤].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ» عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أي لا عقل عندهم ولا لب .فإنهم لو كانت لهم عقول، لآثروا الفاضل على المفضول ،ولما رضوا لأنفسهم بأبخس الخطتين ولكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة فبذلك يتناصرون ويتعاضدون، ويتعاونون على مصالحهم الدينية والدنيوية[(٤)] . إ ذ العقل الواعي يقتضي من أهله أن تجتمع قلوبهم على هدف واحد، ومنهج واحد لا أن تجتمع أجسامهم وقلوبهم متفرقة[(٥)] والملاحظ أن هذا الأسلوب سلك فيه القرآن سبيل الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها، حيث أنكر عليهم أن يغلقوا عقولهم، ويهملوا أفكارهم ،وهو بهذا يريد أن تكون لهم شخصية كريمة واعية متفتحة تجعل لهم حياة مستقلة ،تأبى عليهم أن يفنوا في غيرهم ،وترتفع بهم عن أن يصبحوا إمّعات تتلاشى عقولهم بجانب من يقلدونهم.

---

(١) ج٢ ص ٥٣٠ .

(٢) ١٤١٦ هـ، ص ١٨

(٣) ج٢ ،ص ٤١٥ .

(٤) ج٥، ص٢١٢

(٥) القرضاوي، ١٤١٦هـ، ص١٩ .

وبالنظر لهذه الآيات وغيرها في كتاب الله عز وجل يخلص الباحث إلى عدم ورود لفظة «العقل» بصيغة الاسم، وإنما وردت بصيغة الفعل «عقلوه، يعقلون، نعقل».

يقول «الصافي، ١٤١٩ هـ»: وفي ذلك إشارة إلى أنه فعل يمارس وليس مجرد عضو يستخدم أو يعطل[1]. لكن وردت مرادفات له مثل: الألباب، والنهى، إضافة إلى الألفاظ التي تدعو إلى التفكر، والتدبر، والتفقه، وغيرها من الألفاظ التي تدور حول الوظائف العقلية، على اختلاف معانيها وخصائصها.

كما أنه لا يوجد كتاب أطلق للعقل نشاطه، واهتم بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم لقد جاءت دعوة القرآن الكريم إلى إعمال العقل والإعلاء من شأن الفكر في آيات كثيرة وهذه الآيات تفيض بالدعوة إلى إعمال العقل والإعلاء من شأن الفكر بأساليب متعددة:

١- فتارة يظهر التعجب الشديد من تعطيل العقل ومن ذلك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ .

٢- وتارة يتلطف ويرغّب في استعمال العقل والفكر في مختلف المجالات، ومن ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

٣ - وتارة يمدح أهل العقل ويخصهم بالخطاب، ومن ذلك ﴿أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾.

٤ - وتارة يسلك سبيل الذم البالغ لمن يهملون عقولهم ويعطلونها، ومن ذلك ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

هذه الأساليب المختلفة في الدعوة إلى إعمال العقل تؤكد مكانة العقل في القرآن الكريم، وتنبه الإنسان إلى أن من أخص خصائصه التفكير والتدبر، والتفقه، والتعقل، فلا ينبغي له التنزل عن أخص خصائصه بتعطيله، وإلا فقد تنزّل عن إنسانيته، وصار كالأنعام.

---

(١) ص٩.

إن هذه الدعوة القرآنية للعقل من شأنها أن تفتح المدارك، وتثير التفكير، وتحمل على الاستزادة من العلوم والمعارف، وتفصل بين الحقائق والأوهام ؛ ذلك أن الإنسان إنما يحدث له الرقي العلمي والتقدم الحضاري - الذي هو ثمرة من ثمار الفكر الناضج والانفتاح العقلي- إلا بالعمل العقلي.

إن دعوة القرآن إلى إعمال العقل هي منهج العلم في أصدق أصوله، وأرسخ قواعده، وهي العامل الأساسي الذي فتق الأذهان عن روائع الحضارة الحديثة، وسخر للناس مالم يكونوا يحلمون به.

والعقل الذي يخاطبه القرآن هو العقل الواعي المتفتح الذي يدرك الحقائق، ويميز بين الضار والنافع، والخير والشر، وهو العقل الذي يقابله الجمود، والعنت، والضلال.

ب – السنة النبوية المطهرة :

وكما مر معنا أن القرآن الكريم منبع التربية الإسلامية الأول يظهر مكانة العقل بالحث على إعمال العقل والفكر، والنهي عن تعطيلهما، فكذلك السنة النبوية المطهرة المنبع الثاني للتربية الإسلامية، والشارحة، والموضحة لكلام الله عز وجل تظهر مكانة العقل بالدعوة إلى إعماله، كما أنها وضعت له حدوداً وضوابط لا يخرج عنها ولا يتعداها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه»**[1]، فالإسلام في جملة أحكامه وتعاليمه دين العقل والحكمة، يجعل أتباعه دائماً في تدبر، وإمعان للنظر في كل ما يحيط بالإنسان في الكون، والحياة. وعن علي رضي الله عنه قال : «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ولا في عبادة ليس فيها تفقه»[2].

ومن الدعوات الصريحة إلى إعمال العقل والإعلاء من شأن الفكر قول

---

(١) الحاكم، كتاب العلم، فصل في توقير العالم، ج١، ص١٢٣

(٢) الجمال، ١٤١٤هـ، ج١، ص١٩٨.

المصطفى ﷺ : **«تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله، فإنكم لن تقدروا قدره»**[1]. وفي هذا الحديث تحديد لمسار العقل الذي يطيق السير فيه، مع إعفائه مما لا يطيق، وكل من تعدى ذلك من المفكرين المسلمين وغيرهم انتهى للإفلاس والاعتراف بالفشل ؛ لأنهم أقحموا عقولهم فيما لم يخلقها الله له، ولا هيأ لها التفكير فيه، ولا أعطاها القدرة على الوصول من ذلك إلى طائل.

يقول «الزنيدي ، ١٤١٥هـ» : " وقد أدى هذا بالمسلمين إلى زيغ عن الحق، وضلال في الاعتقاد، لدى كثير ممن تجاوز هذا الضابط، وإلى تقهقر وانكماش للحضارة الإسلامية نظماً، وعمراناً لانصراف الجهود الفكرية عن مجالاتها الصحيحة[2] غير أن ذلك ليس معناه أن الإسلام يحجر على العقل أو الفكر، وإنما معناه تحديد مسار العقل حتى لا يدخل في متاهات تضره ولا تنفعه وإنما فعل الإسلام ذلك عصمة للعقل عن الضلال والضياع، وإقناعاً له بأن من الحق أن يتوقف عند حدود ما فطره الله عليه ومكّنه منه، والوقوف عند هذه الحدود هو منهج المصطفى ﷺ حيث قال: **«لا يزال النّاس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله»**[3].

وفي رواية لمسلم أيضاً أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله، ولينته»**[4] وإذا كنّا في حياتنا لا نفهم أشياء كثيرة نعايشها كالروح، والحواس وحدودها، والعقل وماهيته، والمشاعر، والنفسيات، وكثيراً مما يحتويه الجسم من وظائف، وأعضاء دقيقة ... فإن هذا مما يمنعنا من التطاول فوق حدود المعقول[5]. والإسلام سمح للعقل أن يفكر في أمور عديدة،

---

(١) أبو نعيم، د.ت، ج٦، ص٦٧

(٢) ص٦٩.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ج١، ص١١١، رقم الحديث ١٣٤.

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ،ج١، ص١١١، رقم الحديث ١٣٤.

(٥) الحميدان ،١٤١٨هـ، ص٢٨

مما يحيط به، ومما تقع عليه حواسه ليؤمن بقدرة الله، وعظيم خلقه، وأوجب عليه أن يفكر في أمور الدنيا ليعمر الأرض.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

ويشير «محمود، ١٤١٢هـ» إلى ذلك بقوله: " إن المسلم الذي يمتنع عن هذا التفكر، وهو قادر عليه، آثم عصى الله سبحانه فيما أوجب عليه من إعمار الأرض، ولو فقه المسلمون اليوم هذا المطلب لما سبقهم أحد من النّاس إلى كشف أو اختراع، كما كانوا كذلك يوم كانوا على هذا الفقه للدين فخلفوا للإنسانية في مجال العلم، والكشف، والاختراع ما استطاع الغرب أن يقيم على أسسه نهضته العلمية ثم زاد عليها"(١).

أمّا عن مواقفه ﷺ التي تدل على إعماله المستمر لعقله وفكره، بل تدل على أنه صاحب عقلية واعية متفتحة، و منضبطة تحترم آراء الآخرين على حد سواء دون تعصب لشخص دون آخر أو لجماعة دون أخرى ومن ذلك استشارته لأصحابه في القتال في معركة بدر الكبرى. قال ابن إسحاق: وأتاه - يعني رسول الله ﷺ - الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنع عيرهم فاستشار النّاس، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له

(١) ص ٢٦٩.

بخير." وقد أخرج قول المقداد رضي الله عنه الإمام «البخاري، ١٤١٩هـ»: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحبّ إليّ مما عدل به» ثم ذكر نحوه[١].

" وهؤلاء القادة الثلاثة كانوا من المهاجرين، وهم أقليّة في الجيش، فأحب رسول اللهﷺ أن يعرف رأي قادة الأنصار، لأنهم كانوا يمثلون أغلبية الجيش، ولأن ثقل المعركة سيدور على كواهلهم، مع أن نصوص العقبة لم تكن تلزمهم بالقتال خارج ديارهم[٢]. ثم قال رسول اللهﷺ: «**أشيروا عليّ أيها النّاس**»، وإنما يريد الأنصار، وفطن ذلك قائد الأنصار وحامل لوائهم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال: أجل، قال: فقد آمنّا بك، فصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً إنّا لصُبُرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء، لعل الله يريك منّا ما تقرّ به عينك، فسرْ بنا على بركة الله وفي رواية أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال لرسول اللهﷺ: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم فأضعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لأن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرنّ معك، ووالله لأن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك[٣]. فسُرّ رسول اللهﷺ بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا أبشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن انظر إلى مصارع القوم»[٤].

(١) كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، ص ٧٥٢، رقم الحديث ٣٩٥٢.
(٢) المباركفوري، ١٤٠٠هـ ص٢٣١
(٣) ابن القيم ،١٤٠٦هـ، ج٣، ص١٧٣
(٤) ابن كثير، د.ت، ج٣، ص٦٦٢ص٦٦٣.

إنها كلمات معدودة صدرت من هؤلاء القادة لكن كان لها أثر عظيم في النفوس، وأيقاظ المشاعر نحو التجرد من حظ النفس، والاندفاع بقوة نحو نصرة دين الله تعالى.

ويصف «الحميدي، ١٤١٨ هـ» ذلك الموقف من الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "وإنه لتخطيط محكم من رسول الله ﷺ حيث لم يقدم بهم على دخول المعركة وأمر إقدامهم غير واضح إذ أنهم لم يخرجوا أصلاً لقتال، فاستشارهم في الأمر ليتثبت منهم، وليدفع أقوياء الإيمان إلى المشاركة في إنهاض الهمم، وشحذ العزائم"[1].

ومن مواقفه ﷺ في ذلك أيضاً اهتمامه بمعرفة واقع العدوّ قبل لقائه في هذه المعركة، حيث قام بنفسه بعملية الاستكشاف ومعه رفيقه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبينما هما يتجوّلان حول معسكر مكة إذا هما بشيخ من العرب، فسأله رسول الله ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: أذاك بذاك ؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه قريش، فلمّا فرغ من خبره، قال ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه، فقال الشيخ: ما من ماء ؟ أمن ماء العراق؟[2] ، وهكذا استفاد النبي ﷺ من ذلك الأعرابي فأخذ منه خبر قريش، بينما عمّى عليه خبر جيش المسلمين فلم يعرف عنه شيء وفي هذا توجيه منه ﷺ لقادة أمته كي يستفيدوا من كل من يواجهونه في طريقهم لرصد أعدائهم مع الاحتفاظ الكامل لأسرار الجيش الإسلامي.

(١) ج، ص٩٣ .

(٢) عبد الوهاب، د.ت، ص٢٥٥

وما قام به ﷺ من معاملة ذلك الرجل داخل في التوجيه العام الذي جاء في قوله ﷺ: «الحرب خدعة»[1].

ومن مواقفه ﷺ في هذه الغزوة «غزوة بدر الكبرى» التي تدل على إعماله لعقله، وفكره، وعدم تعصبه، نزوله ﷺ عند رأي الخبراء وأهل المعرفة: "وسار رسول الله ﷺ حتى نزل أدنى ماء من مياه بدر، وسبق قريشا إلى بدر. ومنع قريشا من السبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ولم يصب منه المسلمين إلا ما لبّد لهم دهس الوادي وأعانهم، فنزل ﷺ على أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فأتاه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل منزل أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي، والحرب والمكيدة؟ فقال ﷺ: «بل هو الرأي، والحرب، والمكيدة»، فقال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل فانهض بناحتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغوّر ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من النّاس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب فغوّرت، وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية[2]. وهذا يصور مثلاً من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه حيث كان أي فرد من أفراد ذالك المجتمع يدلي برأيه حتى في أحلك المواقف، وأخطر القضايا، ولا يكون في شعوره احتمال غضب الرسول ﷺ أو تعصبه لرأيه، أو عدم الإلتفات إلى رأيه وعليه فإن هذه "الحرية التي ربّى عليها رسول الله ﷺ أصحابه مكّنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحاً باهراً وإن كان حديث السن لأنه لم يكن يفكر لمجرد آراء عصبية مهيمنة عليه

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، ص ٥٧٩، رقم الحديث ٣٠٣٠.

(٢) ابن هشام، د.ت، ج٢،١، ص٦٢٠.

قد تنظر لمصالحها الخاصّة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامّة، وإنّما يفكر بآراء جميع أفراد جنده..."[1].

ويصف «الشامي، ١٤٠٥هـ» كلمة الحباب التي جاءت مقدمة لاقتراحه بقوله: " هي الفقه كله، فهي تمثل منهج الإسلام، وتحدد مجال الرأي، فما كان أمراً من الله فلا مجال للتقدم عليه أو التأخر عنه، إذ لا مجال للعقل والرأي في هذه الدائرة، وإنما الواجب إزاء ها التنفيذ والإلتزام وحيث لا يوجد النص فالواجب ا لاجتهاد وإعمال العقل[2]

ومن مواقفه ﷺ التي تدل على إعماله المستمر لعقله وفكره بل تدل أنه صاحب عقلية واعية متفتحة، موقفه ﷺ من قضية تأبير النخل فعن موسى بن طلحة عن أبيه رضي الله عنهما قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل، فقال ﷺ: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا: يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيُلقح، فقال رسول الله ﷺ «ما أظن يغني ذلك شيئا» قالوا: فأخبروا بذلك فتركوه. فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه .فإني إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به .فإني لن أكذب على الله عز وجل**»[3]، وفي رواية رافع بن خديج قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل يقولون يلقحونه النخل. فقال: ما تصنعون؟ قالوا كنا نصنعه قال: «**لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا**» فتركوه، فنقضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له ﷺ فقال: «**إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوه، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر**»[4]، وفي رواية أنس أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلقحون،

---

(١) الحميدي، ١٤١٨ هـ، ج٤، ص١٠٨.

(٢) ص١٩٦- ص١٩٧.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي ج٤، ص١٤٦٤، رقم الحديث ٢٣٦١.

(٤) مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً ج٤، ص١٤٦٤، رقم الحديث٢٣٦٢.

فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» قال: فخرج شيصاً فمرّ بهم فقال: «ما لنخلكم ؟» قالوا: قلت كذا وكذا، قال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»[1]، وفي هذه القصة تظهر صفة الانفتاح العقلي عند المصطفى ﷺ جليّة حيث إنه لم يتعصب لرأيه، ولم يقطع فيها برأي كما هو ظاهر من الحديث وإنما قال ﷺ: «**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً وإنما أنا بشر، أنتم أعلم بأمور دنياكم**». بل ترك الناس يتصرفون في أمور دنياهم بمعرفتهم ،لأنهم أعلم بها وأخبر بدقائقها[2] .

يقول «القرضاوي، د.ت»: فالقانون الذي يجب الخضوع له هنا: هو القانون الذي تنتجه الخبرة، والممارسة، أو المشاهدة، والتجربة، ويكفي العقل الإنساني في هذه الأمور هاديا ودليلا، أما الوحي فحسبه أن يضع للناس القيم والمبادئ العامة والضوابط، ثم يدع البشر يتصرفون تبعا لما يعلمون، وحسبهم هذه الكلمة الجليلة" أنتم أعلم بأمور دنياكم" ص٢٩.

ومن مواقفه ﷺ التي تدل على أنه صاحب عقلية واعية ومتفتحة توجيهه لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اشتد أذى المشركين على المسلمين في مكة المكرمة، ولقد واجه المسلمون ذلك الأذى بالصبر الجميل ولكن المشركين أصبحوا يضاعفون من ذلك الأذى كلما تقدم بهم الزمن ورأوا أن كفة المسلمين تعلو شيئا فشيئا بدخول بعض أشراف أهل مكة في الإسلام، فلما رأى النبي ﷺ زيادة إيذاء المشركين على أصحابه وجههم إلى الهجرة ليسلموا من الأذى وليعبدوا الله تعالى في حرية، وليقوموا بنشر الإسلام في بلاد أخرى ،وقد اختار لهم الحبشة لما اشتهر عن حاكمها من العدل والرحمة[3] ، لقد أدرك الرسول ﷺ ذلك بحنكته، وفطنته، وعقليته، الواعية والمتفتحة تصميم العدو على استخدام أي أسلوب لوقف الدعوة عند حدها وخنقها وهي بعد في المهد ،ورأى أن يمنح المعذبين من أصحابه فترة من

---

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ماقاله شرعًا ج٤، ص١٤٦٤، رقم الحديث ٢٣٦٣.

(٢) قطب، ١٤١٢هـ، ص١٧٢ .

(٣) الحميدي، ١٤١٨هـ ،ج٢ ص٨٥

الوقت يستردون فيها أنفاسهم، ويستعيدون قواهم النفسية، والجسدية ويعودون ثانية إلى ساحة الصراع وهم أقدر وأصلب وعسى الله أن يحدث - خلال ذلك- أمرا كان مفعولا، فأشار عليهمﷺ بالهجرة إلى الحبشة[1].قائلا لهم: «**إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه**»[2]، " وكان اختيار الحبشة داراً لهجرة المسلمين خطوة موفقة من خطوات الرسولﷺ المدروسة، فهناك، إضافة إلى الصفة التي وصف بها ملكها في الحديث المروي عن النبيﷺ، تيسُّر السفر إليها بالسفن ومساعدة الرياح الموسميّة لهذا السفر البحري في ظروفه، فضلا عن العلاقات المذهبية الطيبة بين الإسلام والنصرانية.."[3].

وبالنظر والتأمل في هذا الموقف يظهر للباحث: أن على الراعي «المسئول» إذا وجد رعيته في خطر على حياتهم أو معتقداتهم أن يهيئ لهم مكاناً يأمنون فيه من عدوان المبطلين. أن الرسولﷺ وأصحابه لم يكونوا في عزلة عن العالم من حولهم رغم صعوبة المواصلات بين الأقطار بعضها وبعض[4].

---

(١) خليل، ١٤١٨هـ، ص٦٤.
(٢) ابن هشام، د.ت، ج١، ص٣٢١، ص٣٢٢
(٣) خليل، ١٤١٨هـ، ص٦٥.
(٤) القرضاوي، د.ت، ص٤٦.

ثانياً: معالم الانفتاح العقلي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن ينشأ علم صحيح إلا في مناخ نفسي وفكري يهيئ للعقول أن تفكر، وللأفكار أن تتفتح، وللآراء أن تناقش، ولصاحب الحجة أن يدلي بحجته، وهذا ما يعمل القرآن الكريم على إيجاده وذلك بدعوته القوية، وتوجيهاته المتكررة على تكوين عقلية واعية متفتحة مدركة لما يقال لها ويعرض عليها عقلية لا ينهض العلم إلا على عاتقها، وقد وضح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة المعالم الأساسية التي تقوم عليها هذه العقلية على النحو التالي:

١ – رفض الظن في موضع اليقين:

إن العقلية الواعية والمنضبطة بضوابط الإسلام ترفض الظن في كل موضع يتطلب فيه اليقين، ففي القضايا الكبرى: القضايا الاعتقادية، لا يكفي فيها الظن، بل لابد فيها من العلم واليقين.

يقول «القرضاوي، ١٤١٦هـ»: "قد يكفي الظن في قضايا الفروع والجزئيات، التي تقوم عليها تعاملات الناس بعضهم ببعض ولهذا تقبل شهادة الشهود مع احتمال الخطأ والكذب ...أما القضايا الكبرى فلا يستغنى فيها عن اليقين"[1].

ومن هنا أنكر القرآن على المشركين اتباعهم للظن في هذه القضايا فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ عَلَيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس٣٦]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [النجم٢٨].

يقول «السعدي، ١٤١هـ» والمشركون إنما يتبعون في ذلك القول القبيح،

---

(١) ص٢٥٠.

وهو: الظن الذي لا يغني من الحق شيئا، فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة والبراهين الساطعة[1].

ويقول «أبو السعود د.ت»: " إن الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم، والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية، وإنما يعتد به العمليات وما يؤدي إليها[2] وقال سبحانه في شأن المشركين عموما، ودعوتهم للأصنام من دون الله: ﴿**أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾ [يونس٦٦]. وردّ القرآن الكريم مزاعم اليهود والنصارى في صلب عيسى عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ [النساء ١٥٧- ١٥٨].

ومن السنة النبوية المطهرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والظن. فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا**»[3].

إن العقلية الواعية المتفتحة ترفض الظن لأسباب يترتب عليها فيما بعد أضراراً تؤثر على العقل ومنها:

١- أن الظن لا ينبني على قاعدة ولا يستند على دليل وهو الشكوك التي تعترض للبشر والآراء التي يرتؤونها مما لا يستندون فيه على دليل شرعي ثابت، فيجعلونها حقاً ويقيناً وهي حدْس وأوهام.

٢- أن اتباع الظن لا ينتهي بالإنسان إلاّ إلى الضلال والابتداع.

---

(١) ج٥، ص١٣٠ .

(٢) ج٥، ص٦٤٧ .

(٣) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها ج٤، ص١٥٧٦، رقم الحديث ٢٥٦٣ .

٣ – أن التفكير إذا بني على الظن كان نتيجته الحتمية الضلال والزيغ.

٢ – عدم اتباع الهوى:

الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[(١)]. وبذلك يهوي الإنسان في دركات الضلال، في الدين والدنيا، لأنه مخالف لطريق الهداية المستقيم الذي يرسمه له الوحي، ولقد جاءت الآيات القرآنية تحذر من اتباع الهوى وتبين آثاره فقال تعالى في خطابه لداود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص٢٦].

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ فتميل مع أحد لقرابته، أو صداقته، أو محبته، أو بغض للآخر[(٢)] ويقول «القاسمي، ١٤١٥هـ»: +وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى"" أي هوى النفس من الميل إلى مال، أو جاه، أو قريب، أو صاحب[(٣)] ويقول تعالى في ذم الهوى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية٢٣]. ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء١٣٥].

وفي هذا المعنى يرى ابن حزم أن العاقل لا يدرك الأشياء على حقائقها إلا إذا جرّد نفسه من الأهواء كلها، ونظر في الآراء كلها نظراً واحداً مستوياً لا يميل إلى شيء منها، وفتش أخلاق نفسه بعقله تفتيشاً لا يترك من الهوى والتقليد شيئاً البتة... والتجرد من الهوى شرط أولي لصحة الأحكام ونزاهة الاستدلال[(٤)].

---

(١) الجرجاني، ١٤١٨ هـ، ص٣٢٠

(٢) ج٤، ص٢١٧.

(٣) ج٦، ص٩٥.

(٤) محمود، ١٩٧١- ١٩٧٢م، ج٣، ص٣٢٨.

ويقول «بن تيمية د.ت»: " وأضل الضلال: اتباع الظن والهوى كما قال تعالى في حق من ذمهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ (النجم٢٣).

وقال في حق نبيهﷺ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم ١- ٤). فنزهه عن الضلال والغواية، اللذين هما الجهل، والظلم ...وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس، بل هو وحي أوحاه الله إليه، فوصفه بالعلم، ونزهه عن الهوى[(١)]، وقال رسول اللهﷺ: «**ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، فقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، والعدل في الغضب والرضا**»[(٢)]، ولذلك كان يستعيذﷺ بالله من منكرات الأهواء فيقول: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق، والأهواء والأعمال، والأدواء**»[(٣)]

إن العقلية الواعية المتفتحة ترفض اتباع الهوى لأسباب يترتب عليها فيما بعد أضراراً تؤثر على العقل ومنها:

أ - أن الهوى هو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع، وبذلك يهوي الإنسان في دركات الضلال، في الدين والدنيا؛ لأنه مخالف لطريق الهداية المستقيم الذي يرسمه له الوحي.

ب - أن اتباع الهوى مخالفة صريحة واضحة للمقصد الأساسي للشريعة، وذلك أن المقصد الشرعي من وضع الشريعة وبيان الأحكام هو إخراج المكلف من داعية هواه، حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبداً لله اضطراراً.

---

(١) ص٦٩

(٢) أبو نعيم، د.ت، ج٢، ص٣٤٣

(٣) الحاكم، كتاب الدعاء، ج١، ص٥٣٢.

ج - إذا كان الهوى هو الحاكم استغلق وسُدت منافذ التفكير، فلا قيمة بذلك للآيات البينات، والدلالات الواضحات ؛ لأن الهوى يرد ذلك كله ويعرض عنه، فيصبح المرء أسيراً لسلطان الهوى، وتختلط بين يديه الدروب والمسالك، وتظلم في طريقه سبل الحق والهداية.

د - اتباع الهوى من معوقات التفكير والبحث العلمي، فإذا دخل الهوى في مسار التفكير أو البحث فستؤول نتائجه إلى الفساد والخطأ.

٣- رفض التقليد، والجمود العقلي :

رفض القرآن الكريم الجمود والتقليد في كل صوره يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة١٧٠]. ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة١٠٤].

ويقول تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ. وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف٢٢- ٢٣].

يقول «أبو السعود، د.ت»: في تفسيره لهذه الآيات: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ أي لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم، ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ استئناف لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا سند غيره[1].

ويقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: ".. وهذا الاحتجاج، من هؤلاء المشركين

(١) ج٥، ص٥٤٠.

الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به، اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل[1].

ويشير «الصافي، ١٤١٩هـ» إلى ذلك بقوله: " وانبنى التنديد القرآني بالموقف الآبائي على أن هذا الموقف يعكس رؤية منغلقة على ذاتها، رافضة للنظر في أطروحات الخطاب المنزل وتعقل مضمونه، والحكم عليه من خلال تقويم محتواه قياسا بمحتوى التصور الموروث عن الآباء[2]

وقد واجهت هذه المشكلة «التقليد والجمود العقلي» إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه.

يقول «زين العابدين، ١٤٠٩هـ»: " أهم مشكلة كانت تواجه إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه: الجمود، وشدة التعصب لعقيدة الآباء، والأجداد والإصرار على عدم التغيير والتجديد، فعندما كان إبراهيم يحاول إقناع أبيه آزر يسوق له الحجج الدامغة والأدلة المفحمة، كان الوالد المشرك قد عطل عقله، وأنكر على ابنه مخالفته لعقيدة الآباء والأجداد، قال: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ [مريم٤٦]. وكان رد قومه عليه لا يختلف عن رد أبيه. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء٦٩ — ٧٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء٥١-٥٤]. ورحم الله الزمخشري إذ يقول: " ما أقبح التقليد، والقول المتقبل بغير برهان، وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين

---

(١) ج٤، ص١٤١٥ .

(٢) ص٨٦.

استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم، وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم، مجادلون لأهل الحق عن باطلهم، وكفى أهل التقليد سبّة أنّ عبدة الأصنام منهم[(1)] .

والباحث يشير هنا إلى أن التقليد عند علماء المسلمين على قسمين :

أ - تقليد محمود: وهو المستند إلى أصل من كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو نظر صحيح، فهذا تقليد بالحق وهو أصل من أصول الدين .

قال «القرطبي، ١٤١٣هـ»: " أما التقليد الحق فأصل من أصول الدين وعصمة من عصم من المسلمين يلجأ إليها الجاهل المقصر عن درك النظر"[(2)] .

ب - تقليد مذموم: وهو الذي لا يستند إلى دليل، ولا نظر صحيح، ولا إلى سؤال أهل العلم، ولا إلى شهادة عدول، ...وإنما نوع من اتباع الهوى والنفس الأمارة بالسوء والشيطان، أو ثقة فيمن سبقه وقد غلطوا، أو تعصباً، أو تشبهاً، أو غير ذلك...وقد ورد القسمان في حديث «إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهّال يستفتون فيفتون برأيهم فيُضلون ويَضلون» «البخاري، كتاب الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس»[(3)] .

" والحديث ذم من أفتى مع الجهل، ولذلك وصفهم بالضلال والإضلال، وإلا فقد مدح من استنبط من الأصل ؛ لقوله تعالى: ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء٨٣] ، فالرأي إذا كان مستندا إلى أصل من الكتاب، أو السنة، أو الإجماع فهو المحمود، وإذا كان لا يستند إلى شيء منها فهو المذموم"[(4)] وبعض العلماء يسمون التقليد المذموم بالتقليد الأعمى، وصدقوا فكم جرّ من الويلات على الأفراد

---

(١) العدوي، ٥٤، نقلا عن زين العابدين ١٤٠٩هـ، ص١٠٦ .

(٢) ج٢، ص١٤٢ .

(٣) ص١٣٩٤، برقم ٧٣٠٧ .

(٤) ابن حجر، ١٤٠٧هـ، ج١٣، ص ٣٠١ .

والجماعات، وعلى الدول والحكومات في الحياة وبعد الممات، فالتقليد ليس طريقا للسلامة ولا للكرامة ٠لأنه جهل.

يقول «القرطبي، ١٤١٣هـ» : " التقليد ليس طريقاً للعلم ولا موصلاً له، لا في الأصول ولا في الفروع، وهو قول جمهور العقلاء والعلماء..."[١]، ثم ذكر ابن عطية" أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد"[٢].

والمقصود أن التقليد المحمود لا يصلح في العقائد، فإنه يلزم كل مكلف أن يؤمن بالله، وملائكة، وكتبه، ورسله ...حق الإيمان وأن يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً لاشك فيه أما التقليد المذموم فإنه في الأصول والفروع، ثم يعود الباحث إلى إبراهيم عليه السلام ودعوته لقومه. هل أصابه ما أصابهم من الجمود والتقليد ؟ أم أنه استطاع بما أتاه الله من حكمة ووعي وبصيرة أن يحرك عقولهم المعطلة بطريقة استدراجية منطقية رائعة تدل على عقليته الواعية والمتفتحة هذه الآيات القرآنية تبين لنا وتوضح الكيفية التي سلكها إبراهيم عليه السلام في دعوته لقومه ،قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ. وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام ٧٤- ٧٨).

استطاع إبراهيم عليه السلام بما أتاه الله من حكمه أن يحرك عقولهم المعطلة، فعندما رأى كوكباً بعد أن أرخى الليل ستاره .قال بأسلوب المتهكم الذي يتحدث بمنطقهم ويسوق أقوالهم ليرد عليها: ﴿قَالَ هَـذَا رَبِّي﴾ فلما غاب ذلك الكوكب قال: ﴿لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ ثم ترقى معهم من الكوكب إلى القمر فلما غاب أكد لهم أنه لا

---

(١) ج٢، ص١٤٢

(٢) القرطبي، ١٤١٣هـ، ج٢، ص١٤٣.

يصح أن يكون إلهاً ؛ لأنه يبزغ تارة ويغيب تارة أخرى، ثم ترقى معهم إلى الشمس التي هي أشد الأجرام المشاهدة ضياء وسناءً وبهاءً فبين بعد أن أفلت أنها مسخرة ميسرة مقدرة مربوبة، وبعد أن افلت الكواكب كلها - والقوم يشاهدون هذه الظاهرة- أعلن إبراهيم عليه السلام براءته من كل ما يعبده قومه من دون الله من أصنام وأوثان وكواكب، وطغاة متجبرين بأنها لا تنفع ولا تضر، ولم يبقى أمام إبراهيم عليه السلام إلا زعمهم بأن آلهتهم ستلحق به الأذى إذا استمر في نقدها وتجريحها .. وهذه المقولة فندها عليه السلام، وتحداهم إن كانت هذه الأصنام قادرة على الدفاع عن نفسها، ورد الضرر الذي يلحقه الآخرون بها فكيف تنظرون أن تكون قادرة على إلحاق الضرر بي ؟! والواقع يشهد على أن إبراهيم عليه السلام مضى عليه سنوات وهو يهاجم هذه الأصنام فأين ضررها عليه ؟! ومن قبل ما كان قوم إبراهيم عليه السلام يسمحون لعقولهم أن تفكر بأقوال هذه الكواكب أو بتفاهة تلك الأصنام ؛ لأن القضية عندهم غير قابلة للحوار وهل همْ أكثر فهماً وأرجح عقلاً من زعمائهم وأجدادهم ؟!وهاهو خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام يحرك عقولهم المعطلة بطريقة استدراجية منطقية رائعة قال تعالى: - **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**- [الأنعام٨٣] .

يقول «السعدي، ١٤١٤هـ»: في تفسيره لهذه الآية - **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**- أي علا بها عليهم، وفلجهم بها .؟[1].وكما أن القرآن الكريم يرفض التقليد والجمود، فكذلك السنة النبوية المطهرة ترفض ذلك، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تكونوا إمعةً تقولون إن أحسن الناسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا**»[2].

والتربية الإسلامية ذات فكر تربوي إسلامي متميز، لا يمكن أن تبهت شخصيته

---

(١) ج٢، ص٤٢ .

(٢) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ج٤، ص٣٢٠، رقم الحديث ٢٠٠٧ .

بمؤثرات خارجية"وأساس هذا التميز الأساس الرباني الذي تقوم عليه وهو الوحي الإلهي، الذي يعلو به فوق الفكر البشري المخالف كله ؛ لأنه يرتكز على حقائق مطلقة الصدق لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ثم إن الشمولية التي استمدها من شمولية الوحي الإلهي أغنته عن الحاجة إلى استمداد مقومات حياة من سواه[(١)] .

وعموماً فالعقلية الواعية المتفتحة ترفض التقليد والجمود العقلي لأسباب يترتب عليها فيما بعد أضراراً تؤثر على العقل:

أ- أن التقليد والجمود يعود صاحبه على الإلف والعادة والموروثات الاجتماعية التي يتناقلها النّاس جيلاً بعد جيل، ويقود ذلك إلى التقليد الأعمى.

ب- انحباس العقل عن البحث والنظر، فالتقليد من أكبر عوائق البحث والتفكير العلمي.

ج- تعطيل العقل، فالتقليد يعني قبول الحق بالآراء والأقوال دون معرفة برهانها وفي هذا تعطيل للعقل، ومن ثم يضعف العقل شيئاً فشيئاً كلما قل استخدامه.

د- التقليد ليس طريقاً للسلامة ولا للكرامة ؛ لأنه جهل.

هـ- التقليد ليس طريقاً للعلم ولا موصلاً له، لا في الأصول ولا في الفروع.

٤- النظر العقلي :

والمراد بالنظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص ، وهو الرويّة[(٢)] .

والمراد بالنظر العقلي: هو الذي يستخدم الإنسان فيه فكره في التأمل والاعتبار، بخلاف النظر البصري، فهو الذي يستخدم الإنسان فيه عينه[(٣)]

---

(١) الزبيدي، ١٤١٥هـ، ١٣٠ .

(٢) الأصفهاني ،١٤١٨هـ، ص ٨١٢ .

(٣) القرضاوي ،١٤١٦هـ، ص٢٥٨ .

والقرآن حافل بالآيات التي تحث على النظر وتدعو إلى التفكر، ويقوم المنهج الصحيح للنظر العقلي على :

أ - دعوة العقل إلى الأخذ بأسباب العلم وتحري المنهج العلمي: دعا القرآن الكريم إلى الأخذ بأسباب العلم ، ودعا إلى أن يستزيد المسلم من العلم ما استطاع، ودعا إلى أن يلجأ المسلم إلى الأسلوب العلمي في التعامل مع الدين والدنيا قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر٩].

وقال تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**" [طه١١٤].

ومن دعوة الإسلام إلى تحري المنهج العلمي أنه وجه النقد إلى أولئك الذين يناقشون أمراً لا علم لهم به، ولم يتحروا جميع مفرداته أو معطياته، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران٦٦]. يقول «ابن كثير، ١٤١١هـ» في تفسيره لهذه الآية: " وهذا إنكار على من يحاج في ما لا علم له به فإن اليهود والنصارى تحاجوا في إبراهيم بلا علم ولو تحاجوا فيما لهم به علم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمدﷺ لكان أولى بهم وإنما تكلموا فيما لايعلمون فأنكر الله عليهم ذلك وأمرهم برد مالا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقائقها، ولهذا قال :

﴿**وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾"[1] .

ومن التأكيد على أن الإسلام يدعو إلى تحري المنهج العلمي أنه جعل المنهج التجريبي كذلك من مطلوباته، بل نصّ على أولئك الذين يتوصلون إلى العلم من

---

(١) ج١، ص٣٥٢.

غير طرقه الأساسية، التي أهمها الإدراك الحسي، والإدراك العقلي نعى عليهم ذلك بل نهاهم عنه كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء٣٦]. إذ المنهج التجريبي في جوهره هو الاعتماد على الحواس في إدراك المحسوسات، وعلى العقل في إدراك المعقولات، وذلك هو الأصل وعلى كل إنسان اتباعه، بل إن الإنسان مسؤول بين يدي الله تعالى إذا لم يستخدم أدوات المعرفة التي أتاحها الله له من سمع وبصر وعقل[1] وعليه فإن دعوة الإسلام العقل إلى الأخذ بأسباب العلم لتؤكد أنه يشجع على العلم ولا يحاربه؛ لأن الإسلام لا يخشى من العلم، ولا مما يكشف عنه من مخترعات، بل يعتبر ذلك تأكيداً له، ولما يدعو إليه. إن الإيمان الذي يدعو إليه الإسلام إيمان يقوم على العلم والمعرفة، لا على التسليم الساذج المقلد لأنه لا يرضى بالتقليد في الإيمان.

وهناك من يتهم الإسلام بمحاربة العلم، فلا شك أن اتهامه باطل لا يقوم على دليل ولابرهان، وخير مانرد به على أولئك التعرف على التاريخ الحضاري للإسلام، فلقد كانت الحضارة التي أقامها المسلمون باسم الإسلام تضمنت بناء نهضة علمية عميقة وواسعة شملت كل مرافق الحياة الإنسانية، وهيأت للمسلمين ولمن يعيش في ظلالهم من غير المسلمين حياة إنسانية أكثر تحضراً ورقياً من كثير من الحضارات الأخرى، لقد كانت حضارة شهد بها التاريخ الإنساني من المسلمين وغيرهم.

يقول «بريفولت» مؤلف كتاب «بناء الإنسانية»: " لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج. إن العبقريّة التي ولّدتها ثقافة العرب في أسبانيا لم تنهض في عنفوانها إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام، ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة

---

(١) محمود، ١٤١٢، ص ٢٧٢.

الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة"، ويستطرد فيقول : " إنما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم للثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجوده نفسه فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود ... أما ما ندعوه العلم فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة ... وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي" ويقول أيضا : " إن روجر بيكون درس اللغة العربية، والعلم الغربي، والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس وليس لروجر بيكون ولا سميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية"(١) فميلاد هذا المنهج كان أثرا مباشرا من تأثير القرآن والسنة النبوية على استبدال المنهج التجريبي وجعله المنهج الرئيس في ميدان البحوث الطبيعية بمنهج التفكير السائد قبل الإسلام وهو المنهج التأملي اليوناني والذي يعتمد على مجرد التصور العقلي والقياس المنطقي المجرد"(٢).

ويقول جوستاف لوبون: "ومن العوامل الفعّالة في أصول المدنية التي وضع العرب أساسها، شدة ما كانوا عليه من الذكاء فإنهم ما كادوا يخرجون من صحارى بلادهم حتى اتصلوا بالمدنية اليونانية واللاتينية، فاستغربوا شأنها ثم ما لبثوا أن راضوها على أسلوبهم وطريقتهم، تحمس العرب لدراسة العلم الجديد الذي خرجوا إليه بنفس الحماسة التي اندفعوا بها فاتحين، ولم تعقهم أثقال عادات وأوضاع قديمة، فإن الحرية في البحث كانت أحد العوامل التي أسرعت بانطلاقهم في طريق الرقي،

---

(١) إقبال، ١٩٦٨م، ص ١٤٩- ص١٥٠.

(٢) المبارك، ١٣٩٨هـ، ص ١٢٥.

ولم يمض زمن قصير حتى طبعوا الهندسة والفنون والعلوم بطابعهم الشخصي الذي تعرف به آثارهم من أول وهلة[1] ويتكلم لوبون عن المسلمين في الأندلس فيقول: " لم يكد العرب يتمون فتح أسبانيا حتى بدؤوا يقومون برسالة الحضارة فيها فاستطاعوا في أقل من قرن أن يحيوا ميّت الأرضيين...، ويقيموا أفخم المباني، ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم، والآداب، ويترجمون كتب اليونان، واللاتين، وينشئون الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوروبا زمنا طويلا ..."[2] ويعترف «مسيو أوليري» بفضل الحضارة الإسلامية، حيث يقول: " لو أزيل المسلمون والعرب من التاريخ لتأخرت النهضة الأوربيّة في أوربا بضعة قرون، وإنه حتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش في جامعات فرنسا"[3]

وهذا «مايرهوف» يقول: " إن المسلمين والعرب أسدوا جليل الخدمات إلى بحوث الضوء ونظرياته، هذا العلم الذي يتجلى لنا في عظمة الابتكار الإسلامي، ولولا المسلمون لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن"[4]

وهكذا نجد أن الأمة الإسلامية هي التي قدمت لأوربا زاد نهضتنا العلميّة، وأن النهضة العلميّة التي وصل إليها المسلمون لا يزال العالم يعيش في ضلالها وآثارها إلى اليوم.

ب – دعوة الإسلام إلى التأمل والنظر في سنن الله في خلقه :

إن مخلوقات الله تعالى في هذا الكون كثيرة، وإن على رأس هذه المخلوقات الإنسان نفسه، وإن الإسلام دعا الإنسان إلى التأمل في هذه المخلوقات جميعا ليهتدي بذلك إلى الحق، وليصبح أقوى إيماناً، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ

---

(١) الشرقاوي، ١٤١٦هـ، ص٣٩.

(٢) الميداني، ١٤١٨هـ ص١٢٨.

(٣) الجندي، ١٤٠٥هـ، ص١.

(٤) الجندي، ١٤٠٥هـ، ص١٧.

لِّلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ. وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ. فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات ٢٠- ٢٣] .

يقول «السعدي ، ١٤١٤هـ» في تفسيره لهذه الآيات : " هذه دعوة إلى التفكر والاعتبار ، وتلك الدعوة شاملة لنفس الأرض وما فيها ، من جبال وبحار ، وأنهار ، وأشجار ، ونبات ، تدل المتفكر فيها ، المتأمل لمعانيها ، على عظمة خالقها... وكذلك في نفس العبد من العبر ، والحكمة ، والرحمة ، ما يدل على أن الله واحد ، صمد ، وأنه لم يخلق الخلق سدى ." وكذلك مادة الرزق من الأمطار وصنوف الأقدار ، فلما بين الآيات ونبّه عليها تنبيها ، ينتبه به الذكي اللبيب ، أقسم تعالى على أنه وعده وجزاءه حق ، وشبه ذلك ، بأظهر الأشياء لنا وهو النطق فقال تعالى : ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ ، كما يدعو القرآن الكريم إلى السير في الأرض للنظر في سنن الله من خلقه ، فيقول تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت٢٠] .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام١١] .

يقول «ابن كثير ، ١٤١١هـ» في تفسيره لهذه الآية : " فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحل الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما ادخره لهم في الآخرة وكيف نجى رسله وعباده المؤمنين[(١)] .

ويعلق «السعدي ، ١٤١٤هـ» عند تفسيره لهذه الآية بقوله : " وهذا السير المأمور به ، سير القلوب والأبدان ، الذي يتولد منه الاعتبار وأما مجرد النظر من غير اعتبار ، فإن ذلك لا يفيد شيئا[(٢)] .

ويفسر «القاسمي ، ١٤١٥هـ» هذه الآية بقوله : " أي سيروا في الأرض لتعرفوا

---

(١) ج٢، ص١١٨ .

(٢) ج٣، ص٢٨ .

أحوال أولئك الأمم، وتفكروا في أنهم أهلكوا لما كذبوا الرسل وعاندوا فتعرفوا صحة ما توعدون به، وفي السير في الأرض، والسفر في البلاد ومشاهدة تلك الآثار - الخاوية على عروشها- تكملة للاعتبار، وتقوية للاستبصار[1] ويقول تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران١٣٧]، ويقول تعالى ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم٥٠].

ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم٩]، وهذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ لعدم تفكرهم في الآثار، وتأملهم لمواقع الاعتبار[2].

وفي بيان أهمية السير يقول «بكار، ١٤١٣هـ»: "وقد بنى الإسلام عقلية الانفتاح عند المسلم بأمره بالسير في الأرض، وباطلاعه على تجارب الأمم الماضية ومواقفها مع أنبيائها" «ص٢٢٨». وبالسير في الأرض والنظر في مخلوقات الله وفي سيرة الأولين ومسيرتهم يكتسب الفرد حسن التعامل مع حاضره وحسن التوجه إلى مستقبله.

٥ - الاعتماد على الدليل والبرهان:

لقد طالب القرآن الكريم والسنة النبوية بالدليل والبرهان، فمن القرآن الكريم قوله تعالى، عن دعوى أهل الكتاب: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة١١١].

يقول «القنوجي، ١٤١٠هـ» عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قُلْ أي حجتكم على دعواكم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديا أو نصرانيا دون غيرهم، والبرهان الدليل الذي يحصل عنده اليقين... قال الرازي دلت الآية على أن المدعي سواء ادعى نفياً، أو إثباتاً فلا بد له من الدليل والبرهان[3].

---

(١) ج٣، ص٢٨.
(٢) القنوجي، ١٤١٥هـ، ج١٠، ص٢٣٠.
(٣) ج١، ص ٢٥٤.

ويعلق «السعدي، ١٤١٤هـ» على ذلك بقوله: " وهكذا كل من ادعى دعوى، لابد له أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما فالبرهان، هو الذي يصدق الدعوى أو يكذبها"[1]، ومثلها قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل ٦٤].

يقول «أبو السعود د.ت» في تفسيره لقوله تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً يدل على أن معه تعالى إلهاً وفي هذا تبكيت لهم وتهكم بهم"[2]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف ٤].

يقول «القاسمي، ١٤١٥هـ» في تفسيره لهذه الآية: " هذا تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي والمعنى: أي ائتوني بكتاب إلهي من قبل هذا القرآن الناطق بالتوحيد، وإبطال الشرك، دال على صحة دينكم، أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم، فإنها لا تكاد تصح مالم يقم عليها برهان عقلي أو سلطان نقلي. وحيث لم يقم عليها شيء منهما، وقد قامت على خلافهما أدلة العقل والنقل، تبين بطلانها"[3] وعليه يتبين أن الله تعالى طالبهم بالتثبت في دعواهم وإقامة الدليل عليه والبرهان على صحة ما يدعون. فإذا كان قولهم مبناه على النقل والخبر فأين الكتاب؟ وإذا كان قولهم مبناه على العقل والنظر فأين البرهان؟ فهو عز وجل قد طالبهم بتقديم البرهان النقلي أو البرهان العقلي، فإن

---

(١) ج١، ص ٩٥

(٢) ج٤، ص٢١

(٣) ج٦، ص٢٣٠.

كان مستندهم هو النقل ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا﴾، وإن كان مستندهم هو النظر والعقل ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾، وما دامت دعواهم خالية من نقل صريح وعقل صحيح، إذن فهي دعوى ساقطة، ليس لها سند ولا دليل[١]، ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ،ولكن اليمين على المدعى عليه**»[٢].

ويقول في شرحه لهذا الحديث: وهذا الحديث قاعدة كبيرة من قواعد أحكام الشرع ،ففيه أنه لا يقبل قول الإنسان فيما يدعيه بمجرد دعواه، بل يحتاج إلى بيّنة أو تصديق المدعى عليه[٣]. والمسلم مسئول أمام الله عز وجل عن كل ما عرفه واقتنع به بحيث يجب عليه أن يتثبت منه، وأن يجد على صحته الدليل والبرهان، قبل أن يأخذه ويجعله سلوكاً له." وإن التماس الدليل والبرهان في الإسلام مطلب عام في كل الأمور، العقديّة والعباديّة، والأخلاقيّة، والعاديّة، وما لم يجد المسلم الدليل النقلي اتجه إلى الدليل العقلي، فإن قام على الأمر دليلان من العقل والنقل فلن يتعارضا أبدًا[٤] وبالاعتماد على الدليل والبرهان تتساقط كل الخرافات والضلالات الفكريّة التي ليس لها حظ من الأثر أو النظر، وتسلم العقول والبصائر من الانتكاس والانحدار.

---

(١) صابر، ١٤١٨هـ، ص١٢٩- ص١٣٠.

(٢) مسلم، كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه، ج٣، رقم الحديث١٧١١.

(٣) النووي، ١٤١١هـ، ج١٢، ص٣.

(٤) محمود، ١١٤١١هـ، ص٢٦٦.

ثالثاً: أهميَّة الانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

يكتسب الانفتاح العقلي أهميته من قيمة العقل والفكر، أو من قيمة الفكر الذي يصل إليه العقل، وأثره على حياة الإنسان، وعليه وبعد استعراض بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعوا إلى إعمال العقل والفكر، وكذلك المواقف النبويَّة التي تتضح فيها هذه الصفة بصورة جليَّة، يمكن بيان تلك الأهميَّة في النقاط التالية:

١- إن واقعنا المعاصر يعيش صراعاً فكرياً بالدرجة الأولى، وعقدياً وتشريعياً بل وتقنياً، ومن ثمَّ يلزم وجود عقلية واعية متفتحة، ومنضبطة بضوابط الإسلام تخلق فكراً إسلامياً إيجابياً، يحقق للمسلمين بناء مجتمعهم المتميز على الكتاب والسنة، وتحصنهم من سهام الفكر الغازي لديارهم وعقولهم وإعطاءهم قوة وقدرة على التعامل مع هذا الغزو وعلى بصيرة من دينهم أخذاً ورداً.

٢- **أنه وسيلة للرقي العلمي والحضاري**: الإسلام ينظر إلى التقدم العلمي، والازدهار الحضاري على أنهما ثمرة من ثمار الفكر الناضج والانفتاح العقلي، ودعوة الإسلام إلى الأخذ بأسبابها واضحة جليَّة، فآيات الحض على التزود من العلم، والنظر في نواحي الكون كثيرة وكلها تلفت نظر العقلاء بشده إلى التأمل في كل شيء: في خلق السماء، وفي خلق الأرض، وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وفي الفلك التي تجري في البحر، وفي السحاب، والمطر، إلى غير ذلك من كل ما يتناوله البحث العلمي بالدراسة والتأمل[1] ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**

---

(١) الميداني، ١٤١٨هـ، ص٣٢٢ - ص٣٢٣.

وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة١٦٤] .

فهذه الدعوة الربانية إلى إعمال العقل وتوجيهه الدائم إلى التدبر، والتفكر في كل جوانب الكون للتعرف على الحقائق بشمول وعمق هي منهج البحث العلمي في أصدق أصوله، وأرسخ قواعده[1]. وهي العامل الأساسي الذي فتق الأذهان عن روائع الحضارة الحديثة، ويسر للدنيا هذه الكشوف الجلية لأسرار الوجود وسخر للناس مالم يكونوا يحلمون به[2]. فتقدير الإسلام وتوجيهه لأدوات الفكر إلى النظر والتأمل والتفكر والاعتبار واضح في الإسلام لا يحتاج إلى تكرار أو تأكيد فالتفكر في الإسلام قرين العبادة وهما صفتان يتصف بهما أولو الألباب، والفكر وسيلة للرقي العلمي والتطور العمراني، فالإسلام كما حض على الترقي العلمي دفع الفكر إلى العمل الصناعي والعمراني، فهما المجال التطبيقي للجانب العلمي الذي لا يتم التقدم الحضاري إلا بهما[3].

والإسلام حينما يوجه الفكر إلى البحث العلمي أو التقدم العمراني، لا يقصر توجيهه على جانب من جوانبهما، فكل ما يؤدي إلى المزيد من العرفان ويوثق صلة الإنسان بالله وبالوجود ويفتح آفاق أبعد من الكشف والإدراك ويتيح له السيادة في العالم، والتحكم في قواه والإفادة من ذخائره المكنونة وينبغي على المسلم أن يتطلع إليه ويتضلع منه[4]. ويفضل هذا الشمول في التوجيه الإسلامي للعقل والفكر يمكن للمسلم أن يصل إلى نتائج علميَّة تناسب طبيعة تكوينه ورسالته في الحياة، بحيث تمكنه من بناء حضارة متقدمة في جميع جوانبها .

---

(١) الخطيب، ١٤١٨هـ، ص٢٢٠ .

(٢) الغزالي، ١٤١٦هـ، ص٢٢٦ .

(٣) الميداني، ١٤١٨هـ، ص٣٤٣ .

(٤) الغزالي، ١٤١٦هـ، ص٢٣٠ .

٣- **أنه سبيل لبناء العادات الحسنة** والتحرر من إسار التعصب والجمود: إن العقل البشري لقي احتقاراً وازدراء في مجتمع الكنيسة، وكذلك في المجتمع العربي قبل الإسلام ولم يجد تقديره ورعايته إلا في الإسلام الذي كسر عنه طوق الجمود وحرره من قيود الجاهليَّة وأغلالها، ودفعه إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق فيها من مخلوقات وحثه على السير في الأرض وتأمُّل حوادثها واستنتاج سننها، وعلى التبصر في طبيعة نفسه وتركيبها، ولم يكن الكون والنفس غاية مطافه وعمله، بل أوجب على العقول الناضجة أن تنظر في الأدلة لاستنباط الأحكام للوقائع الجديدة، فلم يُحل تقديس الشريعة وصيانتها دون التفكر في أدلتها ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد٢٤]. وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فأجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[١].

"والإسلام يهدف إلى تنشئة الشخصية المستقلة، لذا يرعى العقول على الذاتية المهتدية بنور الإيمان والمنتفعة بتشريعاته، وينميها على الحذر من الانسياق مع فكر غيرها بالتقليد والتبعية؛ لأنهما من مظاهر فقدان الشخصيَّة وتعطيل العقل عن العمل[٢]. ويحرص على تكوين العقل الاستدلالي، أو البرهاني الذي لا يتقبل فكرة دون تمحيص، ولا يؤمن بعقيدة ما لم يتحصل على برهان ليكون هذا العقل الواعي ضماناً للحريَّة الفكريَّة وعاصماً للإنسان من التفريط فيها بدافع من تقليد أو تعصب أو خرافة[٣] ولقد ذم الله المقلدين، ونهى عن التسرع في الأمور دون تمحيص وأمر بإقامة الحكم على الدليل والبرهان، واسقط كل استبداد خارجي يقهر العقل عن

---

(١) مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد، فأصاب أو أخطأ، ج٣، ص١٠٨١، رقم الحديث ١٧١٦.

(٢) الحليبي، ١٤١٩هـ، ص٢٧٤.

(٣) الجوهري، خيَّال، ١٤٠٠هـ، ص٥٩.

طريق أحبار أو رهبان أو كهان، ومن طبيعة هذا الدين أنه: "يفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة مثقفه مدركة واعية ؛ لأن حقائقه... من عقيدة وأخلاق وعبادات ومعاملات... بتفاصيلها الدقيقة وأصولها العميقة ليست طقوساً مبهمة تنتقل بالتقليد والوراثة...، وليست تمائم وتعاويذ تُحمل بغير فهم أو إدراك ...، وليست سحراً وشعوذة يعتمد على الإيحاء والإيهام...، ولكنه وحي ثابت محدد، يقيني... لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ...وقامت الأدلة على صدق وحيه"[1] ، فلا بد من أن يعم الوعي الفكري جميع أفراد أمَّة الوحي الصادق وأيَّاً كان قدر هذا الوعي فإن العناية به فكريَّاً ومتأكد لبناء أجيال قادرة على الإبداع والرقي.

٤- **أنه وسيلة للإقناع الإيماني**: إن الإيمان بشموليته وتفاصيله يمازج العقل ويقيمه دليلاً هادياً إليه، مما لا يبقى أثراً لتوهم أن الإيمان على الدوام تسليم بما يأباه العقل، أو قبول محض ليس للعقل اجتهاد في الحكم على أدلته، إن الإيمان هنا نتيجة لعمل العقل غاية جهده، وليس نتيجة لإهماله وإبطال وجوده[2]. فالإيمان في الإسلام ليس رموزاً باهته لا يعلم لها معنى ولا حكمة، وليس قضايا ساقطة يأباها العقل الصحيح، أو تعاليم مزورة يرفضها العلم، ويثبت بطلانها، بل الإيمان يتخذ من العقل وسيلة للعروج إليه، وأساساً لمبادئه وأصوله ويساير فطرة العقل ورغبته في التأمل واستكشاف العلل والأسباب[3].

وكما دعا القرآن الناس إلى الإيمان بالله و صفاته، وجههم إلى بلوغه عن طريق إعمال العقل واستخدم أدوات المعرفة التي لديهم للتفكر في دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته وعدله وسائر صفاته الدالة على وجوده[4] ولم يقتصر القرآن على دفع

---

(١) النّجار، ١٤١٠هـ، ص١١٦- ص ١١٧

(٢) العقاد، ١٩٧٤م، ص٤٠٣.

(٣) الحليبي، ١٤١٩هـ، ص٢٦٥.

(٤) الميداني، ١٤١٨هـ ص٣٢١.

الحواس إلى تأمل مخلوقات الله تأملاً استدلالياً بل استعمل ضروب الإقناع العقلي الأخرى، فالعقل الإنساني فطر على البحث عن الأسباب فهو يؤمن بداهة بأن لا حادث من غير محدث سؤال مفحم قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ. أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور٣٥-٣٦] . فهل يمكن أن يوجد الإنسان نفسه ؟ هذا محال عقلاً ؛ إذ لا بد له من موجد ، وفطر العقل في البحث عن الغاية والهدف من وراء كل تنظيم وإتقان وإبداع، فهذا الكون العظيم حتماً وراءه متقن، وهذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم لم يخلقه عبثاً، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون١١٥- ١١٦]. وهذه الأدلة تثبت بوضوح أن الفكر وسيلة مثلى إلى معرفة الله سبحانه وتعالى بآثاره، فالعقلاء العالمون هم الذين يصلون ببصيرتهم إلى هذه المعرفة عندئذ يخشونه حق خشيته ويتعظون بالحوادث والأمثال وينتفعون بم فيها من عبر وحكم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت٤٣] . فلا خوف على الإيمان من البحث العلمي، فالحقيقة لا تخشى البحث، والإسلام على يقين من أن البحث العلمي السليم والتأمل السديد لا بد من أن يوصلا أصحابهما إلى نفس النتائج التي قررها[1].

(١) الميداني، ١٣٩٩هـ، ص١٠٠ .

الفصل الثالث

الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية

أسسه، ومظاهره، وضوابطه

أولاً: أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

ثانياً: مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

ثالثاً: ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية .

أولاً : أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية :

** مقدمة **

الأسس جمع أساس: وهو قاعدة البناء التي يقام عليها، وأصل كل شيء ومبدؤه، ومنه: أساس الفكر، وأساس البحث[1]. والأساس هو: الأصل العام الذي يقوم عليه الشيء ويرتكز عليه كالنبات والبناء في الماديات، والأفكار والأحكام في الأمور المعنوية[2] وسوف يتناول الباحث بالبحث والدراسة في هذا الفصل بعض الأسس، التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ،ثم ينطلق بعد ذلك إلى أهم المظاهر والضوابط وعليه فإن الأسس التي يرتكز عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية تعتبر المسوغ الوحيد لصحة وصْفِهِ بالانفتاح العقلي الواعي والمنضبط في التربية الإسلامية، وفي المقابل لا يطلق عليه انفتاح عقلي في التربية الإسلامية إذا لم يستند إلى هذه الأصول ؛ لأن البناء لا بد له من أساس، كما أن البناء الذي يخرج عن أساسه لا يلبث أن ينهدم، ويمكن بيان هذه الأسس على النحو التالي :

١ـ الإيمان بالله :

يعد هذا الأساس من أقوى الأسس التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ومنه تنطلق بقية الأسس التي سوف يتطرق لها الباحث ؛ لأن المطالبة بالتزام الفضائل، واجتناب الرذائل لا يتحقق إلا باعتقاد جازم يحمل على العمل، ولأن المحاسبة على الفعل أو الترك لا تتصور شعوراً حياً إلا بيقين راسخ يبعث على الاستعداد، هذا الاعتقاد وهذا اليقين هو الإيمان بالله تعالى أساس الدين و" أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله، قال الله

---

(١) مصطفى وآخرون ١٣٩٢هـ، ج١، ص١٧.

(٢) خياط، ١٤١٦هـ، ص٢٣.

تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف٥٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل٣٦].

وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**»[١]. ولهذا ...فإن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله[٢] فإذا آمن بها وبما تقتضيه من أركان: وهي الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، طلب منه العمل بباقي أحكام الشريعة، ومنها التحلي بالفضائل، واجتناب الرذائل، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة١١٩]. وبالإيمان يحصل للنفس الإنسانية تأثير يجعلها تشعر بمسئوليتها، وتنهض بما يجب عليها .. فإن المؤمن إذا آمن بالله إلهاً واحداً، له الأمر والخلق، يذعن لأمره ما في السماوات والأرض وما بينهما، عالم الغيب والشهادة، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، شرع الدين، وأرسل الرسل، وانزل الكتب لهداية الإنسان، وإرشاده إلى طريق الخير، ولبيان ما يجب عليه في الحياة الدنيا، وما يترتب على عمله من جزاء، وأدركه ووعاه علم انه مسؤول أمام ربه عن عمله ومجازى عليه[٣].

يقول «ابن القيم، ١٣٩٢هـ»: " من كملت عظمة الحق تعالى في قلبه عظمت عنده مخالفته ؛ لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونه، ومن عرف قدر نفسه وحقيقتها وفقرها الذاتي إلى مولاه الحق في كل لحظة ونفس، وشدة حاجتها إليه، عظمت عنده جناية المخالفة لمن هو شديد الضرورة إليه في كل لحظة ونفس[٤].

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله...، ج١، ص٥٨، رقم الحديث ٢٢.

(٢) الحنفي، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٥.

(٣) المودودي، ١٣٩٧هـ، ص١١.

(٤) ج١، ص١٤٤

ويتمم ذلك بقوله: "ومدار السعادة، وقطب رحاها على التصديق بالوعيد، فإذا تعطل من قلبه التصديق بالوعيد خرّب خراباً لا يرجى معه فلاح البتة، والله تعالى أخبر أنه إنما تنفع الآيات والنذر لمن صدق بالوعيد، وخاف عذاب الآخرة»[1]. قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]. ويحصل كذلك للجماعة أن ينشأ أفرادها على الشعور بالتبعة فتتطهر نفوسهم وتقوم أعمالهم على أساس متين من خشية الله في السر والعلن، ويصلح سلوكهم وعلاقاتهم بعضهم مع بعض، وتستقيم حياتهم على أحكام الله تعالى[2] أما نهوض النفس بما يجب عليها فإن الإيمان بمثابة الطاقة المحركة للإنسان، والموجهة لجوارحه نحو العمل الصالح، ذلك أن الإيمان إذا استقر في القلب وملأه بجلال الله تعالى وعظمته وقدرته ووعده ووعيده أشرق نوراً وعمر بعد خراب، وأضاء بعد ظلمة، ثم لانت المفاصل عند ذلك، وتوثبت الجوارح إلى فعل الطاعات[3]. لأن الأعمال تابعة للقلوب." فإن كانت حركة القلب وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركته وإرادته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب[4].

والإيمان منبع الأوامر والالتزامات، وهو فعل المطلوب، والانتهاء من المخالفة، والمجازاة على ذلك[5]. قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٤].

قال الزجاج: كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو العهد[6]. كما أن ارتباط الأوامر بالإيمان يضفي عليها تعظيماً في النفس الإنسانيّة، يستقي من القلب الحي حياته وشعوره أما القلب الميت المعرض عن الإيمان، فإنه لا يعرف معروفاً، ولا ينكر

(١) ص١٤٤.
(٢) المودودي، د.ت، ص ١٥٥.
(٣) المحاسبي، د.ت، ص١٥٥
(٤) ابن رجب، ١٤٠٠هـ، ص٧٣.
(٥) الحليبي، ١٤١٧هـ، ص١٠٤.
(٦) القرطبي، ١٤١٣هـ، ج٥، ص١٦٧.

منكراً، فالقلب الحي هو قلب المؤمن، والقلب الميت هو قلب الكافر وقد وصفهما الرسول ﷺ على الترتيب، فقال: «**قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه**»[1]. وقد بين «ابن القيم، د.ت» أن معنى «سراج يزهر: هو مصباح الإيمان»[2]. ويأخذ منه العقل منهجه في قياس الأمور، ومعرفة خيرها، وشرها، وعواقبها في الحال والمال، فإنه متى ترك العقل الرجوع إلى هذا الأصل الثابت، واتبع هواه انحرف عن قياسه، واضطربت موازينه كما قال تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية٢٣]. ومن ذلك نخلص إلى أن الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية لا يكون انفتاحاً واعياً ومنضبطاً في حدود الشرع إلا إذا ارتبط بالإيمان، واعتمد عليه، واتخذ من العقل والقلب أساسين معينين في انضباط واستشعار مقتضاه لدى أفراد المجتمع.

٢- الأمانة العلمية :

الأمانة من لوازم الإيمان والإسلام يحرص على ذلك، ويرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ، تصان به حقوق الله، وحقوق الناس، تحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أميناً. والأمانة" خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق، أو هي نهوض بالرعاية لكل ما في عهدة الإنسان من شيء حسي أو معنوي"[3] وتعرف أيضاً بأنها: " صيانة الإنسان كل ما ينبغي صيانته من حقوق، أو فروض، أو واجبات، أو حدود، أو أشياء مادية، أو معنوية سواء كانت لله تعالى أم للناس"[4]. وهي من الأخلاق الإسلامية العظيمة التي تنضوي تحتها جميع أحوال العبد الدينية والدنيوية، ولذلك

---

(١) ابن حنبل، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ج٣، ص٣٩٣، رقم الحديث ١٠٧٤٥ .

(٢) ج١، ص١٨ .

(٣) الماص، ١٤١٨هـ، ص١٧ .

(٤) الشرباصي، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص١٥ .

كانت محل عناية القرآن الكريم حيث تحدثت آياته الكريمة عنها حديثاً مستفيضاً أمراً بها، وتنويهاً بشأنها وشأن أهلها، نهياً عن ضدها وهي الخيانة، وفي ذلك دلالة على عظم منزلة الأمانة عند الله تعالى، وبالغ أثرها في استقامة المجتمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب٧٢]. والأمانة التي تتحدث عنها الآية هي: "كل ما يؤتمن عليه المرء: من أمر، ونهي وشأن دين ودنيا، والشرع كله أمانة[١]".

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى النهي والتحذير من ضدها وهي الخيانة التي هي من أخس رذائل الأخلاق وأسوء مساوئها، وذلك لأنها تعني: "التفريط في الأمانة[٢]"، وهذا الخلق إنما هو من أخلاق الكافرين والمنافقين أما المؤمنون فلا، لأن المؤمن قد يَطّبّع على كل شيء من رذائل الأخلاق، إلا الخيانة والكذب فإنهما يزاحمان الإيمان فينفيانه. وقد كان هذا التحذير من هذا الخلق في القرآن الكريم شديداً في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال٢٧]، وهذا نهي عن الخيانة الدينية بتعطيل الفرائض والسنن، أو بالإضمار خلاف ما يظهر المرء وهو النفاق، أو بالغلول في المغانم، أو بعدم النصح لله تعالى ورسوله ﷺ أو غير ذلك مما يندرج في الدين، وهو أيضاً نهي عن الخيانة الدنيوية وهي المتعلقة بحقوق المسلمين المادية والمعنوية[٣].

وكما عُنِيَ القرآن الكريم بذلك، فقد عُنِيَتْ السنة النبوية بذلك، فعن أنس رضي الله عنه قال: قلما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا**

---

(١) أبو حيان، ١٤٠٣هـ، ج٧، ص٢٥٣.
(٢) المناوي، ١٤١٠هـ، ص٣٢٩
(٣) البيضاوي، ١٤٠٢هـ، ص٢٣٨.

دين لمن لا عهد له»[1]. وقوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»[2].

يقول «الماص، ١٤١٨هـ»: " فالأمانة من الأخلاق الفاضلة، وأصل من أصول الديانات، وهي ضرورية للمجتمع الإنساني ...، وسر نجاح العمل، ومفتاح سعادة الفرد والمجتمع[3].

إن مدلول الأمانة مفهوم إسلامي يشمل ألواناً كثيرة ومجالات متعددة وأنماط مختلفة، ومن تلك المعاني: " الأمانة في الشورى، أن تنصح من استشارك وأن تصدق من وثق برأيك، والأمانة في الجهاد بعدم الغدر والغلول، أمانة القاعد بحفظ أعراض المجاهد، الأمانة بحفظ أسرار المجالس، الأمانة بإتقان العمل[4].

والأمانة في العلم أو الأمانة العلمية تعني: البحث عن الحق الكامل بغض النظر عن التعصب، والتقاليد الخاطئة[5].ويعلق على ذلك بقوله: "والتعصب بكافة أشكاله سمة مقيتة لا يجب أن يتصف بها الفرد المسلم بأي حال من الأحوال[6]، وللأمانة العلمية مظاهرها التي تدل عليها ومنها: رفض التعصب واتباع الهوى، ونقل كلام المخالفين بنصه وفصه فإن كان حقاً أقروه، وإن كان باطلاً ردوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردوا الباطل ،كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع، ومن مظاهرها نسبة الكلام إلى قائله، والبعد عن نسبته إلى غير قائله، ويؤكد ذلك «القرضاوي، د.ت» بقوله: "ومن أمانة العلم أن ينسب القول لمن قاله، والفكرة لصاحبها، ولا يستفيد من الغير ثم يسند الفضل إلى نفسه، فإن هذا لون

---

(١) ابن حنبل، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، ج٤، ص١٤٣، رقم الحديث ١٣٢٢٥.
(٢) مسلم، كتاب الأمارة، باب كراهية الأمارة بغير ضرورة، ج٣، ص١١٥٨، رقم الحديث ١٨٢٥.
(٣)ص ١٨.
(٤) الخزندار، ١٤١٦هـ، ص٥٢٠.
(٥) عطيفة، ١٤١٥هـ، ص١١٩.
(٦) ص ١٢٠

من السرقة، وضرب من الغش والتزوير[1]، ومن مظاهرها عدم تحميل الكلام مالا يحتمل والرجوع إلى الحق إذا تبين[2].

وبالنظر في مظاهر الأمانة العلمية تبين أنها أساسٌ من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية. والأمانة العلمية زينة العلم، وروحه، الذي يجعله زاكي الثمر لذيذ المطعم بعيداً عن التعصب والهوى، فهي تلازم أهل العلم والمعرفة أكثر من غيرهم ؛ إذ هم أصحاب القدرة على التعامل والتفاعل مع الآخرين، وعلى هذا فإن الأمانة العلمية أساس من أسس الانفتاح العقلي ؛ لكونه تعاملاً وتفاعلاً مع الآخرين، وهذا يستلزم الأمانة العلمية. وصاحب هذا الخلق حريص على آداء واجبه، بعيد عن الغدر والمكر، والخيانة ،حافظ للعهود، واف بالوعود. ورسالة عظيمة مثل الرسالة الإسلامية لايصلح لحملها والمضي بها إلا الأمناء.

٣ — التواضع :

التواضع : رضا الإنسان بمنزلة دون ما تسحقه منزلته[3]. وفي عرف علماء الأخلاق يعرّف بأنه : هو لين الجانب والبعد عن الاغترار بالنفس وترك الترفع عن الناس[4]. والتواضع من أجل أخلاق المؤمنين ؛ لأن به يعرف المرء نفسه وحقيقته فلا يهلك بالأخلاق المنافية له كالكبر، والعجب، والغرور، وبذلك يسلم إيمانه، وإسلامه من آفات مساوئ الأخلاق الكبيرة تلك، كما لا تتم التقوى إلا بالتواضع[5] ولذلك حث القرآن والسنة النبوية عليه وحذرا من ضده فقال تعالى ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾ [الإسراء٣٧] . وفي الآية دعوة واضحة إلى التحلي بمكارم الأخلاق

---

(١) ص٦٣

(٢) الحمد، ١٤١٩هـ، ص٥٦ .

(٣) الزبيدي، د.ت، ج٨، ص٣٥٠ .

(٤) الماص، ١٤١٨هـ، ص٢٣ .

(٥) الغزالي، د.ت ،ج٣، ص٢٩٧ .

من التواضع واللين، ومعرفة قدر النفس، لأن النهي عن الشيء أمر بضده كما هو معلوم[1].

ومن السنة حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[2]، وحديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**أن الله أوحى أليّ أن تواضعوا، ولا يبغي بعضكم على بعض**»[3]. وللمصطفى ﷺ مواقف عظيمة عملية تدل على لينه وتواضعه، ومن أجلّ تلك المواقف: أنه ﷺ لما دخل مكة فاتحاً منتصراً مظفراً، دخلها" وذقنه على راحلته متخشعاً"[4]. وهو في هذا اليوم في قمة النصر، وأوج العزة، وهذه الحال لا تكاد تتمالك النفس معه من الفخر، والخيلاء، لعظم النصر، وعزته، ونشوته، بل تطيش موازين الأخلاق، وينفلت زمام التصنع عند ملوك الدنيا وأرباب الدول، لكن النبي ﷺ لم يكن من هؤلاء في شيء، لأنه يستشعر دائما أنه عبد الله ورسوله، وأن النصر الذي حققه ليس لنفسه حظ فيه، وإنما هو من الله ولله وفي الله، وكان لهذا الشعور والإحساس في قمة الإذعان له سبحانه الذي مكنه منه، ليزداد به زلفى لديه، وهذا دليل على ثبات أخلاقه ﷺ العظيمة في جميع أحواله[5].

يقول «ابن كثير، د.ت»: وهذا التواضع في هذا الموطن عند دخوله ﷺ مكة في مثل هذا الجيش الكثيف، بخلاف ما اعتمده سفهاء بني إسرائيل حين أمروا أن يدخلوا بيت المقدس وهم سجود - أي ركع - يقولون حطة فدخلوا يزحفون على

---

(١) الحداد، ١٩٩٦م، ج١، ص٤٥٤.
(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ج١، ص٨٩، رقم الحديث ٩١.
(٣) ابن ماجة، كتاب الزهد، باب البغي، ج٢، ص٥٦٧، رقم الحديث ٤٢١٤.
(٤) ابن كثير، د.ت، ج٤، ص٢٩٢.
(٥) الحداد، ١٩٩٦م، ج١، ص٤١٦.

استاهم، وهم يقولون حنطة في شعرة[1]

ويقول «كمال الدين د.ت»: إنه لمن الميسور أن يظهر الإنسان بمحاسن الأخلاق وهو في ضيق من العيش، ومن السهل أن يظهر الحلم والتواضع في حالتي الفقر والشدة ..ولكن إذا رأينا رجلاً ذا منصب رفيع يظهر التواضع في وقت يستطيع أن يكون متكبراً حق لنا أن نقول: إنه على خلق عظيم[2] وما أجمل هاتين الكلمتين الدالتين على الفارق العظيم بين الحالين، وتدرك من خلالهما عظمة أخلاق رسول الله ﷺ. والالتزام بالتواضع يقتضي التخلي عن الكبر والغرور .هذان الداءان الخبيثان، ويصف «بكار، ١٤١٧هـ» الداء الأول «الكبر» بقوله: "إن الكبر يولد باستمرار التوتر المرضي لدى صاحبه ولدى المجتمع الذي يعيش فيه، ويكفي في ذلك ما يحدثه المتكبر في المجتمع من معادلة الاحتقار المتبادل[3] كما يصف «الماص، ١٤١٨هـ» المتكبر بقوله: " فالمتكبر إنسان مريض اجتماعياً ونفسياً، ويعيش في مجتمعه وحيداً أو معزولاً ؛ لأنه أحاط نفسه بسياج من الكبر ظلم فيه نفسه وأبخس غيره، ودمر حياته[4] وبالتالي من أراد أن ينفتح على خبرات الآخرين لابد وأن يكون على درجة عالية من التواضع حتى يلقى القبول من الآخرين بما يأتي به من خبرات أو معلومات أو مكتشفات" لأن التواضع يؤدي إلى تواضع أمام الحق والعدل[5] ، ويؤكد ذلك «القرضاوي، ١٤١٦ هـ» بقوله: " إن التواضع فضيلة تهدي صاحبها إلى الحق، وتضيء السبيل أمامه إلى معرفته[6] والمتواضع لا يستنكف عن قبول الحق ولو جاء ممن هو دونه علماً أو سناً أو قدراً ومن الرجوع إلى الحق بعد أن تبين له ، كما أن

---

(١) ابن كثير، د.ت، ج٤، ص٢٩٢ .

(٢)ص١٣٦ .

(٣)ص١٤٩ .

(٤)ص٢٧.

(٥) يالجن، ١٤١٦هـ، ص٨٤

(٦)ص١٧٠.

لصفة التواضع في حياة كل مسلم مظاهر تدل عليها، ومن تلك المظاهر:

- إقباله على الناس بوجه باسم طليق، والاستماع إليهم مهما كانت منزلتهم، وزيارته، وصلته بكل الناس مهما قل شأنهم الاجتماعي والمالي، والمتواضع لين الجانب منصف للنفس وللآخرين، يحترم وجهات نظر الآخرين، ويأخذها في الاعتبار، إضافة إلى ذلك أنه يرفض الكبر، والغرور والتسلط في الرأي، ويؤكد ذلك «عطيفة، ١٤١٥هـ» بقوله: "والشخص المتفتح ذهنياً يحترم وجهات نظر الآخرين، وآرائهم، ويأخذها في الاعتبار ... يضاف إلى ذلك أنه يرفض الدوجماتية أي تسلط الرأي والأفكار المقيدة للتفكير"[١]. وهذه المؤشرات هي بناء أساسي للتقبل والتعامل والتفاعل مع الآخرين، وعلى هذا يكون التواضع أساساً من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية.

٤- الشعور بالمسؤوليّة:

يمثل الشعور بالمسؤولية دعامة من دعامات الانفتاح العقلي في التربية الإسلاميّة حيث يتحمل الإنسان ما قام به من عمل، وعليه فلا بد لكل مسلم أن يشعر بالمسؤولية شعوراً يوجد في ذاته ما يحركه للعمل، ولا ينتظر التكليف الحركي لينهض بأعباء المسؤولية بل لابد أن يتولد في أعماقه هذا الشعور، ويجري في عروقه كجريان الدم، فيحس بأعباء المسؤولية، ويقوم بأدائها على خير وجه، وحسب المسلم أن يكون غيوراً على دينه وعقيدته، ومبادئه الإسلاميّة التي ينتسب إليها.

والوضع الحالي للأمة الإسلاميّة بحاجة ماسّة إلى عناصر تتقد نفوسها شعوراً وإحساساً بواجباتها الإسلاميّة، بحاجة إلى عناصر يغلي فيها الشعور بالمسؤولية غلياناً، بحاجة إلى عناصر لا يهدأ تفكيرها للعمل لهذا الدين ساعة من ليل أو نهار. وقدوتنا في الشعور بالمسؤولية هو رسولنا الكريم محمدﷺ، فقد قام خير قيام للعمل

---

(١) ص١١٥.

الإسلامي، ضحى كثيراً من أجل هذا الدين، بل قدم التضحيات تلو التضحيات. خرج من بلده مكة المكرمة – وهي أحب بلاد الله إليه – وعانى مشقة الطريق، وصبر على أذى قريش، واتهامهم له بالجنون، وسلطوا عليه الغلمان و الصبيان، فرموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه ،وهو صابر ؛ لأنه يشعر بعظم المسؤوليّة، ولو انحرف قليلاً لهلك، ولكن الله حماه من أن ينحرف أو أن يركن شيئاً قليلاً إلى الكفار، قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾.

﴿إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ [الإسراء٧٥]. ولما وصل إلى المدينة ،لم يهدأ تفكيره لحظة واحدة من العمل للإسلام. نعم لقد قامﷺ بواجب المسؤولية تجاه الإسلام خير قيام، وورّث في هذه الأمة من الأقوال ما يدفع كل فرد مسلم لتحقيق هذا الخلق العظيم، وهو الشعور بالمسؤوليّة [١] فقال ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه و فيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[٢]. وقوله ﷺ: «**من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**»[٣].

يقول «حمادة، ١٤١٧هـ»: " فالذين تسربلوا بهذه المعاني عبر الحقب والأجيال كانوا أئمة ونماذج سامقة تحتذى[٤] وإذا كان الانفتاح على خبرات الآخرين سيجلب نفعاً للأمة الإسلاميّة، وسيقدم لها فائدة علمية وفنية صحيحة فإن من كانت هذه سمته لا يتوانى في تقديم تلك الخدمة لأمته مراعياً في ذلك عدم المساس بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، وذلك لشعوره بالمسؤولية تجاه ذلك.

يقول «بكار، ١٤١٨هـ»: " وحين يشعر المرء بجسامة الأمانة التي رضي بحملها

---

(١) الياسين، ١٤١٧هـ ،ج١، ص١٢١- ص١٢٢

(٢) الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، ج٤، ص٥٢٩، رقم الحديث ٢٤١٧.

(٣) الحاكم، كتاب العلم، ج١، ص١٠٢.

(٤) ص٥٤.

تنفتح أمامه آفاق لا حدود لها للمبادرة بالقيام بشيء ما، إنه يرنو دائماً إلى اللحظة التي سيقف فيها بين يدي الله جل وعلا، ويسأله عما كان منه..."[1] ويتمم ذلك بقوله: " وفي حالات التخلف يصبح التهرب من المسؤولية ديدن الناس، ويندفعون إليه بالغريزة دون تفكير..."[2]

إن ضعف الشعور بالمسؤولية لا يخلف وراءه سوى الشعور بالتفاهة والفراغ وإن كثيراً مما يسمى مشكلات عاطفية وعقلية، ليس في جوهرها سوى أعراض لذلك الشعور[3].

ويبين «النحلاوي، ١٤١٧هـ» حقيقة الشعور بالمسؤولية وما تؤدي إليه في النفس الإنسانية بقوله: "وهذا الشعور بالمسؤولية يربي في نفس الإنسان الوعي واليقظة الدائمة والبعد عن المزالق، وعدم الاستسلام للأهواء، والعدالة، والبعد عن الظلم والبغي والاستقامة في كل سلوك الإنسان وشؤونه"[4] وبالتالي فإن علينا أن نوقن أن الشعور بالمسؤولية يعد أساساً من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ذلك الانفتاح الواعي والمنضبط، وأما ما نشاهده من انفتاح على إطلاقه بمعنى أنه يسير دون ضوابط وحدود ووعي من قبل أصحابه فإن سببه تبلد الإحساس بالمسؤولية عن أي شيء.

٥- تعلم وتوظيف اللغات الأجنبية:

إن العلم والمعرفة اليوم أسرار غالية، ورموز تتداول بين أهلها في مراكزها والأمة التي لا تستطيع فك هذه الرموز، والتحكم فيها أمة ضعيفة متهالكة، ولو كانت أشد الأمم قوة، وأكثرها ثروة ومالاً، وقد نبه النبي ﷺ على جانب عظيم

---

(١) ص١٨٧.

(٢) ص١٨٧.

(٣) كوفي، ١٩٩٥م، ص١٠٢.

(٤) ص٣٨.

من هذا عبرة لمن اعتبر، وتشريفاً لمن تذكر وادكر، سلكته الأمة حيناً من الدهر، فرفع الله لها القدر، وأعلا لها الذكر، وكان ذلك حين أمر زيد رضي الله عنه أن يتعلم اللغة العبرية والسريانية ليكون قارئاً لما يرد النبيﷺ بهاتين اللغتين كاتباً جوابه بكل دقة وأمانة فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود قالﷺ: «**إني والله ما آمن يهود على كتاب، قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم**»[1] وأمره كذلك أن يتعلم السريانية ،قال زيد، قال رسول الله ﷺ: «**هل تحسن السريانية ؟ إنها تأتيني كتب، قال: قلت لا. قال فتعلمتها في سبعة عشر يوماً**»[2].

إن المعرفة باللغات الأجنبية، والقدرة على توظيفها أمر في غاية الأهمية، وهو من التعاليم المهمة لإيجاد مناخ علمي، ولاسيما إذا كان عندهم علم يؤخذ أو حكمة تقتبس ولا سبيل إلى الانتفاع بما عند غيرك إذا جهلت لغته، وديننا الإسلامي لم يمنع من ذلك، بل دعا إليه باعتباره وسيلة لنشر دعوته في العالم، ذلك لأن رسالتهﷺ رسالة عالمية، فهو وإن كان عربياً، والكتاب المنزل عليه بلسان عربي فقد بعثه الله للناس كافة، قال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**﴾ [الفرقان١]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء١٠٧]. وحتى يمكنه تبليغ الدعوة إلى أرباب اللغات الأخرى لا بد من إيجاد تراجمة بينه وبينهم، وقد كان عندهﷺ من أصحابه من يعرف الفارسية والرومية والحبشية، ويكفيه هم الترجمة منها وإليها. لكن لم يكن عنده من يعرف السريانية التي يكتب بها يهود، ولذلك أمر كاتب وحيه زيد بن ثابت رضي الله عنه ليتقنها

(١) الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في تعليم السريانية، ج٥، ص٦٤، رقم الحديث ٢٧١٥.

(٢) ابن سعد، د.ت، ج٢، ص٣٥٨ .

قراءة وكتابة ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك[1].

يقول «الكروي ، ١٤٠٤هـ» : " إن الترجمة عامل أساسي من عوامل اكتمال التوثيق ، ذلك مفهوم أدركه العلماء العرب المسلمون ، وأدركه الخلفاء المسلمون ، فليس من الحكمة الاعتماد على لغة واحدة ، بل لا بد من تمازج الثقافات[2] ويقول أيضاً : " إن من أهم عوامل نقل الثقافة من قومية إلى أخرى هي الترجمة[3] وتقول «الملقي ، ١٤١٥هـ» : " إن للترجمة أهميتها الضرورية في تسهيل سبل البحث العلمي للذين لا يتقنون اللغات الأخرى ...إذ أن ظهور التخصصات المختلفة وما يتبعها من اصطلاحات علمية جديدة ، تجعل مثل هذا عائقاً جديداً في تحصيل شمولية المعرفة[4].

إن الانفتاح السليم على خبرات الآخرين يحتاج منا إلى اهتمام بتعلم اللغات الأجنبية وتوظيفها ، ويتطلب ذلك تحري الدقة والأمانة ؛ لأنه طريقة من طرق الاتصال بالفكر الأجنبي ، ذلك الفكر الذي يختلف عن فكرنا وعقيدتنا وإذا كنّا في حاجة إلى الانتفاع به فعلينا أن نعرف :

- ظروف كتابته ، وعصره ، وميزة كاتبه ، وهدف كتابته ؛ لأن الفكر الذي يترجم جزء من فكر يختلف عنّا.
- وجهة نظر الإسلام في مادته وموضوعه وأسلوب عرضه ؛ لأن أي كتاب يترجم فهو يحمل معه تحديات مجتمع آخر وظروف أمة أخرى.
- تعلم اللغات الأجنبية يتطلب منا إيماناً كاملاً بأن اللغة العربية يجب أن تكون هي الوعاء الذي تصب فيه اللغات الأخرى ، ويجب أن يكون فكر هذه اللغات مادة لخدمة اللغة العربية والفكر الإسلامي[5].

---

(١) القرضاوي ، د.ت ، ص٤٢ .

(٢)ص٤٧٣.

(٣)ص٤٨١.

(٤)ص٦٥.

(٥) الجندي ، ١٣٨٤هـ ، ص٦٧ .

إن السير وفق هذا المنهج يمكننا من معرفة الغث من السمين وبالتالي أخذ ما يناسب وترك ما عداه، ومن ذلك يتبين للباحث أن تعلم وتوظيف اللغات الأجنبية يعد أساساً من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلاميّة. وعموماً يمكن القول أن الأسس الإسلاميّة علمت المسلمين أن يفتحوا عقولهم للنّاس جميعاً بالأخذ والعطاء." فقد امتص المسلمون بسرعة فائقة ما خلفه اليونان الإغريق من علوم فلسفية وعقلية، وما خلفه الفرس من حكم وآداب وخبرات سياسية وما كان لدى الأمم التي التقت مع المسلمين لقاء مودة أو لقاء خصام، ثم أخذوا بتحرير هذه العلوم، وتنقيتها من الشوائب، وتطويرها وتنميتها وصقلها، وإصلاح فاسدها مسترشدين بالمنهج العلمي الذي رسمه للمسلمين مصدرا التشريع الإسلامي"[١].

إن تعلم اللغات الأجنبية مطلب ضروري ،وحاجة مُلحّة، في كل حين وآن وخاصة في عصرنا الحاضر، ذلك العصر الذي تقاربت فيه كل وسائل الاتصال وأصبح العالم وكأنه «قرية واحدة»، وصارت الحاجة ماسّة تماماً من أجل الإلمام بمتطلبات هذا العصر، ومن ذلك فهم اللغات العالمية ذات التأثير الفكري والإعلامي ؛ من أجل الأخذ بالمفيد منها، وتوعية أنفسنا وغيرنا من المسلمين بالمضار التي قد يجلبها .

واللغات الأجنبية يعرض بعضها اليوم في مناهجنا الدراسية خصوصاً في المراحل المتقدمة، وما ذلك إلا من قبيل الأخذ بعقول النشء والشباب نحو مزيد من الوعي والإدراك والتفتح الذهني، وهذا ما يطالب به المربون في الكثير من اللقاءات والمؤتمرات ... ويؤكد هذا ما أورده «شتهلا وآخرون، ١٩٧٨م»: بضرورة أخذ التدابير والوسائل الكفيلة باستعمال اللغة العربية في جميع مراحل التعليم من ناحية، ومن ناحية أخرى: " العناية باللغات الأجنبية في مختلف مراحل التعليم لتكون وسيلة للاطلاع على تطور العلم والثقافة والانفتاح على العالم"[٢] «نقلاً عن

(١) الميداني، ١٤١٨هـ، ص١٢٥ .
(٢) ص١٥١، ص ١٥٢.

توصيات المؤتمر الإقليمي الثالث لوزارة التربية في الدول العربية».

وبالإضافة إلى ذلك فإن تعلم اللغة، وتوظيفها يستلزم الثقافة، والتجربة والتي تعني: الاطلاع السريع على العلوم الأساسية الطبيعية أو الإنسانية، وأحدث التطورات العامة هذا بالنسبة للثقافة. أما التجربة الواقعية المتعلقة بمعرفة أحوال النّاس وطبائعهم وصفاتهم، فيمكن استقاؤها من الأفراد مباشرة كل بحسب حاله من خلال اغتنام لحظات الحوار العابر، أو توجيه السؤال والاستفسار، ويمكن استقاؤها من البحوث والدراسات التي تتناول هذه الموضوعات، ومن الاحتكاك بأصحاب الخبرة[1].

يقول «المنّاوي، د.ت»: "المجربون للأمور المحافظون على تكثير الأجورجالسوهم لتقتدوا برأيهم وتهتدوا بهديهم[2]، وعن أبي جحيفة قال: كان يقال: «جالس الكبراء، وخالل العلماء، وخالط الحكماء»[3]. وعليه فإن من ثمار الثقافة والتجربة التي تعكسها على أصحابها أنها: تمكنهم من معرفة سبل الخير وسبل الشر، وكيف يسلك كل منهما، ويصف «ابن القيم، ١٤١٨هـ» حال المؤمن المجرب الذي يعرف الخير والشر كليهما فيقول: " وهذه حال المؤمن: يكون فطناً حذقاً أعرف النّاس بالشر وأبعدهم عنه، فإذا تكلم في الشر وأسبابه ظننته من شر النّاس فإذا خالطته وعرفت طويته رأيته من أبر النّاس[4] والمسلم لا يتمكن من معرفة سبل الشر إلا إذا مكّن نفسه من الاستفادة من تجارب وخبرات الآخرين. رغم أن الكثير يتحرج من ذلك بحجة أنه أمر غير مستقيم، والصحيح أن الحكمة ضالة المؤمن، ومن العار أن تمنعنا مشاعر التعصب أو أخطاء الآخرين من الاستفادة من تلك التجارب والخبرات. يشير إلى ذلك الإمام أحمد بقوله: سمعت أنّ قل رجل يأخذ كتاباً ينظر فيه إلا استفاد منه

---

(١) فهمي ١٤٢٠هـ، ص٤٤.

(٢) ج٣، ص٢٢٠.

(٣) ابن عبد البر، ١٤١٨هـ، باب: جامع في آداب العالم والمتعلم، ج١، ص٥٠٨، رقم الحديث ٨١٤.

(٤) ج١، ص٢٩٥.

شيئاً[1] ويؤكد ذلك «علي، ١٤١٢هـ» بقوله: " وعلى المربي المسلم أن يتزود بالثقافة الإسلامية التي تجعله قوياً في حجته أمام خصومه من موقع المعرفة العميقة لا من مركز ضعف خصومه، كما أن عليه أن يحيط بالثقافة المضادة التي يملكها أعداء الإسلام ممن يعتبرونه سنداً لمبادئهم، وحجة لأفكارهم حتى يخلص من خلال الموازنة والمفاضلة بين العقيدتين، أو بين المفهومين، إلى النتيجة التي لا تختلف حالها حسب اختلاف حالة الخصم وضعفه، من حيث المعرفة والحجة والأسلوب[2] ومن ثمارها أيضاً توسيع المدارك، وتعميق الأفهام وتنشيط العقول، وهذه من شأنها تكوّن لدى صاحبها انفتاحاً عقلياً واعياً، وذلك من خلال تنمية القدرة على التفكير، وعلى القياس المستقيم، وعلى ربط الأسباب بمسبباتها.

يقول «ابن تيمية، ١٣٩٨هـ» في فائدة الاطلاع على مختلف العلوم كلاماً نفيساً: " في الإدمان على معرفة ذلك تعتاد النفس العلم الصحيح، والقضايا الصحيحة الصادقة، والقياس المستقيم، فيكون في ذلك تصحيح الذهن والإدراك[3] وبهذا يتبين لنا أن تعلم وتوظيف اللغات الأجنبية وما تستلزمه من ثقافة وتجربة يعد من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية.

ثانياً: مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلاميّة

إن المسلم متى ما استقام على أوامر الله عز وجل، واجتنب نواهيه والتزم بما في الكتاب والسنة مما أوجبه الله تعالى عليه، وسعى في كشف كنوز هذين المصدرين ومعرفة واجبه كخليفة في الأرض قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة٣٠] هذه الخلافة التي تتطلب

---

(١) أبو غدة، ١٤١٣هـ، ص١.

(٢) ص٩٢.

(٣) ج٩، ص١٢٨.

من المسلم أن يكون على قدر المسؤولية المنوطة به، ومن ذلك ألا يكون إنساناً منغلقاً، جامداً، متقوقعاً على نفسه، بل يساير تطور الحياة، والعصور متفاعلاً مع الواقع الذي يعيش فيه يعلم مراد الله منه، ومن ذلك الانفتاح العقلي فلا يصم أذنيه، ويغلق عقله، بل يتعامل مع الواقع بمعرفة وواقعية فيكون مؤثراً إيجابياً، وهذا يظهر على حياة المسلم في جوانب عديدة منها :

١- سلامة العقيدة:

العقيدة في الاصطلاح العام: هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع، الذي لا يتطرق إليه الشك لدى المعتقد، وهذا معنى العقيدة في الاصطلاح بصرف النظر عن نوع الاعتقاد، حق أو باطل، وسمية عقيدة لأن الإنسان يعقد عليها قلبه .

والعقيدة في الإسلام: هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع(١) .

العقيدة الإسلامية مصنع الرجال، وهي التي حرص الرسول ﷺ على تربية أصحابه عليها، حيث مكث ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة يُؤصّل العقيدة في النفوس، وتتنزل عليه الآيات القرآنية تطارد الشرك بكافة أشكاله لتجعل العقيدة مبرأة من أدرانه، ولتكون واضحة في العقول وضوح الشمس في رابعة النهار، بل بلغ حرصه ﷺ على أمر العقيدة أنه حتى وهو في سكرات الموت يقول لأصحابه: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله»(٢) .

وفي هذا الحديث صورة واضحة للتربية الإسلامية الصحيحة من الرسول ﷺ

---

(١) العقل، ١٤١٢هـ، ص٩ .

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ص٦٦٤، رقم الحديث ٣٤٤٥ .

لأصحابه على سلامة العقيدة، وهذا الحرص النبوي على سلامة العقيدة سرى مفعوله إلى وقتنا الحاضر، وسيكون كذلك بإذن الله إلى أن تقوم الساعة.

يقول «أمير، ١٤١٩هـ»: "عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين ثابتة مدى القرون منذ بعثة رسول الله ﷺ. وستكون كذلك بإذن الله إلى أن تقوم الساعة. تتناقلها الأجيال جيل بعد جيل، كلهم واثقون بها لا يذكر أحد منهم أن فيها تناقضاً بل كلهم متفقون بحمد الله، على سلامتها من التناقض، والاضطراب متيقنون أنها حق ثابت من عند الله ولذا قويت صلتهم بالله تعالى، ..."[1].

إن العقيدة في الإسلام هي الأساس الذي تبنى عليه العبادات، والمعاملات، والأخلاق، ونحو ذلك مما جاء به الإسلام الذي ارتضاه الله دينا لعباده، وجعله ناسخاً للرسالات السماويات السابقة ولا يخفى على كل مسلم أهميتها فهي" الغذاء الواقي لقوى النفس المختلفة، والمداد الخالد لحيويتها، وليس على وجه الأرض قوة تساوي قوة العقيدة أو تدانيها في ضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، والعقيدة رقيبة على السرائر، يستمد القانون سلطانه الأدبي من أمرها ونهيها، وتلتهب المشاعر بالحياء منها أو بمحبتها أو بخشيتها ولا شك أن هذا يجعل الفرد أشد مقاومة لأعاصير الهوى وتقلبات العواطف، من أجل ذلك كانت العقيدة الإسلامية خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة، وكان لذلك ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية[2] وهي التي"تحرك القلب وتبعثه، فيتجه إلى ربه ومولاه، فيخلص دينه لله، ويكون حبه ورجاؤه واعتماده وتوكله على الله، ويكون خوفه وخشيته ورهبته من الله، ورغبته وقصده إلى الله، وأفكاره تطوف دائماً حول ربه ومنهجه ودينه، وتحاول أن تنظر دائماً في السبل والكيفيات التي ترفع لواء الدين، وتعلي

---

(١) ح٣، ص٨٩٣ - ص٨٩٤.
(٢) خفاجي، ١٣٩٩هـ، ص١٢.

مناره وتنشره في ربوع الأرض[1].

وهي بذلك تقي صاحبها من الوقوع في كثير من المزالق، فهي تحميه من المادية البحتة - قوام روح الحضارة الغربية- التي تحمل العداء للدين الإسلامي، ولا تهدف إلا لتحقيق النفعية المادية دون مراعاة لقيم أو مبادئ إنسانية ؛ ولذلك تزامن الانحطاط الخلقي مع التقدم العلمي التقني، وفاقت مثالب هذه الحضارة مناقبها، فكان ذلك تهديداً بالانحطاط والتدني للإنسانية ما لم يتدارك هذا الأمر بروح توحيدية عقيدية صحيحة تحتويه وتطوعه في خير الإنسانية[2].

إن العقيدة الإسلامية متى رسخت في الفرد استقام سلوكه في حياته، والعقيدة متى أظلت مجتمعاً إنسانياً انضبط ذلك المجتمع وارتقى إلى ذروة الكمال الإنساني "والعقيدة هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات، بل حتى الخلجات التي تساور القلب والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس، والهواجس التي تمر في الخيال هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس، وباختصار العقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات وانفراجاً هائلاً عن سوى الصراط[3].

" وقد دلت التجارب أن صلاح سلوك الفرد يتناسب طرداً مع مدى سلامة أفكاره ومعتقداته، وأن فساد سلوك الفرد يتناسب عكساً مع مدى تضاؤل العقائد السليمة في كيانه الفكري واحتلال العقائد الفاسدة في محالها[4] وهذا ما حدث بالفعل لكثير ممن فقدوا هذه الخاصية، فقد أصابهم الوهن، فوقفوا من النافع والفاسد موقفاً مختلفاً". فأما الأشياء النافعة، فقد اتجهوا إليها، ولكن بجهد متقاعس، متخاذل،

---

(١) الأشقر، ١٤١٨هـ، ص١٨٩.

(٢) عبدالحميد، ١٤٠٥هـ ص٥٦ – ص٥٨.

(٣) عزام، ١٩٩١م، ص٩ – ص١٠.

(٤) خفاجي، ١٣٩٩هـ، ص١٢.

متعثر الخطوات، وأما الفساد، فقد سارعوا إليه فاستوعبوه كله، وعبّوا منه عبّاً كأنما هو الزّاد[1] إن هؤلاء بسبب فقدهم لحصنهم العقدي، والغفلة التي أصابتهم أصبحوا لا يرون الحياة إلا بمنظار الغرب، وثقافته، وفلسفته، وفكره، وروحه، فمنهم من يزعم بأنه لا يقرأ كتاباً عربياً، وآخر يقول: إنني أفكر بالفرنسية وأكتب بالعربية![2] ودعا بعضهم إلى أن نحذو حذوهم القذة بالقذة، ومن زعم خلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع، ومن أولئك طه حسين الذي يقول: " لابد أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقتهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب[3].

وينقل «حسين، ١٤١٣هـ» في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مقولة عن «طه حسين» هذا نصها: " بل نحن قد خطونا أبعد حد مما ذكرت فالتزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع التزمنا هذا كله أمام أوروبا ..."[4] ومثل طه حسين سلامه موسى الذي يقول متحدثاً عن نفسه: " إنه شرقي مثل سائر مواطنيه، ولكنه ثار على الشرق عندما أيقن أن عاداته تعوق ارتقاءه، ودعا أن يأخذ الشرقيون بعادات الغربيين ؛ كي يقووا مثلهم، ولكنه لم يجن من هذه الدعوة غير الكراهية والنفور، وأحس بالتناقض العميق بينه وبين مواطنيه ... إنه ليخالف سائر الكتاب إذ هو وإن كان يكتب بالعربية فإنه يفكر تفكيراً أوربياً"[5] وبعد فلم يستطيع كثير من المسلمين أن يضعوا لأنفسهم موقفاً رشيداً يؤدي بهم إلى الاحتفاظ بمنهج الإسلام العظيم، في تعاملهم مع غيرهم من الأمم، وذلك بأخذ علومهم النافعة مثل علوم الطب والهندسة والإدارة، وترك الضار منها كالإلحاد والأفكار الهدامة ، وهو أمر ممكن التطبيق، بل هو اللائق بالأمة

---

(١) قطب، ١٤١٠هـ، ص٣٤٤

(٢) الحسين، ١٤١٩هـ، ص٣٣٧.

(٣) حسين، ١٤١٤هـ، ج١، ص٤١

(٤) ج٢، ص٢٣٤.

(٥) الحوالي د.ت، ص٥٩٩.

التي تحترم نفسها، وتعتز بشخصيتها، وأدعو الله بالمغفرة لأولئك الذين انبهروا بالحضارة الغربية، فوقعوا في تلك الأخطاء. ولكن ينبغي ملاحظة إننا نحن المسلمين، لنا قيمنا الثابتة الراسخة والمميزة، التي لا يصح أن تميل أو تتأرجح مع أي تطور أو انبهار. وجدير بسلامة العقيدة أن تكون من أهم مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية، حيث أن العقيدة الإسلامية الصحيحة إذا استقرت في نفس المسلم وتربى عليها كان صلباً قوياً، لا يخشى عليه من كثرة الفتن، ومغريات الحياة، فهو يتفاعل مع ظروف الحياة، ومتطلبات العصر الذي يعيشه بنفس قوية، وعزيمة صادقة، يستفيد من كل جديد لا يتعارض مع دينه، ويقدم كل خير للإنسانية.

٢ـ مكانة العلم وقدره:

إن المسلم أعرف الناس بفضل العلم ومكانته وقدره، كيف لا وقد كان أول ضوء يشع من نور الإسلام هو الأمر بالعلم والتعلم فكان قوله تعالى في أول آيات الكتاب الكريم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ" الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق١: ٥]. وفي ذلك دلالة واضحة على أن هذا الدين دين يعرف قدر العلم ويطلب من أهله أن يقدروه، ويهتموا به حق الاهتمام. ولقد أكرم الله سبحانه وتعالى أهل العلم ورفعهم على غيرهم، وأعلى درجاتهم ومنازلهم، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة١١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر٩].

وفي السنة النبوية المطهرة تتضح مكانة العلم وقدره في قول المصطفى ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[1]، فالخير كل الخير هنا هو التفقه في الدين، وتعمق معانيه، واستخراج كنوزه، مع تفاوت الناس في إدراك ذلك، حسبما يمنحه الخالق

---

(١) مسلم، كتاب الأمارة، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، ج٣، ص١٢١٠، رقم الحديث ١٠٣٧.

تبارك وتعالى، وليس في هذا التفاوت عيب ما، ما دامت هذه الأمة تسير على الطريق الصحيح، طريق الحق وهو الإسلام.

ولقد عمل المسلمون بأمر الله تعالى، وأمر رسولهﷺ فأخذوا بمبدأ العلم، واحترموا العلم والعلماء، وأصبح لهم بعد قرنين من بداية الإسلام حضارة شامخة البنيان، وكان منهم أساتذة العالم كله[1] فليس هناك أمة من الأمم نظرت إلى العلم نظرة احترام وتقدير كما فعلت أمة الإسلام في أيام حضارتها الزاهية، فهو عندها من أعظم القربات إلى الله، ويصل التعلم في أحيان كثيرة إلى درجة الواجب الشرعي وهو في كل حين واجب حضاري[2] وليس المقصود بالعلم هو العلم الشرعي فقط، وإنما يشمل علوم الدنيا والآخرة، مما يقدم النفع للإنسانية في دينها ودنياها.

يقول «الشرقاوي، ١٤١٦هـ»: والعلم ليس خاصاً بعلم الشرائع والأحكام من حلال وحرام، وإنما العلم هو إدراك يفيد الإنسان توفيقاً في القيام بمهمته العظمى التي ألقيت على كاهله منذ قدر خلقه، وجعل خليفة في الأرض، وهي عمارتها، واستخراج كنوزها، وإظهار أسرار الله تعالى فيها[3] ويؤكد ذلك «كرزون، ١٤٢٠هـ»: "إن العلم المطلوب ليس العلم الشرعي فحسب، وإنما كل علم يوصل إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ومعرفة حقيقة الإنسان ومهمته، وخلافته في الأرض[4]".

وبالاعتماد على العلم تسقط كل الخرافات والأساطير، ويزول التعلق بالدجالين والجهلة، ويستقيم الفكر ويشرق بنور الهدى، ويصبح إيمان الإنسان وقوله وفعله على هدىً وبصيرة.

(١) العبد، ١٤٠٢هـ، ص١٢.
(٢) بكار، ١٤٠٢هـ، ص١٦١.
(٣) ص١٣.
(٤) ص١٠.

فالعلم هو الذي يبين راجح الأعمال من مرجوحها، وفاضلها من مفضولها، كما يبين صحيحها من سقيمها، ومقبولها من مردودها، وهو الأداة التي تمكن الإنسان من مسايرة المتغيرات، وتجعله قادراً على تقبلها والاستفادة منها، وجدير بخاصية تحقق كل هذا أن تكون مظهراً من مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية. إن العلم معارف منظمة تراكمت عبر مساع موصولة على مدار التاريخ ومن خلال تلك المعارف، وبها تمرن العقل، وتغذى وتثقف ونضج، ومع نضوجه يتوق إلى المزيد من العلم. إن الذي يدعو العقل إلى المزيد من التعلم، هو العلم نفسه؛ إذ أنه كلما زادت المعرفة اتسعت منطقة المجهول، وهكذا تزداد الأشياء المجهولة بازدياد الأشياء المعروفة. التقدم نفسه يعمل على زيادة حاجة الإنسان الشديدة إلى المعرفة، حيث أن التوغل في حقول المعرفة يتيح إمكانات ومجالات عديدة، ويولد دوافع جديدة للتقدم الأوسع نطاقاً »[١]، نقلاً عن» بكار، ١٤٢٠هـ، ص١٥٣».". وإن الأمة التي لا يحسن أبناؤها معارفهم على نحو مستمر، تؤهل نفسها لأن تكون تابعة للأمم الأخرى، ومستغلة لها على كل المستويات[٢] وهذا هو الملاحظ على العالم الإسلامي حالياً، فبرغم انفتاحه على الحضارات الأخرى، إلا أن ذلك لم يترك أي أثر لتقدم علمي تقني، بل على العكس من ذلك، فمعظم دوله مستهلكة لا منتجة، وذلك بسبب عدم تقديرهم واحترامهم للعلم تلك الخاصية التي تعد مظهراً من المظاهر المهمة للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية، فهي تمكن صاحبها من حرية الانتقاء والاختيار، وبالتالي التمييز بين الغث والسمين من أي حضارة، وفي المقابل تجنب أو تقي صاحبها من موقف الضعف والانبهار والافتتان بالحضارات الأخرى، ومن ثم الاندفاع للاستزادة من الغث ؛ لأنه أيسر أخذاً وأقل تكاليفاً[٣]. ودوام النقل

(١) بولياس، جيمس، ص٦٣، ص٦٦

(٢) بكار، ١٤٢٠هـ، ص ١٥٥.

(٣) قطب، ١٤١٠هـ، ص١٠٥

والاستيراد دون تمحيص يفقد الأمة صلتها بالإبداع في الشيء المقتبس[1] ومن ثم قد ينصرف موقف الأمة من مجرد النقل إلى التشبه بالكافرين في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم حتى يصبحوا نسخة منهم وكان هذا الميل نتيجة عدم نظرتهم إلى العلم نظرة تقدير واحترام، وهذا بدوره أورثهم الشعور بالنقص إذ الضعيف بطبعه يعتمد على القوي ويحاكيه، وهو ما أشار إليه «ابن خلدون، ١٤١٩هـ» يقول: " إن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته، وسائر أحواله وعوائده ...، حتى أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلبة عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء خطر كبير كما هو في الأندلس مع أمم الجلالقة[2] وهذا ما حصل بالفعل من جراء التشبه بالكافرين، حيث نتج عنه آثار خطيرة. بل إن التقليد في الظاهر مؤثر على اقتناع عقلي وقلبي، وكما يقول «ابن تيمية، ١٤١٧هـ»: "إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع[3] .

ويقول «أسد، ١٤١٨هـ»: "فإذا حاكى المسلم أوروبا في لباسها وعاداتها وأسلوب حياتها فإنه يكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوربية، مهما كانت دعواه التي يعلنها، وإنه لمن المستحيل عملياً أن تقلد مدنية أجنبية في مقاصدها العقلية والبديعة من غير إعجاب بروحها وإنه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الديني وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً[4] .

إن المسلم بل المجتمع المسلم ذو تميز واضح في كل شيء، وإن عليه أن يسلك

---

(١) رضا، ١٩٨٤م، ص٢٥٧

(٢) ص ١٣٧.

(٣) ج١، ص٨٠، ص٨١.

(٤) ص٨٣.

المنهج القويم منهج الرسول ﷺ وأصحابه، والسلف الصالح عموماً كما ينبغي له أن يكون على حذر من أمة الكفر، فكيف يتم الانفتاح عليهم دون بصيرة، وكيف يتم التقبل منهم دون تمحيص وتحليل وكأن القوم لم يضمروا لنا شراً قط، وهم الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران١٠٠]. وقوله تعالى ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [البقرة١٢٠]. وعموماً إذا أدركت الأمة مكانة العلم وقدره وساد رحابها وتوجهت إليه بكليتها، ورصدت له الأموال والجهود، وأعلنت أن قصب السبق في أفرادها لمن حاز النصيب الأوفر منه، فعندئذ ترقى الأمة في سلم الحياة، ويعلو شأنها في الأحياء.

٣ـ رفض التعصب واتباع الهوى:

إن التعصب لشخص، أو قوم أو حزب، أو جماعة، أو فكرة قديمة ظاهرة موجودة في أي مجتمع من المجتمعات البشرية، ومن مختلف مستوياتها، وهو فرع من فروع الأنانية الفردية أو الجماعية، وكما أن الإنسان الظالم لنفسه ينصر هواه وشهوته وظلمه.. وضلالاته بالباطل، ويقاتل من أجلها أصحاب الحق، كذلك المتعصب لشخص يواليه، أو قوم، أو حزب، أو جماعة، أو فكرة قديمة مسيطرة، فإنه بتعصبه يناصر جهة ولائه، ولو ظهر له أن الحق في غير الجهة التي يناصرها..، وهو الداء المهيمن على عقول ونفوس الماديين، وأصحاب الأهواء ومتبعي الأديان المحرفة ... كما أنه يوجد في دوائر جزئية عند المسلمين أيضاً فنلاحظه عند الفقهاء والمفسرين...، ونلاحظه عند الجمعيات الإسلامية التي تتصدى للأعمال الإسلامية الكبرى، فيفسدون بتعصبهم أعمالهم ونياتهم ويجعلهم تعصبهم أصحاب أهواء ينحرفون عن الحق، وينصرون الباطل، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ثم يخذلهم الله لذلك. إنهم في غمرة التعصب يندفعون اندفاع محجوبي الأبصار، إلا من

زاوية الرؤيه التي حصروا أنفسهم فيها، فهم لا يرون إلا من خلالها[1].

وهذه الرؤيه ذات بعد واحد تورث صاحبها الانغلاق، والتي سبق الحديث عنها تحت مفهوم الانغلاق في الفصل الأول من هذه الدراسة، يقابل تلك النظرة الشمولية الناجمة عن رفض التعصب واتباع الهوى، نظرة صاحب الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية.

والتربية الإسلامية بدورها تربي أفرادها على رفض التعصب واتباع الهوى، وتروضهم على اعتياد السلوك الكريم، قال تعالى ﴿**وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ [البقرة ١٢٠]. إنها قمة في ضبط النفس، وفي سماحة القلب، ولكنها هي القمة التي لابد أن ترقى إليها الأمة كلها ... وبهذا استطاعت التربية الإسلامية، بالمنهج الرباني، أن تروض نفوس العرب على الانقياد لهذه المشاعر القوية، والاعتياد على السلوك الكريم.. بعد أن كانت نفوسهم أبعد ما تكون عن هذا المستوى وعن هذا الاتجاه. فولد الإنسان من جديد في الجزيرة العربية، وكان هذا هو المولد الجديد للعرب، كما كان هو المولد الجديد للإنسان في سائر الأرض، ولم يكن قبل الإسلام في الجاهلية المتعصبة العمياء «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»[2]. وقالﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عمِّيَّة، يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة فليس من أمتي»[3] ولرفض التعصب واتباع الهوى أخلاقيات تدل عليه منها: " أن ينظر إلى القول لا إلى قائله، وأن تكون لديه الشجاعة لنقد الذات والاعتراف بالخطأ، والترحيب بالنقد من الآخرين، وطلب النصح والتقويم منهم، والاستفادة مما عند الآخرين من علم وحكمة، والثناء على المخالف فيما أحسن فيه، والدفاع عنه إذا

---

(١) الميداني ١٤٠٣هـ ص ١١٧- ص١١٨ .

(٢) قطب، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٨٥٢ – ص٨٥٣ .

(٣) مسلم، كتاب الأمارة، باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، ج٣، ص ١١٧٤ رقم الحديث، ١٨٤٨ .

اتهم بالباطل، أو تطاول عليه أحد بغير حق[1] والمسلم يألف ويؤلف، ويؤثر في المجتمع ويتأثر بما حوله ذو عقلية نظيفة من العصبية أيّاً كان نوعها، متجرد من الهوى وميوله الشخصي، وحظوظ النفس الأمارة بالسوء، ينظر إلى الواقع بمنظار عين المسلم البصيرة، التي تقبل الحق أياً كان مصدره وترد الباطل مهما كان مؤثراً صاحبه. وعلى ضوء ما سبق، يمكن القول إن رفض التعصب واتباع الهوى يحتاج إلى رياضة للنفس، وتربية صادقة ؛ لتفقه منهج الله في الحياة، فلا تستعلي على الحق لقلة أصحابه، أو لضعفهم، أو لبشرتهم، أو لدينهم، ولا يتحقق ذلك إلا بالتجرد من الهوى، ورغبات النفس الأمارة بالسوء ولذا كان من أهم مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية أن يتحلى صاحب هذا الخلق بالبعد عن التعصب بأنواعه والتخلي عن الهوى ورغباته، وحظوظ النفس.

٤ ـ الاجتهاد:

لقد رفع الله عن هذه الأمة الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، قال تعالى **﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾** [البقرة٢٨٦]، بل رتب على خطأ المخطئ الأجر إذا كان مجتهداً ولم يوفق للصواب، قال ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله اجر**»[2] وهكذا جعل له أجر الاجتهاد، ولم يأثم على خطئه. والاجتهاد ليس حقاً مباحاً لكل فرد من أفراد المجتمع، بل هو لفئة من أهل العلم الذين يستنبطون الأحكام ويقيسون الأمور، ولهم صفة الرسوخ في العلم، قال تعالى: **﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾** [النحل٤٣]. والمراد أن كل صاحب اختصاص هو أدرى بصنعته، وأعرف بأسرارها فهو يسأل عنها لأنه أدرى بخصائصها. وهؤلاء هم الذين لهم حق

(١) القرضاوي، ١٤١٢هـ، ص١٣٣، ص١٣٤.

(٢) مسلم، كتاب الأقضية، باب بيان اجر الحاكم إذا اجتهد، فأصاب أو أخطأ، ج ٣، ص ١٠٨١، رقم الحديث ١٧١٦.

الاجتهاد وهم المأجورون في حال الخطأ لأنهم أرادوا الحق، ولم يوفقوا له، وليس طلباً لهوى أو تعصباً لمذهب. فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل عن الكلالة قال: " إني سأقول فيها برأي فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان، أراه: ما خلا الولد والوالد[1] كان ابن عباس إذا سئل عن الشيء، فإن كان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن، وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، وإن لم يكن عن رسول الله ﷺ، وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به، وإن لم يكن عن أبي بكر وعمر اجتهد فيه رأيه[2] فالاجتهاد هو" بذل الجهد للوصول إلى ظن بحكم شرعي[3] وهذا يعني أن المجتهد يبذل جهده ليعرف مراد الله سبحانه وتعالى في قضية ما، فهو إعمال للعقل والفكر في المسائل النازلة، وجمع النصوص لها وقياسها على أشباهها، ونظائرها، والمراد في الانفتاح العقلي أن يعمل الباحث المسلم عقله ولا يعقله ويعلي من شأن فكره، كما طلب الله ذلك منه بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر١٨]، وفي الآية دلالة على حط قدر التقليد المحض ولذا قيل:

شمر وكن في علوم الدين مجتهداً ولا تكن مثل عير قاد فانقاد[4].

إن تعطيل العقل عن التفكير والاستفادة من كل ما يستجد في الحياة هو جمود وتحجر وعدم استغلال مواهب العقل في ما يعود بالنفع على المسلمين، ومن أكبر أسباب ذلك، الاعتماد على التقليد الأعمى، والتعصب دون نظر وإعمال للعقل الأمر الذي" جعل كثيراً من المسلمين يعطلون عقولهم، ويتكئون على جهود غيرهم، حتى وصل بهم الحال إلى قفل باب الاجتهاد - رغم أن الحياة متجددة ومشكلاتها وقضاياها لا تتناهى - فإن توقف المسلمين عن تقديم الحلول وبيان

---

(١) الخطيب البغدادي، ١٤١٧هـ، ج١، ص٤٩٠.

(٢) ج١، ص٤٩٧.

(٣) عبدالخالق، ١٤٠٥هـ، ص١٢

(٤) الألوسي، ١٤١٥هـ، ج١٢، ص٢٤٣.

حكم الله ورسوله في النوازل جعل الناس يأخذون بحكم الطواغيت من الشيوعيين وعبدة القانون البشري. ومن الملحوظ أن الفترات التي تُسيْطِر فيها على المسلمين مثل تلك الأفكار الجامدة وهي فترات الضعف والوهن والانحطاط في جميع جوانب الحياة الإسلامية[1] وبهذا يتبين أن من أهم مظاهر صاحب الانفتاح العقلي هو قدرته على الاجتهاد في المسائل النازلة، واستثمار عقله فيما يعود بالنفع والخير لأمته الإسلامية، مبتعداً عن الجمود والتعصب الذي هو مدعاة لعدم الاستفادة من العقل وتعطيله .

٥ ـ التوسط والاعتدال:

يجنح البشر في كثير من الأحيان إلى التطرف فيما يعتقدون، وفي أحكامهم وتوجهاتهم، وصفة المنهج الحق أنه دائماً وسط بين باطلين، فالإسلام وسط بين الأديان، والأمة المسلمة وسط بين أهل الملل، وقد خصها الله عز وجل بهذه الخاصية في محكم آياته حيث قال عز من قائل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[البقرة١٤٣].

إنها أمة وسط بكل معاني الوسطية وسط في الفضل، ووسط في الاعتدال، ووسط بين الإفراط والتفريط، ووسط في العقائد، ووسط في العبادات، ووسط في المعاملات. هذه الوسطية التي جعلت منها أمة رائدة بين الأمم في تفكيرها وفي تعاملها وفي قيادتها للبشرية.

يقول «قطب ،١٤١٢هـ»: " أمة وسطاً في التفكير والشعور لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك، إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول، ثم تنظر في كل نتاج للتفكر والتجريب، وشعارها الدائم الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها

(١) العودة، ١٤١٢هـ، ص٦٨ — ص٦٩ .

أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني، قال: أفعل، فقال:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿حم .تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[فصلت١- ٥] . ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ...ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك[1].

إنها أخلاق الأنبياء، فهذا رسول الله ﷺ يستمع لرأي المخالف دون مقاطعة، ويرد عليه بعد الاستئذان منه «أفرغت يا أبا الوليد» إنه أسلوب الحوار والجدال، بالتي هي أحسن، فالهدف هو الوصول إلى الحق وهذا لا يمنع أن أسمع من أعدائي وأصغي لما يقولون، ثم بعد ذلك أحكم على ما سمعت وأرد عليه في هدوء واتزان بعيداً عن التعصب ورغبة في هداية المخالف إلى الحق. ففي الحديث عن قتيلة بن صيفي الجهنية قالت: «إن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ماشاء الله ثم شئت»[2]. قال «آل الشيخ، د.ت»: "وفيه قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان[3] .

وعلى هذا سار أصحابه من بعده ﷺ على هذا المنهج، فهذا ابن مسعود يوصي رجلاً فيقول له: "ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً، ومن آتاك بباطل فاردده وإن كان حبيباً قريباً"[4] وجاء في قصة أبى هريرة مع الشيطان الذي أراد أن يسرق من طعام الزكاة، فأمسكه ثم أطلقه، ثم قال له في الثالثة: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم ألا تعود ثم تعود. قال: دعني وأعلمك كلمات

---

(١) المباركفوري، ١٤٠٠هـ، ص١٢٢.

(٢) النسائي كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، ج٧، ص٦ ،رقم الحديث ٣٧٧٣.

(٣)ص ٤٠٧ .

(٤) الطبراني، د.ت، ج٩، ص ١٠٦، رقم الحديث ٨٥٣٧.

ينفعك الله بها: قلت: ما هن ؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة٢٥٥]

حتى تختم الآية .فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. قال أبو هريرة: فخليت سبيله، فأصبحت: فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها: ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة٢٥٥] حتى تختم الآية .وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان، وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة. قال: لا قال: ذاك شيطان[١] وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: " اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً – أو قال فاجراً – واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق ؟ قال: إن على الحق نوراً"[٢].

وهكذا كان منهجه في الاستماع لآراء المخالفين والقبول لحق إذا ظهر مع غيرهم، فلا استعلاء بالباطل ولا كبرياء تصد عن قبول الحق يؤكد ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: " أيها الناس إنما أنا متبع ولست مبتدع فإن أحسنت قولي فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني"[٣] ومن بعد صحابة رسول الله ﷺ سار سلفنا الصالح على ذلك المنهج، فقد كان علماء الحديث ينقلون أقوال بعض الرواة المتهمين في دينهم كالشيعة والمرجئة، وذلك لأنهم يتصفون بالدقة والصدق في الرواية، فلم تمنعهم مخالفتهم لهم في العقيدة من أخذ ما لديهم من حق .

ومن الأمثلة على ذلك أن البخاري ومسلم رويا عن سعيد بن محمد الجرمي ووثقه الذهبي رغم أنه شيعي[٤] .

---

(١) البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً وترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز، ص٤٣٣، رقم الحديث ٢٣١١ .

(٢) ابن تيمية، ١٣٩٨هـ، ج٥، ص١٠١ – ص١٠٢ .

(٣) الطبري، ١٤٠٨هـ، ج١، ص ٢١٨ .

(٤) الذهبي، ١٩٦٣م، ج٢، ص١٥٧ .

وكذلك روى البخاري لعبّاد بن يعقوب حديثاً في الصحيح رغم أنه شيعي مبتدع[1] وقبول ما عند الآخرين من حق أكثر ما يصدق في وقتنا الحاضر على نتائج العلوم الطبيعية النافعة والتي قدمت للإنسان خدمة جليلة، وكذلك على كثير من القضايا الفكرية التي تتمشى مع مبادئ الإسلام وتخدم مقاصده العامة. وهكذا يظهر للباحث أن قبول الحق أيّاً كان مصدره من أهم المظاهر الملازمة للمسلم الواعي المتفتح المقتفي لأثر النبي ﷺ وأصحابه في غير اتباع للباطل وتعصب لرأي أو مذهب، لا تأخذه العزة بالإثم، ولا يضلله بريق الباطل من سماع الحق وقبوله.

---

(١) ج٢، ص ٣٧٩.

ثالثاً: ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية :

لقد تبين مما ذكر آنفاً مدى أهمية أن يكون الانفتاح منضبطاً بالضوابط الإسلامية فوجهة الانفتاح عند المسلمين تحكمها ضوابط العقيدة التي تخضع جميع عوامل الأخذ عن الغير في إطار حدود التشريع الإسلامي إذ أن هذه الضوابط تمثل الحصانة الواقية من كل دخيل على الإسلام، وعقيدته، ومبادئه، وقيمه، وطبيعة مجتمعه، وهذه الضوابط تستمد سماتها من الإسلام نفسه فهي ذات أصول ثابتة وهي القرآن والسنة، وذات أبعاد إيمانية عميقة تشمل الدنيا والآخرة وغيرها من السمات التي يمكن إطلاقها على هذه الضوابط، كل حسب موقعها في عملية الضبط، وفي الحقيقة هذه الضوابط كانت ملموسة في القرون الأولى للإسلام بصورة واضحة من خلال ملاحظة كيفية تعامل الأمة الإسلامية مع غيرها من الأمم لذا فهي أصيلة راسخة، ذات اتصال واقعي معاش بالأمة. وبالتالي يمكن عدها من الضروريات الحضارية في حياة الأمة والتي لا غنى عنها في عملية التقبل من الأمم الأخرى، ويمكن للباحث عرض بعض هذه الضوابط للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية على النحو التالي :

أ - ضوابط المتقبِّل: وتعني الضوابط التي تتعلق بالشخص الذي يتصف بهذه الصفة، ويقوم بأداء المهمة تجاه أمته .

ب - ضوابط المتقبَّل: وتعني الشيء أو المادة المراد تقبلها من الآخرين.

أ- ضوابط المتقبِّل :

١- أن يكون صاحب عقيدة صحيحة ومنهج صحيح راسخ في العلم قد امتزج نور الوحي بعقله، وسمعه، وبصره ،حتى اصبح عنده معيار وميزان شرعي، فيكون بذلك أهلاً للتمييز بين الطيب والخبيث، ذا بصيرة إيمانية

تقيه الزيغ عن الحق وبصيرة علمية تستند على العلم والفهم المتمكن في المجال الذي سيتقبل منه، وهذه هي الأصالة الإسلامية التي يقول عنها «قطب، ١٤١٠هـ»: "إن الأصالة أمر له أهميته البالغة في وقت النقل عن الغير بصفة خاصة فالأصالة لا تمنع الاستفادة من ثمار العلم وثمار الحضارة المادية التي هي في النهاية جهد بشري مشترك تتداوله الأمم ويتداوله الأجيال ولكنها تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل[١].

٢- أن يراعي توحيد الجهود المبذولة في التقبل من الآخرين وضبطها، لتقويّ عملية المجابهة لطوفان الحضارة الغربية، ولأن العمل الحضاري إنما ينهض بجهود أمة، ولا يمكن أن يتحرك بمساعي أفراد؛ فالأمة لا تخلو من طاقات فردية مؤهلة للتعامل مع الآخرين على وعي وبصيرة ولكنها مبعثرة غير موحدة[٢].

٣- أن يتعامل مع الغرب من موقع العزة والاستعلاء بالإسلام، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران١٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون٨]. حتى وإن احتجنا إلى ما عندهم من تقدم علمي وتقني، فلا نرضى لأنفسنا بموقف الضعف تجاههم؛ وإنما نتعامل معهم ونتقبل منهم، ونحن الأعلون بإيماننا وتوحيدنا، متشبثين بالمفاضلة بيننا وبين الكفار على أساس الإيمان والهدى، فليس وراء هدى الله إلا الضلال ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة١٢٠] .وقال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس٣٢]. أضف إلى ذلك أن موقف الاستعلاء يتيح لأصحابه أن يتخيروا وينتقوا بما يناسب تعاليم دينهم وفي المقابل يقيهم من موقف الانبهار[٣]، والافتتان بالحضارة الغربية مهما بلغ شأنها في

---

(١)ص١٠٥ .

(٢) داود، ١٤١٣هـ، ص٩٨ .

(٣) قطب، ١٤١٠هـ، ص ١٠٥

التقدم العلمي والتقني، ذلك الموقف الذي يمثل عائقاً أمام حرية الانتقاء وجودته، فينقل أصحابه بلا بصيرة، كل ما هو موجود في الغرب، بغير تمييز بين ما ينفع وما يضر، ولا بين ما يتفق مع الإسلام وما يتعارض معه، ومن ثم يؤدي إلى ذوبان الشخصية وتضييع الهوية .

٤- أن يكون مدركاً لحقيقة علوم الآخرين محيطاً بأصولها، وأسسها التي بنيت عليها، قد سبر غورها وعلم منشأها، وتطورها على مر العصور، والمراحل التي ساهمت في تشكيل وبلورة العلوم على ما هي عليه الآن، حتى يفهم أقوالهم ويعلم مقاصدهم، وما يعنونه بكلامهم، ولأن لكل نظرية أو رأي جذور بنيت عليها ،ولا يمكن فهمها دون فهم أصولها التي قامت عليها .

ب - ضوابط المتقّبل :

١ - موافقة الأصول الإسلامية : بمعنى : أن يكن المتقبل مما لا يتعارض مع أصول الإسلام أو مما هو مضاد لها[١]. ويؤكد «التويم، ١٤١٧هـ» ذلك بقوله : "فأول ميزان توزن به الأفكار والنظم والمفاهيم التربوية هو الكتاب والسنة، فتعرض عليهما وينظر فيهما، فإن كانت تلك المقالة أو الفكرة تخالف ما أمرنا الله به أو ما نهانا الله عنه، أو ما أخبرنا الله به، فلا ينظر فيها، ومهما زينت بالحجج والبراهين فإن حججها كاذبة خاطئة، فلا يقدم على قول الله وقول رسول الله ﷺ قول كائن من كان[٢] .

والمتبصر في الوافد لديار المسلمين من الحضارات الغربية أو الشرقية يجد أن أكثره مخالف للأصول الإسلامية، ولذلك يجب أن يخضع للفحص والتحليل خشية أن تنتقل عقائدهم الفاسدة، ودعواتهم الهدامة إلى المسلمين، فقد تكون دسائسهم وعقائدهم واضحة لدى العوام من المسلمين، وقد تكون خفية لا تظهر إلا لمن كساه الله عقلاً

(١) الجندي، د.ت، ص ١٣ .
(٢) ص٢٠٧.

واعياً متفتحاً، وأكثر ما يكون الغموض في الدس في النظم والآراء التربوية حيث إنها تتأثر دائماً بعقائد أصحابها، وفي ذلك يقول «النّدوي، ١٤٠٣هـ» : "إن لنظام التعليم روحاً وضميراً كالكائن الحي، له روح وضمير، إن روح نظام التعليم وضميره إنما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم، وغاياتهم من العلم ودراسة الكون، ووجهة النظر إلى الحياة، ومظهر لأخلاقهم، وذلك ما يمنح نظام التعليم شخصية مستقلة، روحاً وضميراً بذاتهما، إن هذه الروح هي التي تسري في هيكله تماماً، إنها تسري في جميع العلوم، في الأدب، والفلسفة، والتاريخ، والفنون، والعلوم العمرانية، حتى في علم الاقتصاد، والسياسة، بحيث يصعب تجريدها من هذه الروح، وليس في وسع كل شخص أن يميز بين الصحيح والسقيم منها، وإنما يتيسر ذلك لرجل أوتي قوة الاجتهاد وملكة النقد القوية ما يستطيع به أن يميز بين النافع والضار، وهذا العمل سهل في العلوم الطبيعية والتطبيقية بينما هو صعب ودقيق في نفس الوقت في الأدب والفلسفة، والعلوم العمرانية، ولا سيما إذا كانت أمّة تتميز بعقائد معينة وتتبنى فلسفة مستقلة، وأسلوباً خاصاً للحياة وتاريخاً مستقلاً"[1] .

وبناءً على ذلك ينبغي لكل فرد مسلم رزقه الله العقل الواعي والمفتح أن ينظر لكل شيء بمنظار الشرع فلا يتقبل كل ما يفد إليه من الحضارات الغربية والشرقية إلا إذا كان مدركاً لمعناه سابراً لغوره، وقد بحثه وعرضه على مصادر الشريعة الإسلامية فما وافقها أخذ به ،وما خالفها نبذه وتركه.

٢- الحجة والبرهان: الحجة ما دل به على صحة الدعوة، وقيل: الحجة والدليل واحد[2] وقيل الحجة: البرهان، وقيل :ما دفع به الخصم[3] قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾

(١) ص ١٧٣، ص١٧٤ .

(٢) الجرجاني، ١٤١٨هـ، ص١١٢ .

(٣) ابن منظور، د.ت، ج١، ص ٧٧٨ - ص٧٧٩ .

[الأنعام٨٠]. والبرهان في اللغة: بيان الحجة واتضاحها، البرهان: الحجة الفاصلة البينة، برهن، يبرهن، برهنة: إذا جاء بحجة قاطعة للد الخصم، والبرهان الحجة والدليل[1] قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة١١١].

قال «القرطبي، ١٤١٣هـ»: "البرهان: الدليل الذي يوقع اليقين[2] وعليه يتبين أن الحجة والبرهان تعني: مجادلة الخصم بالدليل القاطع. ومن خلال هذا الضابط يستطيع الفرد المسلم أن يميز بين الطيب والخبيث فيقبل ما فيه فائدة ونفع للإسلام والمسلمين، وينبذ ما عدا ذلك. ويعتبر هذا الضابط من الركائز الأساسية في مناهج البحث عند المسلمين، فلا يقبل قول دون دليل في كافة العلوم، فالمحدثين لا يعتبرون الحديث صحيحاً إن لم يكن متصل الإسناد بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة[3]. فلا يقبل قول أحد إلا بالدليل، فضبطوا قواعد التحديث والحكم على الحديث بالحجج والبراهين كما هو معلوم في علوم الحديث. بالنظر إلى الدليل فرق الفقهاء بين الاتباع والتقليد" فقالوا: الاتباع هو العمل بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع، والتقليد هو العمل بمذهب الغير من غير معرفة دليله[4]، فلا يقبل قول كائن من كان إلا بالدليل وقعدوا في ذلك منهج أصول الفقه، والذي يحتوي على قواعد البراهين والأدلة فأصبح الدليل هو الضابط للقبول أو الرفض في أي مسألة كانت من الشرع أو من أمور الدنيا. والمقلد الأعمى لا يسأل عن البرهان و الحجة، وإنما يقلد بدافع الشعور بالنقص وعدم الثقة في العقل، فكأن من قلده أتم منه عقلاً ونفساً...، وكم ابتليت الأمة بالمقلدين العميان الذين انساقوا خلف الغرب والشرق يقلدونهم، ليس في علومهم وصناعتهم وإنما في أخلاقهم وقيمهم

---

(١) ابن منظور، د.ت، ج١، ص٢٧١.

(٢) ج٢، ص ٧٥.

(٣) السيوطي، ١٤٠٩هـ، ج١، ص ٦٣

(٤) الشنقيطي، ١٤١٤هـ ص ١٦

وعاداتهم وملابسهم وطبائعهم، ... ولو أنهم أخذوا بالدليل لتبدل الحال كثيراً ولنفوا كثيراً من الخبث عنهم. إن هذا الضابط يعني أن نفحص كل ما أردنا تقبله من خبرات ومكتشفات أو مخترعات، أو أفكار، أو آراء، أو نظريات من الآخرين للنظر في حججهم وبراهينهم وأدلتهم، ونقدها لنعرف الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، والضار من النافع، لأن من تقبل رأياً أو فكرة أو آلة أو مقالة دون فحص لأدلتهم فهو تابع للغرب فكرياً ونفسياً[1].

٣- تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين: إن عموم شريعة الإسلام وخلودها وعدم قابليتها للنسخ، كل ذلك يقتضي عقلاً أن تكون مبادئها وأحكامها على نحو يحقق مصالح الناس المتجددة ويفي بحاجاتهم المتغيرة زماناً ومكاناً وحالاً، وهذا المعنى متحقق في الشريعة الإسلامية، وواضح من خلال مبادئها وأحكامها. وقد ثبت باستقراء أحكام الشريعة أن القصد الأصلي الذي تدور عليه هذه الأحكام هو تحقيق مصالح العباد وحفظها ودفع الضرر عنها[2]. إن تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين في الشيء المراد تقبله من الآخرين أمر من الأهمية بمكان، وقد يكون الشيء المتقبل من الآخرين لا يتعارض مع القرآن والسنة وبرهانه وأدلته صادقة، لكن لا مصلحة للمسلمين في تقبله فيصبح حينئذ ضاراً من حيث إنه أخذ مكان علم نافع، إذ أن الأخذ بالعلم في الإسلام مرتبط بنفعه، والرسول ﷺ تعوذ من العمل الذي لا ينفع فقال الرسول ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[3].

وعليه فإن العلم إذا لم يكن نافعاً وذا مصلحة للمسلمين فإنه يجب عدم تقبله

---

(١) التويم، ١٤١٧هـ، ص٢١٤، ص٢١٧.

(٢) زيدان، ١٤٠٧هـ، ص ٣٧٨.

(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر من عمل ومن شر ما لم يعمل، ج٤، ص ١٦٥٨، رقم الحديث ٢٧٢٢.

من الأمم الأخرى. والمصلحة لها ضوابط وأنواع بينها الفقهاء فذكر «البرديسي، د.ت» أنواعها قال :

١- مصالح معتبرة : وهي التي قام الدليل الشرعي على اعتبارها، وهي ثلاثة أنواع :

أ - المصالح الضرورية : وهي التي يتوقف عليها حياة الناس الدينية والدنيوية وتنحصر في المحافظة على الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال .

ب - مصالح حاجية : وهي التي يحتاج إليها الناس في رفع الحرج عنهم بحيث إذا فقدت لا يختل نظام الحياة، ولكن يفوت رفع الحرج، فرفع الحرج مصلحة معتبرة لأن الدليل الشرعي دل على اعتبارها .

ج - مصالح تحسينية : وهي التي لم يقصد بها المحافظة عل الحياة الدنيوية، ولا رفع الحرج، وإنما يقصد بها الأخذ بمحاسن العادات.

٢ ـ مصالح ملغاة : وهي التي قام الدليل على إلغائها .

٣- مصالح مرسلة : وهي التي لم يقم دليل من الشرع على اعتبارها أو إلغائها وسميت هذه المصالح مرسلة لأنها مطلقة عن دليل باعتبارها أو إلغائها، ومثالها جمع القرآن، وعمل عثمان رضي الله عنه من توريث الزوجة التي طلقها زوجها وهو في مرض الموت للفرار من إرثها[١] .

قال «ابن تيمية، ١٣٩٨هـ» عن المصالح المرسلة" وهو أن يرى المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة، وليس في الشرع ما ينفيه، فهذا الطريق فيه خلاف مشهور، فالفقهاء يسمونها المصالح المرسلة، ومنهم من يسميها الرأي وبعضهم يقرب الاستحسان ...، وبعض الناس يخص المصالح المرسلة بحفظ النفوس والأموال والأعراض والعقول والأديان، وليس كذلك، بل المصالح المرسلة في جلب المنافع

(١)ص٣٢٥ - ص٣٢٨.

ودفع المضار، وما ذكروه من دفع المضار عن هذه الأمور الخمسة فهو أحد القسمين، وجلب المنفعة يكون في الدنيا وفي الدين، ففي الدنيا كالمعاملات والأعمال التي يقال فيها مصلحة للخلق من غير خطر شرعي، وفي الدين ككثير من المعارف والأحوال والعبادات التي يقال فيها مصلحة للإنسان من غير منع شرعي[1].

وذكر «البرديسي، د.ت» ثلاثة شروط للمصلحة المرسلة وهي :

١- لابد أن يتحقق من بناء التشريع على المصلحة المرسلة جلب مصلحة أو درء مفسدة.

٢- أن تكون المصلحة التي يشرع الحكم من أجلها كلية لا جزئية، فلابد أن يشمل أكبر عدد من الناس تجلب لهم النفع وتدفع عنهم الضرر.

٣- ألا يعارض التشريع الذي روعيت فيه المصلحة حكماً أو مبدأً ثبت بالنص أو الإجماع[2].

وبناء على تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين يتم دراسة كل شيء يتم تقبله من الآخرين من ناحية منافعه، ومن ناحية مضاره المحتملة، وترتيبه في سلم الأولويات، فقد يكون في الأمر المتقبل نفع، لكن هناك أشياء أهم منه، وفي الأخذ به نفوت مصلحة أهم. والمسلم الواعي والمتفتح ينظر إلى الشيء المتقبل من الآخرين بحذر ويتجلى عنده أبعاد المصلحة وضوابطها الشرعية ويفحص بعين الناقد منافعها المحتملة، وجوانبها السلبية، وينظر في ترتيبها في سلم الأولويات.

وينظر أيضاً في إمكانيات أمته المالية والفنية، وهل لديها القدرة على تنفيذ كل ما ينقل إليها من خبرات الآخرين، أم أن ذلك ضرب من الخيال، فلابد من الموازنة بين الإمكانيات والقدرات، وكل ذلك يتم عند الأخذ في الاعتبار بتحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين. وهذا هو موقف الذين يفهمون الإسلام حق الفهم، فهم

(١) ج١١، ص ٣٤٢- ص٣٤٣ .
(٢) ص ٣٣٢ .

يرحبون بكل جديد لا يعارض العقيدة، ولا تخش منه مفسدة [1] وبخاصة وسائل التقدم والتطور التكنولوجي الذي شمل جميع مجالات الحياة.

إن هذا التقدم العلمي الهائل ملك الإنسانية كلها، ونحن لنا سابقة في بناء وتأسيس هذا الصرح العلمي الذي وصل إليه الغرب اليوم، ولكننا لا نعتنق ثقافة الغرب ؛ لأنها ثقافة خاصة بهم، يستمد جذورها من طبائعهم، وتاريخهم، وليس لنا بها أدنى صلة .

إننا نفتح أبوابنا للتقدم المادي والعلمي، ونحن واقفون على قواعد ثابتة من قيمنا الأصيلة، وقد أخذت اليابان تقدم الغرب العلمي دون أن تأخذ فكره، وتعلم الغرب علوم المسلمين وترجموها ولكنهم حولوها إلى قاعدة ثقافتهم الأساسية المستمدة من مزيج مختلط من الوثنية اليونانية والمسيحية المحرفة[2] فالأحرى بنا نحن أبناء العقيدة الحقة أن نتمسك بمبادئ ديننا، ونعضّ عليها بالنواجذ .

وهذا ما ينبغي التأكيد عليه والدعوة إليه لكي ننهض بأمتنا ونزيح عنها غبار التخلف والجمود، حتى تصحو من غفلتها، وتسرع إلى مقدمة الركب من جديد .

***

(١) أرسلان، ١٤٠١هـ، ص ٧٢.

(٢) الجندي، ١٤٠٠هـ، ص١١.

الفصل الرابع

مظاهر من الانفتاح العقلي عند بعض المربين المسلمين

أولاً: عمر بن الخطاب رضي الله عنه «ت:٢٣هـ»

ثانياً: الإمام الشافعي رحمه الله «ت:٢٠٤هـ»

ثالثاً: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «ت:٧٢٨»

التربية الإسلامية تربية صالحة لكل زمان ومكان ؛ لأنها مستمدة من كتاب الله تعالى الذي نزل تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنها مستقاة من السنة النبويّة المطهرة الشارحة للكتاب والمبينة لأحكامه .

والتربية الإسلامية مجموعة متناسقة مترابطة من المفاهيم والقيم الفاعلة في نفس المؤمن وروحه، وهذه التربية قد حفلت على مرّ العصور بمجموعة كبيرة وشهيرة من علماء ومفكرين تربويين كان لهم كبير الأثر على الفكر التربوي الإسلامي .

وفي هذا الفصل الموسوم بمظاهر الانفتاح العقلي عند بعض المربين المسلمين سيقتصر الباحث في حديثه على ثلاثة من المجددين ومن أعلام التربية العربية والإسلامية، ممن اتصفوا بسلامة المنهج ووضوحه، ممن كان لهم الأثر الواضح الفعّال في زمانهم وبعد زمانهم . وسيكون سير الباحث في ذلك بالتعريف بالشخصية أولاً بذكر نبذة مختصرة عن حياته، ثم استعراض أبرز مظاهر الانفتاح العقلي التي ظهرت على تلك الشخصيّة سواء كانت قوليّة أو فعلية، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي :

أولاً : عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أ – نبذة مختصرة عن حياته رضي الله عنه :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أمير المؤمنين، أبو حفص القرشي العدوي، الفاروق رضي الله عنه(١) ولد قبل حرب الفجار بأربع سنين وأسلم وهو ابن ست وعشرين سنة(٢) .

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشراف قريش وإليه كانت السفارة في

---

(١) الذهبي، ١٤١٧هـ، ص٧١ .

(٢) ابن الجوزي، ١٤١٧هـ، ص١٥ .

الجاهلية، وكان رضي الله عنه عند المبعث شديداً على المسلمين ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق[1]. شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، ووردت أحاديث كثيرة في فضله، ومما يذكر منها، أنه لما أسلم عزّ الإسلام، ومما يدل على ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه»[2] وأن إسلامه كان إجابة لدعوة الرسول ﷺ **«اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام»** فكان أحبهما إلى الله عز وجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3]. خصّه الرسول ﷺ بأنّه «المحدّث» أي الملهم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه»[4] وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **«قد كان يكون قبلكم محدثون فإن يكن أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم»**[5].

اهتم بالمسلمين في حياة رسول الله ﷺ، وفي عهد خليفته الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتولى الخلافة بعده، ودامت خلافته عشر سنين وستة أشهر.

ولما تولى الخلافة اهتم برعيته اهتماماً بالغاً، وتفقد أحوالهم بنفسه، وعدل بينهم ،وقام بخدمتهم وتعليمهم، وكان همّه الأكبر بناء الإنسان الصالح، وذلك لأنه تربى في مدرسة النبوة، وكانت آثارها في نفسه قويّة انطبعت على كل سلوكه، تعلم منها الإيمان والإخلاص، والصدق، وتحمل المسؤوليّة، اتخذ من رسول

---

(١) ابن حجر، ١٣٢٨هـ ،ج٢، ص٥١٨

(٢) البخاري ،كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، ص٧٠٣، رقم الحديث ٣٦٨٤ .

(٣) الترمذي، كتاب المناقب، ج٥، ص٥٧٦، رقم الحديث ٣٦٨١ الآجري، كتاب فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، باب دعاء النبي ﷺ لعمر، ج٤، ص١٨٧٥، رقم الحديث ١٣٤٦ .

(٤) الآجري، كتاب فضائل عمر بن الخطاب، باب ما روي أن الله عز وجل جعل الحق على قلب عمر ولسانه، ج٤، ص١٨٨٧ ،رقم ١٣٥٧ .

(٥) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، ج٤، ص١٤٨٥، رقم الحديث ٢٣٩٨ .

الله ﷺ قدوة في جميع شؤون حياته، فكان قوي الإيمان عادلاً مربياً مفكراً صاحب عقلية ناضجة متفتحة، إلى جانب أنه كان لديه الاستعداد الكافي لتحمل المسؤولية.

سار في الناس سيرة حميدة تفتقت عبقريته عن نهج قويم وطريق مستقيم وكان سداً منيعاً وحصناً حصيناً أمام البدع والشبه، والانحرافات حتى كتب الله له الشهادة في سبيله والموت في مدينة رسوله ﷺ، فقتل يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكان عمره ثلاثاً وستين سنة على أقرب الأقوال رضي الله عنه وأرضاه، وجمعنا به في دار كرامته(١).

ب- أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

١- سلامة العقيدة:

إن وضوح هذه الصفة وجلاءها في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يخفى على أحد من المسلمين، كيف لا؟ وقد أوصانا رسولنا ﷺ باتباع سنة الخلفاء الراشدين بقوله: «فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»(٢) وفي رواية عند «ابن أبي عاصم، ١٤٠٠هـ» «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»(٣) وعمر الفاروق ثاني الخلفاء الراشدين، ولو لم تكن عقيدتهم سليمة، ومنهجهم واضحاً لما أوصانا المصطفى ﷺ بذلك، ولما وصفهم بالمهديين. والأمر الجلي الواضح الحديث عنه يعد من باب الفضول غير أنني لا أجد غضاضة في أن نستنير ببعض أقواله وأفعاله رضي الله عنه التي تؤكد ذلك. وبادئ ذي بدء نقول إن العقيدة السليمة الصافية هي أساس وضرورة لوحدة الفكر والعمل، ولتحرير إرادة الإنسان المسلم، وقد أكد هذا

---

(١) ابن سعد، د.ت، ج٣، ص٣٦٥.

(٢) ابن ماجة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ج١، ص٢٩، رقم الحديث ٤٣.

(٣) ج١، ص١٩، رقم الحديث ٣١.

عمر رضي الله عنه في خطبه : «الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمان ، ورحمنا بنبيه محمدﷺ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنابه من الشتات ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا .. وإياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم من عدوهم»[(١)] .

ويؤكد نفس المعنى في قوله : «أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويهلك من سواه ، الذي ينتفع بطاعته أولياؤه ، وبمعصيته يضر أعداؤه فإنه ليس لهالك هلك معذرة في تعمد ضلالة حسبها هدى ، ولا في ترك حق حسبه ضلالة ، وإن أحق ما تعهد الراعي من رعيته تعهدهم بالذي لله عليهم في وظائف دينهم الذي هداهم الله له ، وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته ، وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته»[(٢)] .

ومما يدل على سلامة العقيدة لدى صاحبها وقوفه عند كتاب الله وللفاروق في ذلك مواقف منها :

موقفه مع عيينة بن حصن ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة ، فنزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهولاً كانوا أو شباناً ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي ، لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه ، فقال سأستأذن لك عليه • قال ابن عباس : فاستأذن الحُرّ لعيينة ، فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال : هيْ يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزْل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم به ، فقال له الحُر : يا أمير المؤمنين ، إن الله قال لنبيهﷺ : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها حين تلاها عليه ، فكان وقافاً عند كتاب الله[(٣)] وهذا الوقوف من أمير

---

(١) ابن عبد ربه ، ١٤٠٤ هـ ، ج٤ ، ص١٥٤ .

(٢) أبو يوسف ، ١٣٩٩هـ ، ص١٣ .

(٣) البخاري ، كتاب التفسير، باب خذ العفو ، ص٨٨٤ ، رقم الحديث ٤٦٤٢ .

المؤمنين خير دليل على سلامة عقيدته وقوة إيمانه وقربه من الله عز وجل، ومما يزيد الأمر وضوحاً وجلاءً حذره الشديد من الابتداع وتحذيره منه وتمسكه بالسنة ، وهناك من الأقوال ما تؤكد ذلك. منها ما روى المسور بن مخرمة أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتبصرت حتى سلم، فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ «أرسله اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت ثم قال: اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»(١) وفي هذا الحديث يتضح مدى حذره الشديد من الابتداع والتحريف في كتاب الله تعالى ، وهذا الفعل لا يصدر إلا من صاحب عقيدة سليمة صافية ومنها قول نافع: كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت(٢).

إن هذا الفعل الذي حدث من أمير المؤمنين وهو«قطع الشجرة»على مرأى منهم هو عين الصواب ؛لأنه لو ترك لهم الحبل على الغارب يفعلون ما يشاءون عند تلك الشجرة لاستشرى الأمر في نفوسهم، وبالتالي يصبح من الصعوبة بمكان علاجه والقضاء عليه، ولا يحدث هذا الفعل إلا من صاحب انفتاح عقلي واع ومنضبط قائم على أساس إيماني، ومنبعث من عقيدة إسلامية صافية .

(١) البخاري ،كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ص٩٩٣، رقم الحديث ٤٩٩١ .
(٢) ابن الجوزي، ١٤١٧هـ، ص١٣٩ .

٢- مكانة العلم وقدره :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل الدولة المثقف، المعلم صاحب السفارات والرحلات، المفتي في القضايا، يدرك أهمية العلم والتعليم ومكانته وقدره، ومن الصفات البارزة لصاحب الانفتاح العقلي أن يبلغ درجة من العلم تمكنه من القدرة على التفكير السليم، والاختيار الصائب وكلما ازداد المتعلم علما ومعرفة كان أقدر على التفكير والاجتهاد والموازنة بين المصالح والمنافع فيقدم الصالح على الفاسد والنافع على الضار وكذلك الأصلح على الصالح، والأهم على المهم .

ولقد بلغ عمر رضي الله عنه درجة من العلم شهد له بذلك من لا ينطق عن الهوى ﷺ، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا نائم أتيت بقدح من لبن فشربت منه، حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال: العلم**»[١] .

وكان رضي الله عنه يدعو الناس إلى طلب العلم، وقد وردت الأقوال الكثيرة عنه رضي الله عنه، تؤكد هذا، وتدعمه، ومن تلك الأقوال :

" تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تُعلّمون وتواضعوا لمن تَتعلمون منه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم[٢] ، تفقهوا قبل أن تسوَّدوا"«البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ص٣٩».

و" كونوا أوعية للكتاب، ينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، وعدُّوا أنفسكم في الموتى، ولا يضركم ألا يكثر مالكم[٣] ، و" لا يتعلم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث، لا يتعلم ليمارى به، ولا يباهى به، ولا يراءى به ،ولا يترك حياءً من

---

(١) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، ج٤، ص١٤٨٣، رقم الحديث ٢٣٩١.
(٢) ابن عبد البر، ١٤١٨هـ، ج١، ص٥٠١
(٣) ابن الجوزي، ١٤١٧هـ، ص٢٠٢

طلبه، ولا زهادة فيه، ولا رضى بالجهل منه[1] و" يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح الطريق، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين[2]".

إن مجموع هذه الأقوال يدل على مدى اهتمام عمر رضي الله عنه بالعلم والتعليم، ومن ثم مكانة العلم وقدره لديه، ويوحي بدلالات معينة من أهمها :

- أهمية العلم والتعليم لحياة الإنسان والمجتمع .
- أهمية العلم والفقه لكل مسؤول وراع للمسلمين .
- أهمية العلم الديني السلوكي .
- أن للعلم آداباً تتمثل في أهمية السكينة للتعلم، والتواضع للمعلمين والمتعلمين ..، وتوجيه النية في طلب العلم لله، وتجنب المراءاة والمماراة وترك الحياء في طلبه وعدم الزهد فيه ..[3].

ومما يدل على مكانة العلم وقدره لديه رضي الله عنه، حرصه على نشر العلم في كل الأمصار المفتوحة في عهد خلافته، فقد أرسل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه إلى الكوفة ليعلّم الناس فيها، وكتب إليهم "إني بعثت إليكم بعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وآثرتكم به على نفسي فخذوا منه[4]".

كما بعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة حاكماً ومعلماً حيث كان يعلم الناس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[5]. كما أرسل معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبا الدرداء، لينشروا العلم في الشام استجابة لطلب يزيد بن أبي سفيان

(١)ص٢٢٠.
(٢)ص٢١٤ .
(٣) أبو العينين، ١٤٠٩هـ، ج١، ص٤٢ .
(٤) الوكيل، ١٤٠٦هـ، ص٤٥ .
(٥) ابن سعد، د.ت، ج٤، ص١٠٨

حين أرسل إلى عمر بحاجته إلى من يعلم الناس في الشام[1]. وكان رضي الله عنه يتحرى في هذه البعثات الصادقين المشهورين بالعلم، وكان ينهى أن يؤخذ العلم من غير أهله، وقد قام بنفسه بتعليم الناس، وكان يجلس لمدارسة العلم، وكان يحذر من اتباع الرأي على غير أصل، وكان ينصح بعثاته التعليمية بهذا[2]. وكان لهذه البعثات أثرها الكبير في نشر العلم، وتحفيظ القرآن الكريم، وفقه الدين وفهمه وحث الناس على العمل به، وهكذا تتضح مكانة العلم وقدره عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحرصه البالغ على توفير قاعدة علمية متعلمة في بناء الإنسان والمجتمع، والحضارة الإسلامية، وذلك من شأنه رضي الله عنه، أن يجعل للعلم الأثر النفسي ثم العملي اللائق به، مما يوفر على المربي جهداً كبيراً، ويقرب له التوفيق من عمله.

٣- رفض التعصب واتباع الهوى:

تلقى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تربيتهم وتعليمهم من المربي والمعلم القدوة محمدﷺ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يعيش بين أصحابه دون أن يكون بينه وبينهم حجاب، فقد كان يخالطهم في المسجد والسوق والبيت والسفر والحضر، وكانت أقواله وأفعاله محل عناية منهم وتقدير، يتعلمون منه أمور دينهم ودنياهم في جميع شؤون حياتهم صغيرها وكبيرها، وكان لتلك التربية الأثر البالغ في نفوس أصحابه رضي الله عنهم أجمعين. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقف على منبر المسجد بعد أن فرغ من صلاة الظهر، ويقول:

" أيها الناس ما إكثاركم في صدقات النساء ؟ لقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه يقللون، وإنما الصدقات ما بين أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى أو مكرمة لم تسبقوهم إليها، فلا يزيدن رجل في صداق امرأة على أربع

---

(١) ابن حجر، ١٣٢٨هـ، ج٢، ص١٠٨.

(٢) أبو العينين، ١٤٠٩هـ، ج١، ص٤٣، ص٤٤.

مئة درهم قال: فنزل فاعترضته امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين أو ما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [النساء:٢٠] . قال عمر: اللهم غفراً. كل الناس أفقه من عمر !أخطأ أمير المؤمنين وأصابت امرأة، إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب وطابت نفسه فليفعل[١] .

وفي هذا الموقف يظهر عدم تعصب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرأيه ولا لنفسه أمام امرأة من عامة الناس، ثم فوق هذا يعترف بخطئه ويصوب قول المرأة. كل هذا أمام الناس وعلى مرأى ومسمع منهم .

وهذا موقف آخر لأمير المؤمنين ومع امرأة أيضا يظهر فيه رفضه للتعصب حتى مع نفسه رضي الله عنه وأرضاه، حيث خرج أمير المؤمنين من المسجد والجارود العبدي معه، فبينما هما خارجان إذ بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام ثم قالت رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة، قال لها: قولي، قالت: يا عمر ! عهدي بك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الفتيان فلم تذهب الأيام حتى سميت عمراً، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت، فقال الجارود: هيه، قد اجترأت على أمير المؤمنين ، فقال عمر : دعها أما تعرف هذه ياجارود ؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه، فعمر أحرى أن يسمع كلامها، أراد بذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١][٢] .

وهناك موقف أخر أيضا لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكن مع

---

(١) ابن كثير، ١٤١١هـ، ج١، ص٤٦٧ .

(٢) المقدسي، ١٤٠٨هـ، ص١٢٤ .

علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث خالف أمر عمر في رجم الزانية الحبلى، وأنكر عليه بقوله «لئن جعل الله لك عليها سبيلا فإنه لم يجعل لك على ما في بطنها سبيلا» فيرجع عمر ويقول: لولا علي لهلك عمر[1] هذا الفاروق رضي الله عنه الذي لا يخفى على أحد قوته وبطشه وهو صاحب الرأي السديد المحدث الملهم إذا عرف الحق أذعن له وترك رأيه، حينما أنكر عليه علي رضي الله عنه وهو أصغر منه سناً لم يتعصب لرأيه، بل فوق كل ذلك عاتب نفسه بقوله «لولا علي لهلك عمر».

٤- الاجتهاد :

في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تغيرت الأوضاع فاستقرت الأحوال في جزيرة العرب، وامتد حكم الدولة إلى مساحات واسعة الرقعة فشمل سلطانها شعوبا كثيرة، ولكل شعب عاداته وتقاليده، وإن دخل أبناؤه في الإسلام، إلا أنهم قد بقيت عندهم خلفيّات من الماضي، وتأثيرات من القديم فلا بد من معالجتها، كما أن الاستقرار ينشأ عنه أمور لم ينتبه إليها من قبل لما كان يجري في الجزيرة وما يدور خارجها، فكان لا بد من وضعها في مكانها الصحيح، وجمع الأمة على أمر واحد حتى تستطيع أن تؤدي دورها في طريق مستقيم دون تشعب، ومن غير انقسام في الرأي، وهذا كله مسؤولية الراعي، ويستلزم منه أن يكون ذا عقل ناضج وقلب فطن وسلامة في الحواس، وقدرة على القياس، والاستنتاج، والاستنباط، وتقويم للمصالح على المفاسد، مع علم بما يفكر فيه ويستنتج له، وهذا ما تميز به أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه، وهي خصائص ينبغي أن تتوفر في كل مجتهد، وابن الخطاب رضي الله عنه قد بلغ مرتبة عالية في الاجتهاد لم يبلغها سواه.

وفي سيرته رضي الله عنه من المواقف ما يدل على حسن اجتهاده وسلامة اختياره، ومن ذلك اختياره لأبي بكر، خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسولﷺ وهذا أمر في غاية الخطورة، إذ لو ترك الأمر هكذا أو تأخر اختيار الخليفة لحصلت الفرقة

---

(١) السباعي، ١٤٠٥هـ، ص٧٧.

والتنازع، ولضعف أمرهم وتشتت شملهم وطمع فيهم الأعداء الذين يتربصون بهم الدوائر. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر، فقال يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فأيكم تصيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ وقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر ... قال فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار(١).

ومن صور اجتهاده رضي الله عنه:

- مسألة جمع القرآن الكريم في مصحف واحد:

لا يمكن لأحد أن ينكر أن ما بذل من جهد في جمع القرآن الكريم وترتيبه، وكتابة نسخه الصحيحة، وحفظها ونشر تعاليمه في جميع البلاد، كان بتوجيه من عمر رضي الله عنه وتفصيل ذلك هو أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أرسل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه بعد مقتل أهل اليمامة وقال له: إن عمر أتاني، فقال إن القتل قد استحر بقراء القرآن وإني أخشى أن يستمر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ! قال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .قال زيد :قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك ،وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن فاجمعه. قلت: كيف تفعلان شيئالم يفعله رسول الله ﷺ ! قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري(٢). وأعلن عمر رضي الله عنه على الملأ أن يأتي إليه كل من تلقى شيئا من القرآن عن رسول الله ﷺ، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان،

---

(١) ابن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة عبد الله بن عمر، ج١، ص٥٦ .

(٢) السيوطي، ١٣٨٧هـ، ج١، ص١٦٥ .

وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبا حتى يشهد به من تلقاه سماعاً، مع كون زيد كان يحفظ القرآن، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط[1].

- ومسألة الأموال العامة، فقد كانت موارد الدولة في عهد عمر تنحصر في: الزكاة، والفيء، ثم الغنائم[2]. ولكل مورد من هذه الموارد جهات صرف محددة ، ومن اجتهاداته رضي الله عنه في هذا المجال:

١- تأخير جمع الزكاة عام الرمادة: حين أخر عمر الزكاة عام الرمادة، فلم يبعث السعاة، فلما كان قابل، ورفع الله ذلك الجدب أمرهم أن يخرجوا، فأخذوا عقالين فأمرهم أن يقسموا عقالا ويقدموا عليه بعقال. وبعث مصدقا عام الرمادة فقال: أعط من أبقيت له السنة غنماً وراعياً ولا تعط من أبقيت له غنمين وراعيين[3].

٢- وقفه سهم المؤلفة قلوبهم: من المعلوم أن أهل الزكاة ثمانية، ومنهم المؤلفة قلوبهم، وفي زمن الفاروق رضي الله عنه عز الإسلام وقوي جانبه مما يستلزم عدم الحاجة إلى إنفاق أموال الزكاة في هذا الصنف من الأصناف الثمانية، وانطلاقاً من ذلك رأى الفاروق أنه يوزع المال على سبعة أسهم، وربما على سهم واحد، وكان يوجد مؤلفة قلوبهم في صدر الإسلام، أما الآن فقد عز الإسلام ولسنا بحاجة إلى أن نتألف أحداً، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسيف جاهز. وقد زالت العلة لذا فقد أوقف سهم المؤلفة قلوبهم، واستشار بعض أصحاب رسول الله ﷺ، حيث لم يكن مستبداً برأيه، وقد وافقوه، وسار الخلفاء من بعده على نهجه[4].

٣- رفضه تقسيم الأرض التي فتحها المسلمون عنوة في العراق والشام ومصر

---

(١) السيوطي، ١٣٨٧هـ، ج١، ص١٦٧.

(٢) الطنطاوي، الطنطاوي، ١٤١٩هـ، ص١٠٠ – ص١٠١

(٣) ابن سعد، د.ت، ج٣، ص٣٢٣.

(٤) شاكر، ١٤١٧هـ، ص٤٧٥.

بين الفاتحين، وفرضه الخراج عليها ثم استحداثه للعشر ضريبة تفرض على التجار الذين يفدون إلى أرض الحرب للمتاجرة في أرض المسلمين[1].

قال إبراهيم التيمي: لما فتح المسلمون السواد قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أقسمه بيننا فأبى، قالوا: إنا فتحناه عنوة. قال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟ فأخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه وأخاف أن تقتتلوا فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤوسهم الضرائب - يعني الجزية - وعلى أرضهم الطسق - يعني الخراج - ولم يقسمها بينهم[2]. وكان لهذا القرار الذي اتخذه أمير المؤمنين عدة فوائد تربوية منها:

أ- عدم تحول الفاتحين إلى فلاحين الأمر الذي يضعف قدرتهم القتالية أمام أعدائهم.

ب - ربط الفلاحين القدامى بأرضهم وكسب ولائهم ،ساعد على استمرار ازدهار الزراعة في السواد، وأوجد موردا سنويا كبيرا لبيت المال خاصة وأن الأراضي المفتوحة في الشام ومصر عوملت وفق نظام الخراج أيضا، وهذا المورد مكّن الدولة من تجهيز الجيوش الكبيرة والقيام بالإصلاحات المتنوعة، وخاصة الارتقاء بالمستوى المعيشي للناس، والحد من نشوء الملكيات الإقطاعية الكبيرة لحصر تداول الثروة بأيد قليلة. وهكذا اتضحت قدرة عمر رضي الله عنه الاجتهادية، ودقة فهمه، وعمق بصيرته. ولعمر رضي الله عنه في مجال العبادات اجتهادات منها:

جمع الناس على صلاة التراويح في رمضان فعن عبد الرحمن بن عبد القارئ أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته

---

(١) الطماوي، ١٤٠١هـ، ص٤٢٤.

(٢) ابن الجوزي، ١٤١٧هـ، ص١٠٦.

الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله"[1]. فرأى أمير المؤمنين أن الفرضية قد زالت بوفاة رسول الله ﷺ فلا مانع من جمع المسلمين على صلاة التراويح فإن ذلك أفضل من أن تصلى عدة مجموعات في آن واحد، أو أن يصليها المسلمون فرادى، وهو يباين فكرة الإسلام في الوحدة والاجتماع، وينبذ الفرقة والتّوزع، وفي الوقت ذاته فقد سار الفاروق على سنة رسول الله ﷺ في صلاته هذه الصلاة جماعة في البداية حتى خشي افتراضها، ولم ينكر أحد من الصحابة على أمير المؤمنين رضي الله عنه وبهذا تتضح لنا نظرة عمر الواقعية كرجل دولة وصاحب فكر حضاري سياسي يدرك تماما متطلبات الحياة لشعب يحمل رسالة عالمية، والحاجة إلى التوفيق بين متطلبات الحياة وبين المثل الأعلى الذي رسمه الله للناس، كان عمر يعلم أن الدين بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة، ليس مجرد أفكار نظرية يعتنقها الناس، وأنه ليس مجرد عبادات يتقرب بها المسلم إلى ربه ولكنه - أولا وقبل كل شيء - أسلوب كامل في الحياة ومن هنا جاء اجتهاد عمر - في نطاق الفروع - لكي يجعل من تعاليم الإسلام دستورا للحياة، وقد نجح في ذلك بصورة لم يبلغها المجتمع الإسلامي بعد رسول الله ﷺ إلا في عهده رضي الله عنه. لقد كان ثمرة ناضجة للشعب المسلم الذي غرس الرسول ﷺ بذرته وتعهده بالرعاية طيلة ثلاثة عشر عاماً.

٥- التوسط والاعتدال

مما يتميز به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه التوسط والاعتدال في أقواله وأفعاله فلا إفراط ولا تفريط ولا تقصير ولا غلو، ومما يدل على وسطيته واعتداله ما كتبه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه في القضاء أما بعد: " فإن

---

(١) البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان ص٣٨٠، رقم الحديث ٢٠٠٨.

القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدي إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاد له واس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك..."[1].

فالمساواة بين الناس هي عين التوسط والاعتدال فالتزم ذلك حتى لا يطمع الشريف في الظلم وحتى لا ييأس الضعيف من العدل.

ومن مواقفه رضي الله عنه التي تدل على اتصافه بهذه الصفة والتزامه بها:

أن رجلاً قدم إليه وهو يبكي فقال عمر: ما يبكيك؟ إن كنت غارماً أعنّاك وإن كنت خائفا أمّنّاك إلا أن تكون قتلت نفساً، وإن كنت خفت جوار قوم جولناك عن مجاورتهم، فقال الرجل: لا ولكن شربت الخمر وأنا أحد من بني تميم. فأخذني أبو موسى فجلدني وسوّد وجهي وطاف بي في الناس، وقال لا تؤاكلوه ولا تشاربوه، ولا تجالسوه، فحدثت نفسي بإحدى ثلاث: إما أن اتخذ سيفاً أضرب به أبا موسى، وإما أن آتي المشركين فآكل معهم وأشرب، وإما أن آتيك فترسلني إلى الشام فإنهم لا يعرفونني، فبكى عمر ثم قال: إني كنت من أشرب الناس لها في الجاهلية، وإنها ليست كالزنا، وما يسرني أن لحق بالمشركين وإن لي كذا وكذا، ثم كتب إلى أبي موسى: أن فلان ابن فلان التميمي أخبرني بكذا وكذا، وأيم الله لئن عدت لأسودنّ وجهك ثم ليطاف بك في الناس فإن أردت أن تعلم أحقّ ما أقول فعد وأمر الناس فليؤاكلوه وليجالسوه، وإن تاب فأقيلوا شهادته، وكساه عمر وحمله وأعطاه مائتي درهم[2]. وهذا دليل واضح على وسطية عمر واعتداله فإن أبا موسى قد أفرط في إصدار الحكم على هذا الرجل الذي شرب الخمر فزاده على عقوبة الجلد بأن سود وجهه ونهى الناس عن تكليمه ومجالسته ومؤاكلته حتى ضاقت الأرض على هذا الرجل، وحدث نفسه بما حدّث، وهنا قد تعطي العقوبة التي تخرج عن طور

---

(١) ابن خلدون، ١٤١٩هـ، ص٢٠٤.

(٢) قلعه جي، ١٤١٨هـ، ص١٠٦.

الاعتدال نتائج عكسية، فقد يترك الرجل إسلامه، فلما أخبر عمر بذلك بيّن ذلك فأقر أبا موسى على الجلد وأنكر عليه تسويد وجهه ونهي الناس عن مجالسته وأمر برد الأمر إلى وضعه الطبيعي، وإلا انتقم لهذا الرجل بقدر مظلمته، وهذا غاية التوسط وقمة العدل من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٦- الشورى:

من الصفات المشهورة المأثورة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «الشورى» فكان يشاور كبار الصحابة وأهل الحل والعقد منهم في كل معضلة تنزل بالمسلمين حتى كان يشاور في الأمور الدقيقة البسيطة من مسائل الدين مع ما آتاه الله من فهم وبصيرة، وما تميز به من جريان الحق على لسانه وقلبه، ومع ما اشتهر عنه من موافقة القرآن لأحكامه وأقضيته في عهد رسول الله ﷺ، وكل ذلك لم يمنعه من التشاور مع الصحابة، خصوصاً أهل العلم والفقه منهم، بل والرجوع إلى أقوالهم التي قد تخالف قوله إذا اتضح له أن الحق معهم، ومن ذلك على سبيل المثال حد الخمر فقد جلد عمر بن الخطاب شارب الخمر ومن وجد سكران من أي شراب كان - إن كان حراً- في صدر إمارته أربعين جلدة، ثم جلد في آخر عهده ثمانين جلدة بعد مشاورة الصحابة رضوان الله عليهم في حادثة مشهورة وهي:

أن خالد بن الوليد أرسل أبا وبرة إلى عمر فأتاه وهو في المسجد ومعه عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبدالرحمن بن عوف وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام، فقال أبو وبرة لعمر: إن خالداً يقول: إن الناس قد انهمكوا في الخمر، وتحاقروا العقوبة فقال عمر: هؤلاء عندك فسلهم فقال: علي بن أبي طالب نرى أن تجلده ثمانين فإنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى فاجعله حد الفرية، وقال عبدالرحمن بن عوف اجعله كأخف الحدود ثمانين، فجعله عمر ثمانين وكتب بذلك إلى خالد وأبي عبيدة عامر بن الجراح[1].

---

(١) ابن أبي شيبة، د.ت، ج٢، ص١٢٨

وفي هذا الموقف يظهر تطبيق الفاروق رضي الله عنه لمبدأ «الشورى» حيث شاور أصحابه في زيادة عقوبة الخمر المقدرة بأربعين على عهد رسول الله ﷺ الزيادة فيها إلى ثمانين بسبب انهماك الناس في الخمر وعدم مبالاتهم بالعقوبة، وليس ذلك هجراً لحكم رسول الله ﷺ، بل فيه نظر إلى المعنى الذي شرعت من أجله العقوبة، وهو كف الناس عن المعصية، فكانت الزيادة من أجل تحقيق هذا الهدف الذي تسعى إليه الشريعة الإسلامية.

ومن المواقف المشهورة لعمر في مسألة الشورى ما رواه ابن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان يسرغ لقيه أهل الأجناد أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن نقدمهم على الوباء، فقال: ارتفعوا عني ثم قال: أدع لي الأنصار فدعوتهم له فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا نرى أن نرجع بالناس ولا نقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فاصبحوا عليه ...قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: أنا عندي من هذا علماً. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» قال: فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف[1].

وبهذا يتبين لنا في هذا الموقف كيف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار هذا الكم الهائل من الصحابة حتى كاد أن يستشير الجيش كله، وما ذاك إلا تطبيقاً

(١) مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها، ج٤، ص١٣٨٩، رقم الحديث ٢٢١٩.

منه لمبدأ الشورى الذي فرضه الله على اكمل الخلق وأعلمهم، فقال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران١٥٩] .فإذا كان رسول الله ﷺ، وهو الذي يوحى إليه، ولا ينطق عن الهوى أُمر بالشورى فغيره من باب أولى، فكان عمر رضي الله عنه يتحرى الشورى في كل أمر يعرض عليه ثم يرجح بعد ذلك ما يراه راجحاً وصواباً بعد اجتهاده وإعمال فكره وبذلك كانت اجتهاداته سليمة وآراؤه صائبة ؛ ذلك لأن الشورى تعمل على تكوين رؤية متكاملة وصحيحة للقضية المطروحة للبحث، إذ أنه في كثير من الأحيان تكون نظرة الأفراد نظرة جزئية ومحدودة، أما نظرة الجماعة فتكون رغم تجزئتها في عرض الآراء والأفكار ابتداءً إلا أنها في النهاية تكون نظرة شمولية، هذه النظرة تكون غالباً أسلم وأبعد عن الخطأ.

٧- بعد النظر :

مما تميز به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد النظر والقدرة على التفكير السليم حتى وافق القرآن الكريم آراءه بل حتى نزل القرآن الكريم بأقواله التي تحدث بها، وهذه مرتبة عالية جداً في بعد النظر وسلامة التفكير، ولا شك أن هذه المرتبة العالية إنما تمكن منها بسبب ما منحه الله تعالى من الذكاء المفرط والعلم الغزير والنية الصالحة، وبسبب أنه كان يعمل عقله دائماً في الأمور المهمة التي يعود نفعها على المسلمين فأثمرت هذه الثمرة اليانعة المباركة. ومما يدل على ذلك ما رواه ابن عمر قال: لما أراد النبي ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أُبيّ، جذبه عمر وقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين ؟ فقال: إنما خيرني الله فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة٨٠]. وسأزيد على سبعين مرة .قال: إنه منافق فصلى عليه رسول الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ

﴿فَاسِقُونَ﴾ [التوبة٨٤] [١]، وعن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث ووافقني ربي في ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فانزل الله +وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" قلت يا رسول الله إنه يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؟ فأنزل الله عليه آية الحجاب، وبلغني معاتبة النبيﷺ بعض نسائه فاستقريت أمهات المؤمنين واحدة بعد واحدة وأقول: والله لأن انتهيتن وإلا ليبدلن الله رسوله خيراً منكن قال فأتيت على بعض نسائه فقالت: يا عمر: أما في رسول الله ما يعظ نسائه حتى تكون أنت تعظهن؛ فأنزل الله عز وجل ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ [التحريم٥] [٢].

ومن مواقفه رضي الله عنه التي تدل على بعد نظره موقفه مع أبي هريرة فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا قعوداً حول رسول اللهﷺ معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول اللهﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا. وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول اللهﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له باباً، فلم أجد. فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة «والربيع الساقية» فاحتفرت كما يحتفر الثعلب. فدخلت على رسول اللهﷺ فقال أبو هريرة فقلت نعم يا رسول الله. قال: ما شأنك. قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا. فخشينا أن تقطع دوننا ففزعنا. فكنت أول من فزع. فأتيت هذا الحائط فأحتفرت كما يحتفر الثعلب. وهؤلاء الناس ورائي فقال: يا أبا هريرة وأعطاني نعليه، قال: «اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها من قلبه فبشره بالجنة» فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت هاتان نعلا

---

(١) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رضي الله عنه، ج٤، ص١٤٨٦، رقم الحديث ٢٤٠٠.
(٢) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، ص٨٤٨، رقم الحديث ٤٤٨٣.

رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة ؛ فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاستي فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاءً وركبني عمر فإذا هو على أثري، فقال لي رسول الله ﷺ مالك يا أبا هريرة» ؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي ، قال: ارجع. فقال له رسول الله: «يا عمر ما حملك على ما فعلت ؟» قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة ؟ قال: نعم. قال: فلا تفعل ؛ فأني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: «فخلهم»[1]. وفي هذا الموقف دلالة واضحة وبينة على بعد نظره رضي الله عنه فهو لم تشغله تلك البشارة التي زفها إليه أبو هريرة رضي الله عنه من رسول الله ﷺ والذي يتمناها كل فرد مسلم، بل كان رضي الله عنه صاحب بعد نظر، وكانت نظرته نظرة شمولية، حيث لم يقصر نظرته على نفسه فحسب بل نظر إلى المصلحة العامة، وما يترتب على ذلك الخبر مستقبلاً من اتكال الناس عليه وتركهم للعمل «فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون» وحينما نظر المصطفى ﷺ إلى موقف عمر ورأى ما فيه من بعد نظر ومصلحة عامة للمسلمين وافقه على ذلك بقوله «فخلهم».

وبعد استعراض هذه النصوص الصحيحة والوقائع المثيرة في حياة عمر ابن الخطاب تبين للباحث دلالتها الواضحة على بعد نظره رضي الله عنه، وسلامة تفكيره وصواب قوله حتى أن الله وافقه في قوله وأيده في تفكيره، وأنزل القرآن الكريم مصداقاً لرأيه وتأييداً لموقفه، ففيه دلالة واضحة على بعد النظر الذي لا يكون إلا عن علم غزير وحسن تفكير وإعمال للعقل وليعلم أن كثرة التفكير

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، ج١، ص٦٣، رقم الحديث ٣١.

وإعمال الذهن في المسائل المهمة الحساسة تؤدي إلى سلامة القول إذا صاحب ذلك غزارة في العلم، وإفراط في الذكاء وهو ما حصل لعمر رضي الله عنه.

٨- الانفتاح المنضبط على خبرات الآخرين :

لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممن يضيق صدره بمثل تلك العلوم والخبرات التي وجدها المسلمون في البلاد الإسلامية المفتوحة فيرفضها، ولا ممن يتنكر للحضارة ويردها، لكنه كان واسع الصدر والأفق، حريصا على الخير، والاستفادة من تلك العلوم والمعارف والخبرات ،فيأخذ منها الصالح، ويترك ما عدا ذلك .

وعندما فتح المسلمون بلاد فارس والروم، وكان لكلا البلدين علوم في تنظيم الدولة، فكان لهما دواوين للأموال، ودواوين للجند، ونظام إداري يتعامل على أساسه موظفو الدولة، واستفاد المسلمون مما عند هذه الأمم من نظم وعلوم وأساليب، وفيهما كان مخزون العلوم ومستودع الثقافة ،فلا غرو أن نرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستفيد من بعض خبرات أهل تلك البلاد في تطوير شؤون دولته.

فعندما أراد عمر بن الخطاب أن يمسح السواد، أرسل إلى عثمان بن حنيف : أن ابعث إليّ بدهقان من قبل العراق فبعث إليه بكل واحد منهما ومعه ترجمان من أهل الحيرة، فلما قدموا على عمر بن الخطاب قال للدهاقين : كيف كنتم تؤدون الأعاجم في أرضهم ؟ هكذا يسأل عمر الدهاقين يستفيد من معرفتهما، ولم يمنعه مكانه أن يتعلم منهما ما لم يكن يعلم، مادام لا يؤثر في عقيدته، ولا يخالف تعاليم الإسلام ومبادئه[١]

ولما قدم أبو هريرة رضي الله عنه من البحرين إلى المدينة أخبر عمر رضي الله عنه بأنه جاء بمال كثير يقدر بخمسمائة ألف درهم، نادى في الناس رضي الله عنه، وجمعهم وأخبرهم بمقدم أبي هريرة، وما أتى به من المال الكثير، وقال لهم : إن شئتم

---

(١) أبو يوسف، ١٣٩٩هـ، ص٣٨ .

كلنا لكم كيلا ، وإن شئتم عددنا لكم عداً ، وإن شئتم وزنا لكم وزنا ! فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدوّنون ديوانا فدوّن لنا أنت ديوانا ، فدون عمر بن الخطاب الديوان[١] ، والديوان : " موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[٢] وهو كلمة فارسية تعني السجل الذي تدون فيه أعطيات الموظفين ، وتسجل فيه أسماء الجند وأرزاقهم ، بل هو كل دفتر تبين فيه المستحقات الراتبة وما يدخل إلى خزينة الدائرة وما ينفق منها[٣] .

وذكر «الطبري ، ١٤٠٧هـ» : أن نشأة الدواوين الإسلامية كانت في العام الخامس عشر للهجرة[٤] ، وكان للديوان الذي أنشأه عمر بالمدينة فروع في العراق والشام ومصر ، بجانب فروع هذا الديوان العربي كانت تقوم الدواوين المحلية ، التي تركت في العراق والشام ومصر ، "ووكل معظم الدواوين إلى أبناء البلاد يزاولونها بلغاتهم لأنها من أسرار الدولة ، وليس من الميسور أن ينصرف إليها فتيان العرب عما هو أولى بهم وهو فرائض الدفاع والجهاد[٥] . ولا خوف على المسلمين من اقتباس كل علم ينفع الإسلام وأهله ، ولو كان من عند غير المسلمين ، وقد صقل القرآن الكريم عقولهم ، فأصبحت تنفر من الباطل ولا تتأثر إلا بالحق ، وهذّبت السنة الشريفة أفئدتهم فلا تنفتح إلا للخير فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

ولقد وهب الإسلام عقول المسلمين قوة مدركة يميزون بها بين الخبيث والطيب ، بل أصبحت عقولهم قادرة على التأثير في غيرها ، منيعة من أن تتأثر في غير الحق[٦] .

والإسلام يحض على التبادل الثقافي والتربوي والحضاري ويحسن العطاء كما

---

(١) البلاذري ، ١٩٣٢م ، ص٤٣٩

(٢) الماوردي ، ١٤٠٥هـ ، ص٢٤٩ .

(٣) شاكر ، ١٤١٧هـ ، ص ٤٣٨ .

(٤) ج٣ ، ص٦١٣ ،

(٥) العقاد ، د.ت ، ص١٢٢ .

(٦) الوكيل ، ١٤٠٦هـ ، ص٤٤ .

يحسن الأخذ، والناحية البارزة العظيمة في الإسلام هي احترام الفكر واحترام الكلمة سواء كانت ملفوظة أو مكتوبة، وعدم هدم السابق بل تنقيته والبناء عليه والزيادة فيه لخدمة الإنسانية، ولذلك لم يمتنع ابن الخطاب عن نقل علوم العجم والعمل بها لما فيها من الفوائد التي تعود على المسلمين والمصلحة التي ينتفع بها الجميع .

ثانياً: الإمام الشافعي :

أ- نبذة مختصرة عن حياته :

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملّة، أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي، نسيب رسول الله ﷺ، وابن عمه[١] ينسب إلى شافع فيقال له الشافعي، كما ينسب إلى عبد المطلب فيقال المطلبي، كما ينسب إلى مكة لأنها موطن آبائه وأجداده، فيقال له المكي، إلا أن النسبة الأولى قد غلبت عليه[٢] .

ولد سنة ١٥٠هـ بغزة، وقيل باليمن، وقيل بعسقلان، وغزة أصح. وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، فنشأ بها وأقبل على الأدب والعربية والشعر فبرع في ذلك، وحبب إليه الرمي حتى فاق الأقران، وصار يصيب من العشرة تسعة[٣] ثم حبب إليه الفقه فساد أهل زمانه[٤] ظهرت علامات النبوغ على الشافعي صغيراً، فقد كان الشافعي أول أمره فقيراً ، فلما سلموه إلى المعلم ،ما كانوا يجدون أجرة المعلم ، فكان المعلم يقصّر في التعليم، إلا أن المعلم كلما علّم صبياً شيئاً كان الشافعي يتلقف ذلك الكلام ثم لّما قام المعلم عن مكانه أخذ الشافعي يعلم الصبيان تلك الأشياء، فنظر المعلم، فرأى الشافعي يكفيه أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي كان يطلب منه ، فترك

---

(١) الذهبي، ١٤١٣هـ، ج١٠، ص٥- ص٦ .
(٢) الموسوعة العربية العالمية، ١٤١٦ هـ ج١٤، ص ٢١ .
(٣) الصفدي، ١٤١٧هـ، ح٢، ص١٦٩
(٤) الذهبي، ١٤١٣هـ، ج١٠، ص٦ .

طلب الأجرة ، واستمر على هذه الأحوال ، حتى تعلم القرآن لتسع سنين. ولما ختم الشافعي القرآن دخل المسجد الحرام ، وأخذ يجالس العلماء ويحفظ الحديث(١) ، وقد حفظ موطأ مالك وهو ابن عشرسنين ، وأفتى وهو ابن خمس عشرة ، وقيل : ابن ثماني عشرة ، وقد أذن له شيخه مسلم بن خالد في الإفتاء في ذلك السن المبكر(٢). تميز الإمام الشافعي عن غيره من الفقهاء ، بأنه لم يكتف بتلقي العلم عن أحد العلماء أو المشايخ ، بل تجول في كل أرجاء الدولة الإسلامية ، يناقش جميع الناس ، وكل العلماء والفقهاء ، ورواة الحديث ، فعاش في الحجاز وتنقل بين أهم قبائلها ، ثم رحل إلى العراق ، وبلاد الفرس ، والأناضول ، واليمن ، وبلاد الشام ، ومصر ، كما غاص في تأمل ومناقشة ومحاورة جميع التيارات الفقهية ، والفكرية ، والأدبية والعلمية السائدة في عصره ، مما جعله مؤهلاً لحمل الصفة الموسوعية الشاملة والتي تؤهله لأن يكون من أصحاب الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية. وفي ليلة الجمعة سنة ٢٠٤ هـ توفي رحمه الله عن عمر بلغ الرابعة والخمسين ، ودفن في مصر(٣) .

ب – أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند الإمام الشافعي

١ - سلامة العقيدة :

الشافعي من أئمة المذاهب الأربعة - رحمهم الله - المشهود لهم بالعمل الصالح ، والفكر الراجح ، والبصيرة النيرة ، والعقيدة السليمة الصافية .

قال داود بن على الظاهري : " للشافعي من الفضائل مالم يجتمع لغيره ، من شرف نسبه ، وصحة دينه ومعتقده ، وسخاوة نفسه ، ومعرفة بصحة الحديث وسقمه ، وناسخه ، وحفظه الكتاب والسنة ، وسيرة الخلفاء ، وحسن التصنيف ، وجودة الأصحاب والتلامذة ، مثل أحمد بن حنبل في زهده وورعه ، وإقامته على

---

(١) التبريزي ، د.ت ، ج٣ ، ص٧٩٢ – ص٧٩٣

(٢) ابن كثير د.ت ، ج١٠ ، ص٢٦٣ .

(٣) الرازي ، ١٤١٣هـ ، ص٢٦ .

السنة[1] وقد ذكر «البيهقي، ١٤١٧ هـ» مجموعة من الأقوال تشهد للشافعي بحسن الاعتقاد ومنها:

- إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت.
- إذا وجدتم في سنة رسول الله ﷺ خلاف قولي، فخذوا بالسنة ودعوا قولي؛ فإني أقول بها.
- كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل، بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي.
- ما من أحد إلا ويذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتغرب عنه، فمهما قلت من قول أو أصّلت من أصل فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي، قال: وجعل يردد هذا الكلام.
- من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته، ومن غلط فتركها خالفته، صاحبي الذي لا أفارقه اللازم الثابت عن رسول الله ﷺ، وإن بعد، والذي أفارق من لم يقبل سنة رسول الله ﷺ وإن قرب[2].

ومما يؤكد ذلك ما أورده «الذهبي، ١٤١٣هـ» عن المزني قال: قلت: إن كان أحدٌ يخرج ما في ضميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي؛ فصرت إليه وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك فما الذي عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت نعم. قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا قال: تدري كم نجماً في السماء؟ قلت لا، قال: فكوكب منها تعرف

(١) ابن كثير، د.ت، ج١٠، ص ٢٦٤ - ص ٢٦٥.

(٢) ج١، ص٢٥٤، ص٢٥٥ ص٢٦٠.

جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق ؟ قلت: لا، قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه ؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٦٣- ١٦٤]. فاستدل بالمخلوق على الخالق، فلا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك[١]. فتاب الرجل على يد الشافعي، وأقبل على فقه الكتاب والسنة، وقد أصبح عَلَماً من أعلام الإسلام في فقه الشافعي. وكان هذا الموقف من الإمام الشافعي رحمه الله دفاعاً عن الكتاب والسنة، وفيه دلالة واضحة على سلامة عقيدته رحمه الله، ووضوح منهجه. وكان الإمام الشافعي يعتقد أن أساس الشريعة الإسلامية كتاب الله وسنة رسولهﷺ، وما كان يعتقد أنه أحاط بسنة رسول الله علماً، فكان يحث أصحابه على طلب الحديث، وإن رأوا صحيحاً يخالف ما يقرره، فليرفضوا رأيه ويأخذوا بالحديث، يقول الربيع بن سليمان: «سمعت الشافعي وقد سأله رجل عن مسألة، فقال: يروي عن النبيﷺ أنه قال كذا وكذا. فقال له يا أبا عبد الله أتقول بهذا فارتعد الشافعي، واصفر لونه، وحال وتغيّر، وقال: أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول اللهﷺ، ولم أقل: نعم على الرأس والعينين»[٢]. إن تغيّر حاله واصفرار لونه وارتعاد جسمه عند سماعه لمسألة الرجل لخير دليل على سلامة عقيدته، ومدى تمسكه بالكتاب والسنّة وهاهو الإمام الشافعي يلقننا درساً في العقيدة قائلاً:

---

(١) ج١٠، ص٣١، ص٣٢.

(٢) أبو زهرة، ١٣٦٧هـ، ص٣٦.

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً   وإذا مت لست أعدم قبراً
همتي همت الملوك ونفسي   نفس حرٌ ترى المذلة كفراً
وإذا ما قنعت بالقوت عمري   فلماذا أزور زيداً وعمراً[1]

وهكذا يعيش صاحب العقيدة حراً لأنه تحرر من العبوديَّة للناس والدنيا والشهوات، وحقق عبوديته لربه وخالقة، ومن حريته أن يرفض الظلم، ويأبى الذل، ويناهض الباطل، ويتمنى الشهادة.

إن صاحب العقيدة السليمة يعيش مع النّاس بجسده ومع الله والآخرة بروحه ووجدانه، فهو أبيٌّ لا يساوم على عقيدته، ولا يقبل الإغراء على دينه، ولا يرهب ظالماً لظلمه، ولا طاغياً لشره، فهو يؤمن بأن الآجال والأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى

٢ – مكانة العلم وقدره:

بلغ الشافعي رحمه الله مبلغاً عالياً في العلم، مكّنه من الاجتهاد والنظر في أصول الشريعة، وأدلتها والقياس عليها، ويكفيه فخراً ومعرفةً لرسوخ قدمه في العلم أن يُعلم أنّه أوّل من أنشأ علم الأصول، وذلك بإجماع العلماء والفقهاء، قال الفخر الرازي: " كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه، ويستدلون، ويعترضون، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة الشريعة، وفي كيفية معارضاتها وترجيحاتها ،فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه، ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب الشرع فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة ارسطاليس إلى علم العقل[2]. ولقد نوّر الله بصيرة الإمام الشافعي منذ صغر سنه ففتح له في العلم حتى شهد له بذلك شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، فعن الحميدي قال: سمعت مسلم بن خالد الزنجي يقول للشافعي: " أفت يا أبا عبد الله فقد والله آن لك أن تفتي .. وهو ابن خمس عشرة سنة[3].

---

(١) الشافعي، ١٤١٧هـ، ص ٢٢٣

(٢) الدقر، ١٤١٧هـ، ص٢٢٧.

(٣) الرازي، ١٤١٣هـ، ص٣٩.

وهذا يحيى بن سعيد القطان - من أكابر علماء الحديث - يقول: "إني لأدعو الله عز وجل للشافعي في كل صلاة «أو في كل يوم» يعني: لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه"[1]. وقد روى أبو هريرة وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا قريشاً فإن عالماً يملأ الأرض علماً» وفي رواية قال: «عالمها يملأ طبق الأرض» فأجمعت الأمة على أن هذا في الشافعي رضي الله عنه فما خرج من قريش فقيه وإمام يبلغ علمه جميع البلاد، والأكناف، والأطراف يمناً، وحجازاً، وشاماً، وعراقاً، والثغور، وفرسان ما وراء النهر إلا الشافعي رضي الله عنه[2].

وهذا الحديث نص في أن علم الشافعي رحمه الله تعالى يملأ الأرض كلها، وأنّه ما من عالم إلا وقد استفاد من علمه وأصوله التي طبقها في علم الحديث حتى أن كبار المحدثين الذين كانوا يهتمون بنقل الحديث وروايته لمّا رأوا الشافعي رحمه الله يهتم بفقه الحديث ويدرس ألفاظه العامة والخاصة، ويعرف ناسخه ومنسوخه، نهلوا من فيض علمه، وغرفوا من بحر فقهه، ونقولات كبارهم تدل على رسوخ قدم الشافعي رحمه الله في ذلك. فعن إسحاق بن راهويه قال: كنّا بمكة والشافعي بها، وأحمد بن حنبل بها فقال أحمد بن حنبل: يا أبا يعقوب جالس هذا الرجل «يعني الشافعي» قلت: ما أصنع به وسنه قريب من سننا؟ أترك ابن عيينة والمقبري؟! فقال: ويحك إن ذاك يفوت؟ وذا لا يفوت فجالسته[3].

فهذا أحمد بن حنبل رحمه الله إمام من أئمة الحديث، ويأمر بحضور مجالس الشافعي رحمه الله في الوقت الذي تتعارض فيه مع مجالس ابن عيينة والمقبري، وهما مَنْ هما في علم الحديث ونقل السنن، وما ذلك إلا لما فتح الله به على الشافعي من علم فقه الحديث، ومعرفة ألفاظه الدقيقة، وأحكامه الخفيّة، ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل إن هذا لا يفوت أي في علمه وفهمه الدقيق لأحكام الحديث وفقهه.

---

(١) الرازي، ١٤١٣هـ ص٤١.

(٢) السّلماسي، ١٤٢٠هـ، ص١١٨.

(٣) الرازي، ١٤١٣هـ، ص٤٣.

وهذا محمد بن الفضل البزار يقول: سمعت أبي يقول: " حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت في مكان واحد معه أو في دار يعني «بمكة» وخرج ابن حنبل باكراً وخرجت أنا بعده فلما صليت الصبح درت المسجد فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، وكنت أدور مجلساً مجلساً طلباً لأبي عبد الله - أحمد بن حنبل - حتى وجدته عند شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جُمّة فزاحمته: حتى قعدت عند أحمد بن حنبل، فقلت يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وعنده من الزهري وعمرو بن دينار، وزياد بن علامة، والتابعين، ما الله به عليم، فقال لي: أسكت، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزل لا يضرك في دينك ولا في عقلك أو في فقهك، وإن فاتك أمر هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة. ما رأيت أحداً: أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي قلت مَنْ هذا ؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي[1]. ويؤكد هذه الأقوال جميعها «ابن كثير، د٠ت» بقوله: " وقد أثنى على الشافعي غير واحد من كبار الأئمة منهم عبد الرحمن بن مهدي، وسأله أن يكتب له كتاباً في الأصول فكتب له الرسالة، وكان يدعو له في الصلاة دائماً، وشيخه مالك بن أنس وقتيبة بن سعيد. قال: هو إمام. وسفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد القطان، وكان يدعو له أيضاً في صلاته. وأبو عبيد، وقال: ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أورع من الشافعي. ويحيى بن أكثم القاضي، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن الحسن، وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح أقوالهم»[2]. فهذه شهادة واضحة من أهل زمانه على رسوخ قدمه رحمه الله في العلم، إذ كان المنشئ لعلم فقه الحديث وواضع أصوله ومقنن قواعده، وبهذا الفقه والذكاء فتح للشافعي رحمه الله فتحاً عظيماً فكان أحد أئمة الاجتهاد وأصحاب المذاهب المتبوعة والآراء المقبولة. وأما بعد زمانه فقد شهد له بذلك، فهذا أحمد محمد شاكر يقول في مقدمة تحقيقه لكتاب «الرسالة» :

" إن هذا الرجل لم يظهر مثله في علماء الإسلام في فقه الكتاب والسنة ونفوذ

---

(١) البيهقي، ١٤١٧هـ، ج٢، ص١٥٣ .

(٢) ج١٠، ص ٢٦٤ .

النظر فيهما، ودقة الاستنباط. مع قوة العارضة، ونور البصيرة، والإبداع في إقامة الحجة، وإفحام مناظره. فصيح اللسان، ناصع البيان، في الذروة العليا من البلاغة. تأدب بأدب البادية، وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر، حتى سما عن كل عالم قبله وبعده نبغ في الحجاز، وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنة، وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن، ولم يكن الكثير منهم أهل لَسَنٍ وجدل، وكادوا يعجزون عن مناظرة أهل الرأي، فجاء هذا الشاب يناظر وينافح، ويعرف كيف يقوم بحجته، وكيف يلزم أهل الرأي وجوب اتباع السنة وكيف يثبت لهم الحجة في خبر الواحد، وكيف يفصل للناس طرق فهم الكتاب على ما عرف من بيان العرب وفصاحتهم، وكيف يدلهم على الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة، وعلى الجمع بين ما ظاهره التعارض فيهما أو في أحدهما[1].

ولئن تجاوزنا ذلك لنجدن شهادة أقوم دليلاً وأبين بياناً، وهي ما تركه من آثار، ومن أقوال مأثورة، أو فتاوى منشورة، أو رسائل كتبها، أو كتب أملاها، أو خلافات دونها، أو مناظرات أقامها، ففي كل ذلك الدليل على مقدار علمه، ومقدار مواهبه واتساع أفقه، وفصيح بيانه، وقوة جنانه، فكان أكبر من أديب، وأكثر من فقيه[2].

ويؤكد ذلك «القطان، ١٤١٧هـ» بقوله: " ونتاج الشافعي، وما تركه من آثار يشهد له بذلك، فقد أوتي علم العربية، وعلم الكتاب وفقه الحديث، وضبط قواعد السنّة، وبرز في فقه الرأي والقياس وكان يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن كتب الحديث قويت حجته ومن نظر في الحديث نبل قدره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه[3] .

(١) الشافعي، ١٣٠٩هـ، ص٥ — ص٦

(٢) أبو زهرة، ١٣٦٧هـ، ص٣١ .

(٣)ص٣٠٠.

ولقد أرجع «أبو زهرة، ١٣٦٧هـ» رسوخ الشافعي في العلم الذي جعل للعلم هذه المكانة وهذا التقدير في شخصيته إلى أربعة أمور:

أولها: مواهبه: آتى الله الشافعي حظاً من المواهب يجعله في الذروة الأولى من قادة الفكر، وزعماء الآراء كان قويّ المدارك، حاضر البديهة عميق الفكر، بعيد الفهم، يعتمد على الضوابط العامة والقواعد الكلية في معرفة الجزئيات والفروع، وكان قويّ البيان، واضح التعبير، نافذ البصيرة.

ثانيها: شيوخه: أخذ الشافعي الفقه والحديث عن شيوخ عصره على اختلاف مناهجهم، من شيوخ مكة والمدينة واليمن والعراق، فتلقى فقه مالك عليه، وتلقى فقه الأوزاعي عن صاحبه عمر بن أبي سلمة، وتلقى فقه الليث بن سعد فقيه مصر عن صاحبه يحيى بن حسان ثم تلقى فقه أبي حنيفة وأصحابه على محمد بن الحسن. فاجتمع لديه هذا المزيج الفقهي على اختلاف نزعاته، فألف بينه واستنبط من المعاني الكلية التي قدمها للناس في بيان رائع وقول محكم .

ثالثها: دراساته الخاصة وتجاربه: فقد رحل الشافعي في طلب الحديث والفقه، رحل إلى مالك ولازمه ثم رحل إلى اليمن عاملاً في بعض أعمال ولايتها «نجران» ثم رحل إلى العراق ومصر، ومن شأن هذه الرحلات أن تكسبه خبرات في إدراك معاملات الناس وعاداتهم وأعرافهم وأن تفتح وتنمي مداركه وأن تقف به على المناهج الفقهية المختلفة ليدرسها دراسة الناقد الفاحص، دون أن يتقيد بمذهب أو نحلة أو طائفة، وهكذا كان الشافعي.

رابعها: عصر الشافعي: ولد الشافعي وعاش في عصر استقرار الدولة العباسية، وتمكين سلطانها، وازدهار الحياة الإسلامية فيها، حيث كانت المدن الإسلامية تموج بنشاط العلماء، واقتباسهم من الفلسفة اليونانية، وآداب الفرس، وعلم الهند، في حركة الترجمة التي تولاها الخلفاء العباسيون بالتنمية والتشجيع، وكان لها أثرها في الفكر الإسلامي ونشأ في غضون ذلك الزنادقة الذين كادوا

للإسلام، ودبروا الأمر لإفساد الجماعة الإسلامية مما حمل، فريق من العلماء على رد أباطيلهم والذود عن حمى الناس عن طريق ما اقتبسوه من الفلسفة مما لم يكن مألوفاً في الاستدلال عند السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهؤلاء هم المعتزلة الذين تورطوا بعد ذلك في إثارة مسائل فلسفية، خالفوا فيها طريقة السلف الصالح في الاستدلال للعقائد وطريقة المحدثين والفقهاء، الذين يأخذون العقيدة من الكتاب والسنة ،ولا يستعملون فيه الأقيسة العقلية• وكره الشافعي تعاليم المعتزلة وأساليبهم، واستنكر الاشتغال بطريقتهم، ولكنه استفاد قوة في طرائق الجدل الفقهي لإثبات الحجة، وإلزام الخصم[1]. وبهذا الرسوخ في العلم أدرك الإمام الشافعي رحمه الله فضل العلم ومكانته وقدره، وقد وردت أقوال كثيرة تؤكد هذا، وتدعمه، ومن تلك الأقوال: "من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن[2] كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل شيناً أن يتبرأ منه مَنْ هو فيه ويغضب إذا نسب إليه[3].

والعلم في نظر الشافعي نور من الله وهبه لعباده، قال الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي[4]

والعلم في نظر الشافعي يرفع صاحبه وينيله شرف المكانة والمنزلة الرفيعة يقول:

رأيت العلم صاحبه كريم ... ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن ... يعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه في كل حال ... كراعي الضأن تتبعه السوام
فلولا العلم ما سعدت رجال ... ولا عرف الحلال ولا الحرام[5]

---

(١) ص٣٣ – ص٥٨ .

(٢) الغزالي، د٠ت، ج١، ص٨

(٣) الأصفهاني ١٤٠٩هـ، ج٩، ص١٤٦ .

(٤) الشافعي، ١٤١٧هـ، ص٢٦٢ .

(٥) ص٣٣٩.

وما أحرى الناس أن يسارعوا في اكتساب مفخرة العلم وعزه، وأن يتنافسوا في طلبه وجمعه، وفي ذلك يقول الشافعي:

العلم مغرس كل فخرٍ فافتخر　　　وأحذر أن يفوتك فخر ذاك المغرس
فلعل يوماً أن حضرت بمجلس　　　كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس[1]

ومن أقواله أيضاً: " من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم[2]".

ومما يدل على مكانة العلم وقدره عند الإمام الشافعي رحمه الله حرصه على إعطاء العلم حقه، وتحصيل العلم يحتاج من صاحبه جهداً مبذولاً وجهاداً موصولاً وصبراً ومعاناة. وقد قيل أعط العلم كلك يعطك نصفه، وإن أعطيته نصفك أعطاك ربعه، وإن أعطيته ربعك لم يعطك شيئاً. إن العلم نورٌ ينير ظلمات الجهالة إذا صاحبه صدق وإخلاص في النية ومن هنا كان للعلم قدره وعلو مكانته، والإمام الشافعي ممن تحقق فيه ذلك فكان للعلم عنده مكانة وقدر، فهاهو يرى أن طالب العلم وحامله يجب عليه أن يصونه ويغالي به ويضعه في مكانه اللائق به الرفيع تماماً كما يصون عرضه ودمه فإن العلم روح الإنسان وحياته ووجوده فيقول:

العلم من فضله لمن خدمه　　　أن يجعل الناس كلهم خدمه
وواجب صونه عليه كما　　　يصون في الناس عرضه ودمه
فمن حوى العلم ثم أودعه　　　بجهله غير أهله ظلمه
وكان كالمبتني البناء إذا　　　تم له ما أراده هدمه[3]

إن عليه أن يبذل العلم ويمنحه لمن يجد في طلبه ويسعى في تحصيله ويرغب في الانتماء إليه ولا يقدمه لمن لا يعرف قدره ولا يدرك منزلته ومكانته ولا يتشرف بالانتساب إليه، قال الشافعي:

---

(١) ص ٢٥٦.

(٢) البيهقي، ١٤١٧هـ ج٢، ص٩٦.

(٣) الشافعي، ١٤١٧هـ، ص٣٥٥

ولا تعطين الرأي من لا يريده   فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه[1]

إن الجاهل لا يميز الصحيح من السقيم ولا المفيد من الضار أو كما قال الشافعي:

ولا تعطين الرأي من لا يريده   فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه[2]

أصبحت مطرحاً في معشر جهلوا   حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب[3]

كما يوجب الإمام الشافعي على طالب العلم أن يكون عزيزاً غير ذليل، وأن يكون المعلم كذلك يمنح علمه ويقدمه وهو في كرامة وعزة وإباء.[4] وحينما طلب منه الحضور لعرض مسألة في العلم قال: "من حق العلم أن يؤتى إليه[5] إن هذا الشعور بحق العلم من هذا الإمام الجليل يوضح ما في نفسه من احترام للعلم ومكانة وتقدير.

وهناك أيضاً ما يدل على مكانة العلم وقدره عند هذا الإمام وهو معرفته الدقيقة والعميقة بطبيعة العلم، ويتضح ذلك من خلال قوله:

كلما أدبني الدهر   أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علماً   زادني علماً بجهلي[6].

ويعلق «الكرمي، د.ت» على تلك الأبيات قائلاً: " وهذا مع العلم بأن الشافعي كان من أعلم أهل زمانه وأكثرهم فطنة[7] وما نعيشه اليوم من تسابق بين الأمم في ميادين العلوم والمعارف أدى إلى سيولة البحوث العلمية وتدفق الإنتاج

---

(١) الشافعي، ١٤١٧هـ، ص٢٧٤ .

(٢) الشافعي، ١٤١٧هـ، ص٢٧٤ .

(٣) الشافعي، ١٤١٧ هـ، ص١٤٧ .

(٤) ملك، أبو طالب، ١٤٠٩هـ، ص٥٣ .

(٥) الحموي، د.ت، ج١، ص١٤٠ .

(٦) الشافعي، ١٤١٧هـ، ص٣٣٢ .

(٧) ج٣، ص١٠ .

العلمي مما جعل من المحال على متخصص في علم من العلوم أن يتابع كل ما يكتب، أو يؤلف، أو يذاع في الإذاعات المسموعة والمرئية[1]. كل هذا قد أوجزه الإمام الشافعي في البيتين السابقين، بل إنه قد حدد موقف المتعلم من تلك المعارف حتى لا يتيه فيخرج من ذلك بلا شيء وفي ذلك يقول:

لن يبلغ العلم جميعاً أحد   لا ولو حاوله ألف سنة
إنما العلم عميق بحره   فخذوا من كل شيء أحسنه[2]

وهكذا يحدد الإمام الشافعي بكل دقة موطن الداء «إنما العلم عميق بحره» وبكل براعة وصف الدواء «فخذوا من كل شيء أحسنه»؛ فالشافعي يرشد القائمين على التربية والتعليم إلى تيسير العملية التعليمية، وذلك بالأخذ من أسس ونتاج كل علم، فالعلوم يخدم بعضها بعضاً، وحينئذ يتسنى لطالب العلم الإلمام بالجوانب المهمة في كل مجال من مجالات العلوم[3]. وبلغ من اهتمام الشافعي في العلوم المختلفة، وحرصه عليها أنه كان يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب ويقول: " ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى[4] وهكذا تظهر مكانة العلم وقدره عند الإمام الشافعي رحمه الله، فهو ينظر إلى العلوم على أنها مكملة لبعضها البعض، والناس لا يمكنهم الاستغناء عن واحد منها، بل كل يخدم من طريق، ولذلك كان يتحسر على إهمال الناس لترك علم الطب في زمانه، بل ويعد علم الطب ثلث علم الدنيا.

٣ – دعوته إلى تحرير العقل من عوائق التفكير:

ولا عجب أن نجد عالماً كالإمام الشافعي صاحب العلم الغزير والفكر الثاقب يهاجم الفكر الأسطوري الخرافي الذي يتبع الأوهام، ويشذ عن الحقائق ويطلق

---

(١) ملك، أبو طالب، ١٤٠٩هـ، ص٥٤.
(٢) الشافعي، ١٤١٧هـ، ص٣٧٥.
(٣) ملك، أبو طالب، ١٤٠٩هـ، ص٥٦.
(٤) الحنبلي، ١٤١٩هـ، ص١٥٤.

العنان للخيال الكاذب، ويحرم التفكير من التأمل الصادق، ويؤمن بالخرافة كمنهج للبحث والتحليل، فيقول الشافعي رحمه الله ورضي عنه:

خبّرا عني المنجم أنّي ... كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أنّ ما يكون وما كان ... قضاء من المهيمن الواجب[1]

وشتان بين ما صنعه الإسلام من الفكر الحر المبدع المتطور القائم على احترام العقل وتربيته على البحث والفكر وبين ما عاشت عليه أوروبا في عصورها الأولى. وهذا أمير المؤمنين هارون الرشيد الذي فتحت في عهده وعهد أسلافه أبواب العلوم والثقافة على مصاريعها يهدي رحمه الله إلى ملك الفرنجة الإمبراطور«شارلمان» ساعة دقاقة تدار بالماء فلما وضعت في قصره وسمع دقاتها فزع وظن أن بها جناً. إنّ فزع الإمبراطور من هذا الاختراع النافع يدل على السبق العلمي للمسلمين، والذي تتلمذ عليه علماء الغرب حتى برزوا وتقدموا. وبهذا يتبين لنا الفرق بين إعمال العقل في ميدان الابتكار، وبقائه رهن الفكر الأسطوري[2].

ولقد خلق الله الإنسان وفضله على جميع خلقه بنعمة العقل، وبالتالي فإنّ على الإنسان أن يحترمه ويرتفع به على أن يسلم بكل ما يأتيه أو يعتقد بتلك الأفكار الموروثة والمنتشرة بين الناس فإنه من طبيعة النفس أنّها تميل إلى ما ألفته، وما تعودت العيش معه صحيحاً كان أو غيره، والناس ليسوا ميزاناً للحق أو محكاً لمعرفة الخير والشر فإن مناط ذلك كله راجع إلى الحق الذي أودعه الله في الإنسان باستعمال عقله وبالرجوع إلى كلام ربه وسنة نبيه محمدﷺ أمّا اتباع الناس بدون إعمال للعقل والفكر فهو إلغاء لهما وتعطيل لهما، والمسلم الواعي والمتفتح لا يترك زمام أموره بيد غيره، يقول «الشافعي، ١٤١٧هـ»:

ولست بإمّعة في الرّجال ... أسائل هذا وذا ما الخبر[3].

---

(١) الشافعي، ١٤١٧ هـ، ص ١٣١

(٢) ملك، أبوطالب، ١٤٠٩هـ، ص١٠٦، ص١٠٧ .

(٣) ص ٢٤٤

ومن احترام الإمام الشافعي للعقل واعتزازه بحريته في البحث والنظر تحذيره لتلاميذه من التقليد الأعمى الذي لا يستند إلى حجة، أو يقبله عقل، ففي ذلك حجب لنعمة العقل وتعطيل له، ولقد عهد الشافعي إلى أصحابه وتلاميذه أن لا يقلدوه أو يقلدوا غيره .

يقول «المزني، د.ت» في مقدمة كتابه المختصر لكتاب أستاذه الشافعي:

" اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي مع إعلامية نهيه عن تقليده وتقليد غيره"[1] .

وقد كانت آراء الشافعي وفقهه تطبيقاً عملياً لذلك، قال «ابن تيمية، ١٣٩٨هـ»: " ... ثمّ إنّ الشافعي رضي الله عنه لما كان مجتهداً في العلم ورأى من الأحاديث الصحيحة وغيرها من الأدلة ما يجب عليه اتباعه وإن خالف قول أصحاب المدنيين؛ قام بما رآه واجباً عليه، وصنف الإملاء على مسائل ابن القاسم، وأظهر خلاف مالك فيما خالفه فيه، وقد أحسن الشافعي فيما فعل، وقام بما يجب عليه وإن كان قد كره ذلك من كرهه وآذوه، وجرت محنة مصرية معروفة"[2] .

وكما أنّ الإمام الشافعي ينهى عن التقليد الأعمى فإنّه كذلك يرفض التعصب واتباع الهوى فانظر إلى موقفه مع أبي يوسف تلميذ الإمام أبو حنيفة في نظره في الجزية على أهل الكتاب من العرب، فأبو يوسف يرى أن تجب الجزية على العربي من أهل الكتاب فإنّ في ذلك صغار على العربي وهوان له.

أمّا الشافعي فيترك هذا الرأي ويجيز غيره وصولاً إلى الحق الخالص من الهوى ويؤيد رأيه فيقول: " إنما الجزية على الأديان لا على الإنسان ولولا أن نأثم بتمني الباطل وددنا أن الذي قال أبو يوسف كما قال وأن لا يجري صغار على عربي ولكن الله عز وجل أجلّ في أعيننا من أن نحب غير ما قضى به والله أعلم"[3] .

---

(١) ص١ .

(٢) ج٢٠، ص ٣٣٢ .

(٣) الشافعي، د.ت، ج٧، ص ٣٦٩ .

ومن مظاهر رفضه للتعصب نظرته لتراث السابقين: إن انطلاقة الشافعي العلمية لم تمنعه من أن يأخذ من مقاتل بن سليمان وهو شيعي زيدي ولا ممن اشتهر بالاعتزال كإبراهيم بن أبي يحيى .. لقد كان الشافعي يطلب العلم أنى وجده، ولا يهمه الوعاء الذي حمله إليه، إنما يهمه ما في الوعاء[1]. ويقول الشافعي عن مغانم الأعاجم .." وما وجد من كتبهم فهو مغنم كله وينبغي للإمام أن يدعو من يترجمه فإن كان علماً من طب أو غيره لا مكروه فيه باع كما يبيع ما سواه من المغانم وإن كان كتاب شرك شقوا الكتاب وانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو[2] وهكذا تتضح لنا هذه الدعوة الصريحة إلى تحرير العقل من عوائق التفكير السليم – المثلة في الفكر الأسطوري القائم على اتباع الأوهام، والتقليد الأعمى، والهوى، والتعصب – من قبل الإمام الشافعي رحمه الله، وهذه العوائق لا يرفضها إلا صاحب عقلية علمية واعية ومتفتحة.

٤ـ الاجتهاد

إذا رسخت قدم العالم في العلم، وأوتي فهماً في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فتح له باب الاجتهاد بعد توفيق الله سبحانه وتعالى، فإنّ الحفظ والفهم هما آلتا الاجتهاد، وقد تقدم لنا الحديث عن مكانة العلم وقدره عند الشافعي، وطرفٍ من أخباره في العلم، والتمكن منه، وكذلك الفقه في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ما يغني عن الإعادة هنا، وأما الاجتهاد فيكفي الشافعي رحمه الله ثناء وإشادة به أنه واضع علم الأصول، وأول من نبّه على استنباط الفوائد واستخراج الحكم من سنة رسول الله ﷺ وليس المراد أنّ الشافعي جاء بعلم جديد، ولكن المراد أنّ الشافعي أوّل من قعّد القواعد، وأصّل الأصول، ولفت أنظار العلماء إلى فهم السنة، وقد كانت همتهم معروفة إلى حفظ الحديث

(١) أبو زهرة، ١٣٦٧هـ، ص٤٣

(٢) الشافعي، د٠ت، ج٤، ص٢٦٣ .

وروايته بدون استنباط الحكم والأحكام وهذا باب عظيم من أبواب الاجتهاد لم يسبق إليه الشافعي أحد. يؤكد ذلك كتاب «الرسالة» الذي ألفه الشافعي هو أول مؤلف في أصول الفقه ولم يؤلف في ذلك أحد قبله[1].

فعن جعفر بن أخي أبي ثور قال: سمعت عمي يقول: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي، وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب «الرسالة». قال عبد الرحمن بن مهدي: ما أصلي صلاة إلا وأدعو للشافعي فيها[2]. هذا مع العلم أن عبد الرحمن بن مهدي أحد أركان أهل العلم بالحديث حتى قال عنه علي بن المديني: " والله لو أُخذت وحُلّفت بين الركن والمقام لحلفت بالله أني لم أر قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي[3] وهو أيضاً أكبر من الشافعي بسنين، ومع ذلك ما منعه مكانته في العلم وكبر سنّه أن يستفيد من علم الشافعي وفقهه.

ومما يدل على حسن اجتهاد الشافعي وذكائه وفطنته في بعض المسائل الجزئية، ما نقل عن الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت عند مالك بن أنس وهناك سفيان بن عيينة، ومسلم بن خالد الزنجي «وهؤلاء كلهم شيوخ الشافعي» إذ أقبل رجلان أحدهما متعلق بصاحبه، فقال لمالك: يا أبا عبد الله أنا رجل أبيع القماري، وإني بعت من هذا الرجل اليوم قمرياً وحلفت له بالطلاق الثلاث أنه لا يهدأ من الصياح فوزن لي ثمنه وقبضته وانصرف فلما كان بعد ساعة أتاني فقال: زعمت أنه لا يهدأ من الصياح وقد سكت وهدأ فرُدَّ عليّ دراهمي وقد حنثت في يمينك، فقال مالك: هو كما يقول؟ قال: نعم، قال: بانت منك امرأتك ووجب عليك رد الدراهم، فقاما من عند مالك، فقال الشافعي: ما قال لكما مالك؟ فأخبراه بالمسألة وبفتيا

(١) آل منصور، ١٤٠٥هـ، ج١، ص٢٤ .
(٢) البيهقي، ١٤١٧هـ ،ج١، ص١٣١ .
(٣) البيهقي، ١٤١٧هـ، ج١ ،ص١٣٢ .

مالك، فقال الشافعي للبائع: ما أردت بقولك أنه لا يهدأ أعلى مر الزمان أو أردت أن كلامه أكثر من سكوته ؟ فقال: يا أبا عبد الله قد علمت ينام ويأكل ويشرب وإنما أردت أن كلامه أكثر من سكوته، فقال الشافعي: لا ردَّ ٠ عليك أمسك عليك امرأتك، فرجعا إلى مالك فقالا له: إن رأيت أن تنظر في مسألتنا، فقال مالك: إن كان السؤال ما سألتما فإن الجواب عنه ما سمعتما، قالا: فإن الشافعي زعم أنّه لا شيء عليه، فدعاه مالك، وصاح عليه وقال: من أين قلت ؟ فقال: حديث فاطمة بنت قيس لّما قالت لرسول الله ﷺ: إن معاوية بن أبي سفيان وأبا الجهم بن حذيفة يخطبانني فأيهما أحب إليك، فقال: إن معاوية صعلوك لا مال له وأن أبا جهم فلا يضع عصاه على عاتقه في أهله، وكان أبو الجهم ينام ويستريح فإنما خرج كلامه ﷺ على الأغلب من الشيء كأن الشيء إذا كثر كان كمداومته قال: فأعجب ذلك مالك وبقي متحيراً، فقال له مسلم بن خالد: أفت والله فقد آن لك أن تفتي، وهو ابن خمس عشرة سنة[1]. فانظر إلى هذا الاجتهاد العجيب، وكيف خالف الشافعي شيوخه في الفتيا وأنه قاس كلام البائع الذي قال: إن قمريه لا يهدأ، ويقصد بذلك أنه في أغلب أوقاته، قاسه على حديث النبي ﷺ حين قال عن أبي جهم إنه لا يضع عصاه عن عاتقه، فصحح بيع الرجل، وأبقى له امرأته، وهذا اجتهاد في غاية القوة والوضوح، ونباهة وحسن قياس من الشافعي مع صغر سنه في ذلك الوقت حتى قال شيخه ما قاله.

٥- المجادلة بالتي هي أحسن :

من السمات البارزة في شخصية الإمام الشافعي رحمه الله المجادلة بالتي هي أحسن لطلب الحق والوصول إليه، فهو يناقش في هدوء، ويؤكد كل معلومة يريد الوصول إليها فإذا استقرت انتقل إلى التي تليها معتمداً في ذلك على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. يدور مع الحق حيث دار، ولا يهمه بعد ذلك ظهر الحق على يديه

(١) السلماسي، ١٤٢٠هـ، ص١١٣.

أم على يد مناظره، يقول الحسن بن الصباح سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة، وقال الحسين بن علي الكرابيسي سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق أو يسدد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظه، وماناظرت أحداً إلا ولم أبالِ بيّن الله الحق على لساني أو لسانه[1] إن هذين القولين يدلان على صدق الإمام الشافعي رحمه الله في طلب الحق. ولاشك أن الأصلين اللذين اعتمد عليهما الشافعي في مناظرته وهما «النصيحة، وطلب ظهور الحق» بغض النظر مع من يكون. لاشك أنها الركيزة الأساسية في المناظرات التي يريد فيها بيان العلم ونشره وخدمته من خلال الغوص في الأدلة والنظر إلى أن البراهين، ودحض الدليل البعيد عن مدلوله.

وعن عبد الله بن الزبير الحميدي قال: قال محمد بن إدريس الشافعي:... وكنت أحضر مجلس محمد بن الحسن فإذا قام ناظرت أصحابه، فقال لي ذات يوم: بلغني أنك تخالفنا في الغصب؟ فقلت: أصلحك الله إنما هو شيء أتكلم على المناظرة، فقال: لقد بلغني غير هذا فناظرني أوكلمني فيها، فقلت: أني أجلك على المناظرة، فقال: لا بد من ذلك، فقال: ما تقول في رجل اغتصب من رجل ساجة فبنى عليها جداراً وانفق عليها ألف دينار، فجاء صاحب الساجة، فأثبت بشاهدين عدلين أنّ هذه الساجة ساجته، وأن هذا اغتصبه عليها وبنى عليها البناء؟ قال: فقلت: أقول لصاحب الساجة: ترضى أن تأخذ قيمتها؟ فإن رضي وإلا قلعت البناء ودفعت إليه ساجته قال: أليس قال النبيﷺ **«لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»**[2] قلت: ومن ضره؟ هو ضر نفسه؟ فقال: ما تقول في رجل اغتصب من رجل خيطاً من أبريَسْمَ فخاط به بطنه. فأثبت صاحب الخيط شاهدين عدلين أن هذا اغتصب هذا الخيط. أكنت تنزع الخيط من بطنه؟ قلت: لا، فقال: قد تركت قولك، فقال

---

(١) الحنبلي، ١٤١٩هـ، ص١٥١.

(٢) ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، ج١، ص٧٣٦، رقم الحديث ٢٣٤٠

أصحابه: قد تركت قولك، فقال أصحابه: قد تركت قولك، فقلت: لا تعجلوا. قال لي: فما تقول في رجل اغتصب من رجل لوحاً فأدخله في سفينة في لج البحر فأثبت اللوح شاهدين عدلين أكنت تنزع اللوح من السفينة، قلت لا: قال: الله أكبر قد تركت قولك، فقلت له: أرأيت لو كان الخيط خيط نفسه أراد أن ينزعه في البحر. مباح له ذلك أم محرم عليه ؟ قال: بل محرم عليه. قلت: أفرأيت الساجة لو كانت ساجة نفسه أراد أن ينزعها فيهدم البناء عليها. أمحرم عليه أم مباح له ؟ قال: بل مباح له فقلت له: يرحمك الله تقيس مباحاً بمحرم ؟ قال: وكيف تصنع بصاحب السفينة؟ قلت له: آمره أن يقرب إلى أقرب المراسي التي لا يهلك هو فيها وأصحابه وأقول له: أنزع اللوح فادفعه إلى هذا وأصلح أنت سفينتك، واذهب قال: ثم قلت له: ما تقول في رجل من بني فلان -ذكر أقواماً أشرافاً- اغتصب رجلاً من الزنج على جارية فأولدها عشرة كلهم قد قرءوا القرآن، وقضوا بين المسلمين أشرافاً، وخطبوا على المنابر، وأثبت صاحب الجارية شاهدين عدلين، أن هذه الجارية له غلبه عليها وأولدها هؤلاء الأولاد. بم كنت تحكم فيهم ؟قال: أرد الجارية عليه وأحكم بأولادها رقيقاً له. فقلت: مالك لم تقل هذا في الخشبة ؟ وقلت له: أنشدك الله أيتهما أعظم ضرراً: أن قلعت الساجة أو حكمت بولدها رقيقاً. قال: فترك محمد بن الحسن قوله ورجع إلى الشافعي رضي الله عنهما[1] .

إن هذه المناظرة النفيسة والمحاورة الدقيقة تكشف قدرة هذا الإمام على المجادلة بالتي هي أحسن، حيث استطاع رحمه الله أن يستدل لمناظره ويضرب له الأمثلة، ويقرب له المعاني في هدوء حتى انتهى به إلى إقناعه فترك قوله ورجع إلى قول الإمام الشافعي رحمه الله مع أنه قال له في أول الأمر: إني أجلك عن المناظرة أي أقدرك أن تناظر مثلي.

---

(١) البيهقي، ١٤١٧هـ، ج١، ص٦٧- ص٦٩ .

ثالثاً: شيخ الإسلام ابن تيمية:

أ- نبذة مختصرة عن حياته.

هو شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن علي عبد الله بن تيمية الحراني الدمشقي(١).

ولد رحمه الله بحران يوم الاثنين العاشر بن ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة من الهجرة النبوية.

انتقل مع والده إلى دمشق هرباً من وجه الغزاة التتار، وقد نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وأخوته وكثير من أعمامه كانوا من العلماء المشاهير ففي هذه البيئة العلمية كانت نشأته رحمه الله، وقد بدأ بطلب العلم أولاً على أبيه وعلماء دمشق، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير وعُرف بالذكاء وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها واجتمعت فيه صفات المجتهد منذ شبابه، فلم يلبث أن صار إماماً يعترف له الجهابذة بالعلم والفضل والإمامة قبل بلوغ الثلاثين من عمره، وكان يشارك العلماء منذ صغره في المناظرات العلمية التي كانت سبباً في توسع عقله وتفتح ذهنه.

وفي مجال التأليف والإنتاج العلمي، فقد ترك للأمة تراثاً ضخماً ثميناً ولا يزال العلماء والباحثون ينهلون منه معيناً صافياً، ولم يترك شيخ الإسلام مجالاً من مجالات العلم والمعرفة التي تنفع الأمة، وتخدم الإسلام إلا كتب فيه وأسهم بجدارة وإتقان .. ذكر ذلك العقل في مقدمة تحقيقه لكتاب اقتضاء الصراط المستقيم(٢). وتلك خصلة قلما توجد إلا عند العباقرة أصحاب العقول الواعية المتفتحة.

وأما عن جهاده ودفاعه عن الإسلام، فقد كان له مواقف عديدة أسهم فيها إسهاماً قوياً في نصرة الإسلام وعزة المسلمين ومن ذلك: جهاده بالسيف،

---

(١) ابن عبد الهادي، د.ت، ص٢.

(٢) ابن تيمية، ١٤١٧هـ، ج١، ص١٠- ص١١.

وتحريضه المسلمين على القتال، بالقول والعمل فقد كان يجول بسيفه في ساحات الوغى ،مع أعظم الفرسان والشجعان، والذين شاهدوه في القتال أثناء فتح عكا عجبوا من شجاعته وفتكه بالعدو، ويدل على ذلك ما ذكره «البزار، ١٤٠٠هـ» حيث قال: «وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح «عكا» أموراً من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره»[(١)] وأما جهاده بالقلم واللسان فإنه رحمه الله وقف أمام أعداء الإسلام من أصحاب الملل والنحل، والفرق والمذاهب الباطلة والبدع كالطود الشامخ بالمناظرات حيناً، وبالردود أحياناً، حتى فنّد شبهاتهم ورد الكثير من كيدهم بحمد الله[(٢)].

ولا تزال ردود الشيخ سلاحاً فعالاً ضد أعداء الحق والمبطلين ؛ لأنها إنما تستند على الكتاب والسنة وهدي سلف الأمة رضوان الله عليهم.

أضف إلى ذلك ما كان يتمتع به من صفات حميدة، ومن أشهرها ممن اشتهر بها عند أهل زمانه حتى بين عامة الناس صفة التواضع، يشهد له بذلك «الحنبلي، ١٤٠٦هـ» بقوله:

" ما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك، كان يتواضع للصغير والكبير ... والغني والفقير، وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء، حتى أنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته، جبراً لقلبه، وتقرباً بذلك إلى ربه. وكان لا يسأم من يستفتيه أو يسأله، بل يقبل عليه ببشاشة وجه، ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه ... ولا يحرجه ولا ينفره بكلام يوحشه، بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط..."[(٣)].

---

(١)ص٦٨.

(٢)ص٣٣.

(٣)ص٨٨.

والتواضع أساسٌ من أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية، هذا وقد توفي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل مثوبته وأسكنه فسيح جناته[1].

ب- أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند ابن تيمية.

١ - سلامة العقيدة

لما كان القرن السابع الهجري اشتد الأمر وأصبح الظلام دامساً، وافترقت الأمة إلى فرق ومذاهب هي الخوارج، ثم المعتزلة، ثم الجهمية والرافضة، ومَنْ أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام مثل الكرامية، والكلابية، والأشعرية وغيرهم. وتناحر المسلمون من أجل عقائد لاصلة لها بالدين، وتعصب كل صاحب مذهب لمذهبه أشد تعصب، حتى نسوا القرآن والسنة، وأخذت الأمة ترزح تحت دياجير الظلام الحالك فأظهر الله في أواخر القرن السابع الهجري زعيم المجددين وقائد النهضة الإسلامية الحديثة وحامل راية الكتاب والسنة، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الذي حمل مشعل الدعوة إلى الكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل حال."وقد كان رحمه الله قوياً في إيمانه، مخلصا لدعوته، جريئاً في الحق لا يبالي بما يلقى من الأذى في سبيله فأعلن مذهب السلف في جرأة وصراحة[2].

وهاجم جميع الفرق والمذاهب المنحرفة القائمة في عصره، ودعا الناس إلى طريقة السلف الأول من الصحابة والتابعين، وحارب كل غريب مستحدث، وخلص الدين من الشوائب وقدمه للأمة الإسلامية في صورته الأصلية البعيدة عن الزيغ والضلال. ومن ذلك رفضه تسمية علم الكلام بـ «أصول الدين»، باعتبار هذا المصطلح يضفي من المشروعية على عقائد المتكلمين ما يجعلها في قداسة العقيدة السليمة الصافية

---

(١) ابن تيمية ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص٥١.

(٢) هراس، ١٤٠٥ هـ، ص٤.

المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة." ... ومعلوم أن صيغ الكلام والمنظومات المركبة منها في الاعتقاد ما هي إلا اجتهاد قابل للخطأ والصواب ..."[1]

قال «ابن تيمية، ١٣٩٨هـ»: "إن طائفة من أهل الكلام تسمي ما وضعته «أصول الدين» وهذا اسم عظيم، والمسمى به، فيه من فساد الدين ما الله به عليم... وعامة الضلالات، إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة[2].

إن العقيدة الأشعرية في عصره كانت هي السائدة وصاحبة القداسة والقوة إلا أنه رحمه الله حاربها رغم أنها أقرب إلى السنة من غيرها على حد تعبيره رحمه الله حيث قال: " السنة، والشريعة، والمنهاج، هو الصراط المستقيم، الذي يوصل العباد إلى الله ... قال عبد الله بن مسعود: خط رسول الله ﷺ خطاً، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذا سبيل الله وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو عليه»، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام١٥٣] . وإذا تأمل العاقل، الذي يرجو لقاء الله هذا المثال، وتأمل سائر الطوائف من الخوارج، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، والرافضة، ومَنْ أقرب منهم إلى السنة، من أهل الكلام، مثل الكرامية، والكلابية، والأشعرية، وغيرهم، وأن كلا منهم له سبيل، يخرج به عما عليه الصحابة، وأهل الحديث، ويدعي أن سبيله هو الصواب، وجدت أنهم المراد بهذا المثال الذي ضربه المعصوم، الذي لا يتكلم عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى[3].

ويعلق على ذلك «الأنصاري، ١٤١٦هـ» بقوله: " وابن تيمية، يعلم أنه بفعله هذا، سوف يغضب أشاعرة عصره، وهم أكثر فقهاء المذاهب المتصدين للفتوى، والدفع عن المذهب الفقهي والعقدي، من شافعية ومالكية وغيرهما، ولذلك فقد

(١) الأنصاري، ١٤١٦هـ، ص١١٧ .

(٢) ج٤، ص ٥٦ .

(٣) ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ، ج ٤، ص ٥٧ .

بين وجه التمايز والتباعد، بين العقيدة الأشعرية، والعقيدة السلفية[1] ، وحتى يوضح للناس أن السبل متفرقة وأن سبيل النجاة هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده، وهو ما يطلق عليه عقيدة أهل السنة والجماعة أو عقيدة السلف الصالح. وهكذا يخلص شيخ الإسلام ابن تيمية الدين الإسلامي من الشوائب التي لحقت به في عصره، ثم يقدمه للأمة في صورته الأصلية البعيدة عن الزيغ والضلال. ولم يقتصر الأمر به على ذلك بل تعدى به إلى محاربة التعبد بناء على مصادر وهمية لا تحتكم إلى نص معلوم، كواردات الأذواق، وشطحات الأحوال، ومظاهر التدين الفلسفي، من مقولات المتصوفة، الذين استتب الأمر لأشياخهم، وطرقهم في زمانه رحمه الله، فهاجم أبا حامد الغزالي، من حيث أنه أقر منهج الصوفية في الأمة ورفع من شأن طريقتهم، واعتبر أن سلوكه الروحي، من حيث أنه لم ينضبط لنصوص الشرع، إنما كان يستقي من الفلسفة، التي هاجمها وحاربها، ولذلك قال فيه: " وأبو حامد الغزالي يميل إلى الفلسفة، لكنه أظهرها في قالب التصوف، والعبارات الإسلامية، لهذا رد عليه علماء المسلمين، حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربي فإنه قال: شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر[2] وأنكر أن يعتمد الغزالي على الأذواق والمكاشفات، لتفسير النصوص الشرعية على مقتضاها فتكون بذلك حاكمة على القرآن والسنة لا محكومة بهما، وفي ذلك يقول: " فإن أبا حامد، كثيراً ما يحيل في كتبه على ذلك النور الإلهي، وعلى ما يعتقد أنه يوجد للصوفية والعباد برياضتهم، وديانتهم، من إدراك الحقائق، وكشفها لهم حتى يزنوا بذلك ما ورد به الشرع[3] .

ويعلل ابن تيمية ذلك بقوله: " إنه عُلِم بذكائه وصدق طلبه، ما في طريق المتكلمين والمتفلسفة من الاضطراب ... فيجد في كلام المشايخ والصوفية ما هو أقرب إلى الحق،

---

(١) ص١١٨

(٢) ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ ج٤، ص ١٦٤ .

(٣) ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ، ص٦٣ - ص٦٤ .

وأولى بالتحقيق من كلام الفلاسفة والمتكلمين، والأمر كما وجده، لكن لم يبلغه من الميراث النبوي، الذي عند خاصة الأمة من العلوم والأحوال، وما وصل إليه السابقون الأولون من العلم والعبادة ... لانسداد الطريقة السنية النبوية عنه، بما كان عنده من قلة العلم بها، ومن الشبهات، التي تقلدها عن المتفلسفة والمتكلمين، حتى حالوا بينه وبين تلك الطريقة .. وإنما ذلك لعلمه الذي سلكه والذي حجب به عن حقيقة المتابعة للرسالة، وليس هو بعلم، إنما هو عقائد فلسفية وكلامية[1].

ومن هنا نخلص إلا أن سبب وقوع الغزالي فيما وقع فيه هو ضعفه في معرفة الحديث النبوي وهو مصدر أصيل من مصادر العقيدة الإسلامية الصحيحة لا ينفك عن القرآن الكريم كتاب الله وأصل الأصول، هذا من جانب، ومن جانب آخر أغراقه أكثر أيام عمره في طلب المعارف الفلسفية والكلامية التي ركبت في نفسه فلم يستطيع أن يتخلص منها، رغم معرفته ببطلان الفلسفة.

ولذلك ينبغي على الفرد المسلم أن يؤصل نفسه بالقرآن الكريم والسنة النبوية قبل الخوض في دراسة العلوم المخالفة حتى يشكل لنفسه حصناً حصيناً يمنعه من الزلل والانحراف. ثم يلتفت ابن تيمية بعد ذلك إلى متصوفة عصره، منكراً ما وصلوا إليه من انحراف في الفهم، والتطبيق للدين، وأنكر عليهم أن تتضمن طرقهم أسرارا لا تتضمنها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، قال رحمه الله: "وقد رأيت من أتباع هؤلاء، طوائف يدعون أن هذه الأمور، من الأسرار المخزونة، والعلوم المصونة ... وخاطبت في ذلك طوائف منهم، وكنت أحلف لهم أن هذا كذب مفترى وأنه لا يجري من هذه الأمور شيء[2] ويعلق على ذلك «الأنصاري ،١٤١٦هـ» .. أي أنه لا يجري منها شيء شرعاً ولا واقعاً، وإنما هي تخيلات إبليسية ليس إلا .."[3].

---

(١) ابن تيمية، ١٣٩٨هـ، ج٤، ص ٦٤.

(٢) ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ، ج٤، ص٨٢.

(٣) ص١٢٢.

ولم ينكر على الصوفية طلبهم الوصول إلى أعلى المقامات الإيمانية ولا حبهم للزهد والعبادة، إنما كان يشترط أن يكون ذلك وفق الأصول الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية.

وهكذا نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يدعو الناس إلى طريقة السلف الصالح ويحارب كل غريب مستحدث مهما كان شكله، وصاحبه، وذلك لا يصدر إلا من صاحب عقيدة سليمة.

ومما يشهد له بذلك مناظراته التي عقدت في مصر والشام والتي كانت معظمها دفاعاً عن العقيدة وانتصاراً لمذهب السلف الصالح ومن هذه المناظرات على سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

- مناظرته في العقيدة الواسطية التي كتبها لرضي الدين الواسطي، من أصحاب الشافعي، حينما طلب منه بإلحاح أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته في مدينة واسط، فكتبها الشيخ، وانتشرت بين الناس مما أدى إلى ثورة كثير من علماء الجهمية والاتحادية والرافضة، وغيرهم من ذوي الأحقاد، فسعى هؤلاء إلى السلطان في البلاد المصرية، فكتب السلطان إلى نائبه على بلاد الشام يأمره بجمع قضاة المذاهب الأربعة، وغيرهم من نوابهم، والمفتين، والمشايخ، وعند وصول الكتاب إلى أمير الشام جمع قضاة المذاهب الأربعة والعلماء، والشيخ تقي الدين في قصر الولاية بدمشق، وذلك يوم الإثنين الثامن من رجب سنة ٧٠٥ هـ، ثم بدأ المجلس بقراءة العقيدة الواسطية من أولها، ومناقشة الشيخ ومناظرته بحضور الأمير، فناظرهم الشيخ ورد عليهم، وبين لهم مذهب السلف الصالح، وأن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي التي يدل عليها الكتاب والسنة وإجماع السلف، وصار يناظر أصحاب المذاهب، فكان أعلم بمذهبهم منهم، وأعجزهم أمام الأمير، ثم انتهى المجلس الأول. واجتمعوا للمجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة الثاني عشر من رجب سنة ٧٠٥هـ وقد أحضر قضاة

المذاهب الأربعة، معهم صفي الدين هندي، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً، ولكن ساقيته لاطمت بحراً عميقاً، ثم استلم من ناظره عقبه، فكان كالبحر الزاخر، حتى إن هؤلاء القضاة والعلماء عجزوا عن مناظرته ؛ لأنه كان يرد عليهم بالكتاب والسنة والآثار عن السلف الصالح، وكان يلزمهم بالكتاب والسنة، ويدعوهم إلى التمسك بمذهب السلف الصالح، ويبين لهم أنه لم يضع هذه العقيدة من ذات نفسه، وليس لأحد أن يشرع للناس ما لم يأذن به الله، وإنما العقيدة تؤخذ من كتاب الله، وسنة رسولهﷺ، وإجماع سلف هذه الأمة، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسولهﷺ وجب على كل مسلم أن يثبته لله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف، وما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسولهﷺ وجب نفيه عنه ؛ لأنه تعالى أعلم بنفسه.

وانتهى هذا المجلس بعجزهم أمام الأمير عن ابن تيمية، فخرج الشيخ والناس يحملون له الشمع إلى منزله على عادتهم في ذلك. ثم عقد المجلس الثالث في اليوم السابع من شعبان سنة ٧٠٥هـ في القصر، واجتمع الجماعة كلهم على الرضى بالعقيدة الواسطية، وأخذ بعضهم يمدح الشيخ ويثني عليه، وكان هذا كله أمام رئيس المجلس نائب السلطان[١]. فاظهر الله الحق وأبطل الباطل على يد شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، رحمه الله.

- ومن مناظراته رحمه الله التي تشهد له بسلامة العقيدة، وانتصاره الشديد لمذهب السلف الصالح والدفاع عنه، تلك المناظرة التي أعز الله بها أهل السنة وخذل بها أهل البدع، والخرافات مع الطائفة الأحمدية البطائحية كانوا يخالفون الشيخ تقي الدين في عقيدة السلف الصالح، وكان يأمرهم باتباع الكتاب والسنة، وينكر عليهم فعلهم وأحوالهم الشيطانية.

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة ٧٠٥هـ حضر هؤلاء المبتدعة في

(١) ابن كثير، د.ت ج١٤، ص٣٨ - ص٣٩.

جموع هائلة إلى قصر نائب دمشق، يسألون نائب السلطان أن يكف عنهم الشيخ ابن تيمية ومذهبه السلفي، وعندما رآهم الناس اجتمع عليهم جم غفير، ولكن الأمير لم يقبل منهم إلا بحضور الشيخ ومناظرته، فأرسل إليه، ووصل، وسأله الأمير، فأخبره ابن تيمية أن هؤلاء من أهل البدع، وقد أفسدوا من دين المسلمين ما الله به عليم، وذكر له جميع ما يعرف عنهم، وأنه ينهاهم عن البدع وهم يأتون بأحوال شيطانية، ومنها دخولهم النار، واستعد الشيخ إنهم إن دخلوا النار في هذا اليوم فسيدخل معهم، ومن احترق فعليه لعنة الله، ولكن بعد غسل الأجسام بالخل والماء الحار؛ لأنهم يطلون أجسامهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج، فإذا غسلت الأجسام بطلت الحيلة وحضر شيوخهم الأكابر يطلبون من الأمير الإصلاح، والعفو عن الماضي والتوبة، واتباع الكتاب والسنة، فقبل منهم ابن تيمية، ولكن عارض شيخ آخر من الصوفية، فناظره ابن تيمية فغلبه أمام الجموع الغفيرة • وتحداهم ابن تيمية في مشارق الأرض ومغاربها بأي شيء يصنعونه في النار من حيلهم فسيصنع مثلهم بشرط الغسل. ولفطنة ابن تيمية قال: يكفي في ذلك قنديل يوقد داخل أصبع المناظر منهم وابن تيمية بعد الغسل، وعندما سمع الصوفية ذلك انهزموا أمام الجموع، وأقروا بالتزام الكتاب والسنة، فأعلن الأمير ذلك للناس، وأن من خالف الكتاب والسنة ضرب عنقه، وطلب الصوفية من الشيخ الكتب الصحيحة، فبذلت لهم، وتفرق الجميع على التوبة(١).

وهذا الموقف يدل على وضوح منهج الشيخ وسلامة عقيدته، وإخلاصه وصدقه مع الله عز وجل، ولهذا تاب على يديه جم غفير، جعله الله في موازين حسناته، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وهذا ما يطمع فيه كل مسلم رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولاً. ومن كلامه الجامع الذي يدل على سلامة عقيدته قوله: " فأحسن الحديث وأصدقه

---

(١) ابن كثير، د.ت، ج١٤، ص٣٨.

كتاب الله، وخبره أصدق الخبر، وبيانه أوضح البيان، وأمره أحكم الأمور، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية٦]. وكل من اتبع كلاما أو حديثا مما يقال: إنه يلهمه صاحبه، ويوحي إليه أو أنه ينشئه ويحدثه، مما يعارض به القرآن، فهو من أعظم الظالمين ظلماً"[1] وقوله: "وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة، المقبولين عند الأمة قبولا عاماً، يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ" وقوله: " وليس لأحد أن يعارض الحديث الصحيح عن النبي ﷺ بقول أحد من الناس"[2] ويشهد له بذلك المزي بقوله: " ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه"[3].

٢- مكانة العلم وقدره:

من الشروط التي ينبغي توافرها في صاحب الانفتاح العقلي أن يبلغ درجة من العلم تمكنه من القدرة على التفكير السليم والاختيار الموفق المسدد والنظرة الشمولية للموقف من جميع جوانبه، ولقد تميز ابن تيمية بغزارة العلم ونضج الفكر يشهد بذلك «أبو زهرة، د.ت» عند وصفه للقرون الثلاثة السادس والسابع والثامن بقوله: " أمتاز بكثرة العلم، لا بكثرة الفكر، فقد كانت المعلومات كثيرة جدا وتحصيلها كان بقدر عظيم وعكوف الناس عليها كان كبيرا ولكن التفكير المطلق في مصادرها ومواردها، والمقايسة بين صحيح الآراء وسقيمها ومقايسة حرة من التعصب الفكري، والتحيز المذهبي لم يكن بقدر يتناسب مع تلك الثروة المثرية التي توارثتها الأجيال، فقد كانوا يتلقونها ويستحفظون عليها، ولكن لا يقدرونها حق قدرها، بالنظر الفاحص المجرد، أو النظر الذي يعم كل الجوانب، لا ينحاز إلى

(١) ابن تيمية، ١٣٩٨هـ، ج٤، ص٨٥، ص٨٦.
(٢) ابن تيمية، ١٤٠٤هـ، ص١٢، ص٤٣.
(٣) ابن عبد الهادي، د٠ت، ص ١٧.

جانب من الجوانب وينظر من زاويته دون سواه فجاء ابن تيمية وفكر في هذه الثروة، ونظر إليها من كل جوانبها[1] بل شهد بذلك قبله العلماء المعاصرون له فهذا «ابن عبد الهادي، د.ت» يقول: " ... صنف التصانيف، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه وله من التصانيف الكبار التي سارت بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنتين من صدره أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة، شيوخه أكثر من مئتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها انتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقيمه فيما يلحق فيه، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين - فضلاً عن المذاهب الأربعة، فليس له نظير، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له نظيراً، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جدا ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب...»[2].

ويقول «الحنبلي، ١٤٠٦ هـ»: " ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها. وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لا مزيد عليه، ويدعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه وسعة دائرة في السنة والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع وكمال الفكر و...»[3] وقال ابن دقيق العيد: "لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ..."[4].

ويقول ابن الزملكاني: " كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله وكان الفقهاء من سائر

---

(١)ص ١٥٦.
(٢)ص ٢٣
(٣)ص ٦٣.
(٤) الحنبلي، ١٤٠٤ هـ، ص ٢٩.

الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه ...»[1].

ومما يشهد لشيخ الإسلام ابن تيمية في تقديره للعلم واهتمامه به ونشره، مواقفه في إصلاح أهل السجون، فقد كانت له مواقف حكيمة، وجهوداً مشكورة مسددة، نفع الله بها الناس، وأنقذهم بها من الضلال إلى الهدى، ومن هذه المواقف:

- عندما سجن في سجن القضاة بمصر، في الثامن عشر من شوال سنة ٧٠٧هـ، أخذ يعلم السجناء، ويرشدهم، ويعظهم بالأساليب الحكيمة، فهدى الله على يديه خلقاً كثيراً، وقد كانت تأتيه الفتاوى المشكلة فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة.

- وسجن في الإسكندرية في أول يوم من ربيع الأول سنة ٧٠٩هـ فنزل بها ببرج متسع، ووجد بها منكرات عظيمة، فنفع الله به أهل الإسكندرية، فقد بين لهم الحق، وحذرهم من البدع والمنكرات.

- وسجن في قلعة دمشق مرات، وآخر ذلك في ستة عشر من شوال سنة ٧٢٦هـ، ففرح بذلك وقال: أنا كنت منتظراً لذلك، وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة، وأقبل في هذه المدة على التلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين. وكان رحمه الله لا يهمه الإفراج عنه من السجن مادام باستطاعته نشر العلم بلسانه وقلمه[2].

وبهذا يتبين للباحث مكانة العلم وقدره عند سيخ الإسلام ابن تيمية، فكل ما ذكر من أقوال ومواقف تشهد له بذلك أضف إلى ذلك أنه رحمه الله لم ينقطع عن البحث والتأليف طيلة حياته في الشام أو في مصر، في السجن أو في البيت، بل أنه

(١) الدمشقي، ١٤١١هـ، ص١٠٩.
(٢) البيطار، ١٤٠٧هـ، ص٣٤ - ص٣٥.

كان يتوجع ألما وحسرة حينما أخرجوا الكتب والأوراق من عنده في أخريات أيامه، عندما كان سجيناً بقلعة دمشق[1].

٣- رفض التعصب واتباع الهوى

لما كان القرن السابع الهجري اشتد الأمر وأصبح الظلام دامساً، وافترقت الأمة إلى فرق ومذاهب، وتناحر المسلمون بينهم من أجل عقائد لا صلة لها بالدين، واشتد التعصب حتى نسوا القرآن والسنة، وانتشر حتى نال مؤسسات التعليم فانقسمت إلى مدارس للشافعية، وأخرى للحنفية، وثالثة للمالكية، ورابعة للحنابلة، وذهب كل فريق إلى تحديد منهاج تربوي لا يخرج عن حدود الإطار المذهبي الذي حصر نفسه فيه فضعفت مكانة العلماء والمفكرين[2].

وفي هذه الفترة ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عالج الكثير من المفاهيم التربوية من خلال دراساته وأبحاثه، فرفض التعصب وأنكر على المتعصبين ونهى أن يجعل المتعلم معياره هم أصحابه، كما نهى أن يدعو إلى مقالة لأنها قول أصحابه بدون النظر إلى الدليل، وفي هذا يقول: "وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل اتباع الأئمة والمشايخ، فليس له أن يجعل وأصحابه هم المعيار، فيوالي من وافقهم، ويعادي من خالفهم، فينبغي للإنسان أن يعوّد نفسه التفقه الباطن في قلبه والعمل به فهذا زاجر، وكمائن القلوب تظهر عند المحن، وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة أو يعتقدها لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها بل لأجل أنها مما أمر الله به ورسوله أو أخبر الله به ورسوله، لكون ذلك طاعة لله ورسوله[3].

كما حذر ابن تيمية من التعصب عند التنازع بدون معرفة الحق وفي هذا يقول: " وإذا وقع بين معلم ومعلم أو تلميذ وتلميذ أو معلم وتلميذ خصومة

(١) هراس، ١٤٠٥هـ، ص٢٧.
(٢) الكيلاني، ١٤٠٧هـ، ص١٧٩.
(٣) ابن تيمية، ١٣٨٩هـ، ج٢٠، ص٨ - ص٩.

ومشاجرة لم يجز لأحد أن يعين أحدهما حتى يعلم الحق فلا يعاونه بجهل ولا هوى، بل ينظر في الأمر فإذا تبين الحق أعان المحق منهما على المبطل سواء كان المحق من أصحابه أو أصحاب غيره، وسواء كان المبطل من أصحابه أو أصحاب غيره، فيكون المقصود عبادة الله وحده وطاعة رسوله واتباع الحق[1].

وأوصى كذلك المعلمين أن لا يزرعوا بذور التعصب -لهم أو لآرائهم- في نفوس المتعلمين فيحزبوهم ضد غيرهم مما يؤدي إلى العداوة والبغضاء، كما نهى عن معاقبة من لم يتعصب لهم أو لآرائهم[2].

إن رفض التعصب كان مذهبه يرحمه الله فرغم أن جده مجد الدين، ووالده اللذين تلقى التعليم على أيديهم كانا عالمين فاضلين، ومن أئمة الفقه الحنبلي إلا أنه لم يتعصب لهما ولا لفقههما أو مذهبهما الحنبلي، غير أنه كان معجباً بفقه الإمام أحمد بن حنبل لكن إعجاب الفاهم المدرك المرجح صاحب العقل الواعي المتفتح حيث ينظر في الأقوال ويرجح بينها، ويقول في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "كان أعلم من غيره بالكتاب والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، ولهذا لا يكاد يوجد له قول يخالف نصاً، كما يوجد لغيره، ولا يوجد له قول ضعيف، ... وأكثر مفاريده التي اختلف فيها مذهبه عن غيره يكون قوله راجحاً"[3].

ورغم كل هذا الوصف إلا أن شيخ الإسلام لم يكن مقلدا للإمام أحمد كمقلدي عصرنا، بل كان يفضل مذهب الإمام أحمد على غيره من المذاهب لقربه من الكتاب والسنة، ولم يكن يرى لزاما عليه التقيد بأقواله بل كان يعتبر التعصب لواحد من الأئمة وإهمال جهود وفهوم الآخرين أمر غير صحيح، بل يعتبره نابعا من الهوى لا من الحجة والبرهان فيقول: "من تعصب لواحد من الأئمة بعينه فقد أشبه

---

(١) ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ، ج ٢٨، ص ١٦ .

(٢) ج٢٨، ص١٥- ص١٦ .

(٣) أبو زهرة، د.ت، ج٢، ص ٤٢٩ .

أهل الأهواء ... ثم غاية المتعصب لواحد منهم أن يكون جاهلا بقدره في العلم والدين، ويقدر الآخرين فيكون جاهلا ظالما ... وهذا أبو يوسف ومحمد أتبع الناس لأبي حنيفة وأعلمهم بقوله، وهما خالفاه في مسائل لا تكاد تحصى لما تبين لهما من السنة والحجة ما أوجل عليهما عدم اتباعه وهما مع ذلك يعظمان إمامهما"[1].

بالإضافة إلى ذلك كله كانت له دعوة صريحة إلى الانفتاح على خبرات الآخرين وحشد لذلك معارفه الشرعية والعقلية وقدراته الذهنية؛ لأنه أعلم العباد هو الذي يطلب علم الناس إلى علمه ليجد كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى[2] وأجاز ابن تيمية ترجمة أفكار غير المسلمين ليعلم ما عندهم، وينتفع به في مخاطبتهم ومناظرتهم كما كان يفعل عبد الله بن سلام، وسليمان الفارسي وكعب الأحبار، وزيد بن ثابت وغيرهم ممن كانوا يترجمون ما في لغاتهم الأولى ليستشهدوا به على موافقة ماجاء به الرسول وليكون حجة عليهم، ودعا إلى نقل علوم الآخرين في مسائل الطب والحساب وغير ذلك من العلوم ما دام الهدف هو الانتفاع بها لصالح الإسلام والمسلمين[3].

ولقد حذر ابن تيمية من خطورة الانغلاق عن علوم الآخرين والانكفاء على علوم الشريعة وحدها واستشهد بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال: " إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية[4]. ووضح ذلك شيخ الإسلام بقوله: " إن من عرف الشر وذاقه، ثم عرف الخير وذاقه، فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ومعرفته بالشر وبغضه له أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ويذقهما كما ذاقهما. بل من لم يعرف إلا الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف أنه شر، فإمّا أن يقع فيه، وإمّا أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه. ولهذا قال عمر بن

(١) البستوي، ١٤١٨ هـ، ص٩٠.

(٢) ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ، ج١٠، ص٨٥.

(٣) ابن تيمية، ١٣٨٩ هـ، ج٤، ص ١٠٩ — ص١١٥.

(٤) الكيلاني، ١٤٠٧هـ، ص١٩٦.

الخطاب رضي الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية. وهو كما قال عمر ؛ فإن كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضررة ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله من عند الخبير بهم، ولهذا يوجد الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله والجهاد لهم ما ليس عند غيره.

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم، لكمال معرفتهم بالخير والشر، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر، لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح، وقبح حال الكفر والمعاصي، ولهذا من ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص على الغنى والصحة والأمن ممن لم يذق ذلك.

وإن من الناس من يحصل له بذوقه الشر من المعرفة به والنفور عنه، والمحبة للخير إذا ذاقه ما لا يحصل لبعض الناس. مثل من كان مشركا أو يهوديا أو نصرانيا وقد عرف ما في الكفر من الشبهات والأقوال الفاسدة والظلمة والشر، ثم شرح الله صدره للإسلام وعرفه محاسن الإسلام ،فإنه قد يكون أرغب فيه، وأكره للكفر من بعض من لم يعرف حقيقة الكفر والإسلام، بل هو معرض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا، أو مقلد في مدح وذم هذا[1] .

ثم يعرج «الكيلاني، ١٤٠٧ هـ» على دعوة ابن تيمية للانفتاح على خبرات الآخرين والتفاعل معها أن" لا يسمح للمسلمين بفتح الأبواب والنوافذ على مصاريعها لأي تيار غريب، وإنما الواجب أن يجري ذلك من خلال المختصين المسلمين الذين يتلقون الأفكار والعقائد والثقافات الوافدة من خارج ثم يدرسونها ويحللونها ويهضمونها ويسمحون لما يتلاءم مع روح الإسلام منها[2] ويشارك

---

(١) ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ، ج١٠، ص٣٠٠- ص٣٠٢.
(٢) ص ١٩٨.

«باقارش، والآنسي، ١٤١٥هـ» الكيلاني في ذلك بقولهما: ومع ذلك لا يدعو إلى الانفتاح الكامل على الثقافات الأجنبية، بل يطالب بوجود متخصصين يدرسون الأفكار والثقافات الوافدة ويحللونها ويسمحون بما يتناسب مع الشريعة الإسلامية[١].

ومن ذلك نخلص إلى أن دعوة شيخ الإسلام للانفتاح على خبرات الآخرين ليست مطلقة وعامة بل هي دعوة منضبطة. حيث اشترط في الفرد المسلم أن يكون موقفه موقفا إيجابيا. بمعنى أنه يخضع ما ينبغي تقبله والتفاعل معه للدراسة والنقد والتحليل والتمحيص، ثم يأخذ ما لا يتعارض مع تعاليم الدين وكان فيه مصلحة ومنفعة للإسلام والمسلمين، ويرفض ما عدا ذلك.

٤- الاجتهاد

إن الاجتهاد صفة ملازمة لصاحب الانفتاح العقلي، وتتطلب من صاحبها أن يكون متبحرا في العلوم، ومتمكنا من أدلة الكتاب والسنة ومطلعاً على الأحوال والظروف ومتطلباتها ومقتضياتها، وإن شيخ الإسلام كان يتمتع بجميع هذه الخصال والمحامد حيث لم يكن يجاريه فيها أحد ولا يدانيه.

يقول الزملكاني واصفاً شيخ الإسلام ابن تيمية: "اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ..."[٢] فكان رحمه الله مجتهداً بمعنى أنه كان يفاضل بين أقوال الفقهاء وأئمة الدين[٣].

وكان يدعو إلى الاجتهاد واستخدام المصالح المرسلة في البحث عن الحل للمشكلات الدينية والاجتماعية التي كان يواجهها المسلمون. وكان من أهم قضايا عصره التي كانت الأمة تواجهها مسألة التطليقات الثلاث وكان له دور مهم في حل هذه المشكلة الاجتماعية، والذي حصل له بسببه البلاء العظيم، ويذكر «آل منصور، ١٤٠٥هـ» رأي ابن تيمية في ذلك وهو: عدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد أو

---

(١) ص٣٤٧.

(٢) الدمشقي، ١٤١١هـ، ص ١٠٩.

(٣) فروخ، ١٤١١هـ، ص ٥٢.

ألفاظ متعددة سواء كانت في مجلس واحد أو مجالس، في طهر واحد أو أطهار قبل الرجعة أو العقد، وأن الطلاق الثلاث لا يعتبر إلا إذا طلقها واحدة في طهر لم يجامعها فيه ثم يراجعها إذا كانت في عدتها أو يعقد عليها إذا كانت قد انتهت منها، ثم يطلقها الثانية في طهر لم يجامعها فيه مرة واحدة ثم يراجعها في عدتها أو يعقد عليها إذا كانت قد انتهت عدتها، ثم يطلقها المرة الثالثة في طهر لم يجامعها فيه كذلك مرة واحدة، وبذلك يكون قد طلقها ثلاثا، وهذا هو الطلاق الثلاث الذي دلت عليه النصوص. وهو الطلاق الذي تحرم به الزوجة حتى يتزوجها زوج غيره. وما عدا ذلك من ألفاظ الطلاق فلا يقع عليها منه إلا واحدة[1]. وهكذا ذهب رحمه الله وهو إذ يقول ذلك يخالف الأئمة الأربعة وينفرد بهذا الرأي عنهم عن اجتهاد مبني على الدليل الصحيح، والفهم السليم، ويستدل على مذهبه بقوله: إن كل طلاق شرعه الله في القرآن، في المدخول بها إنما هو الطلاق الرجعي ،لم يشرع الله لأحد أن يطلق الثلاث جميعا، ولم يشرع له أن يطلق المدخول بها طلاقا بائنا ولكن إذا طلقها قبل الدخول بانت منه، فإذا انقضت عدتها بانت منه[2]. وأيضا كذلك مسألة الحلف بالطلاق إذا لم يقصد الحالف الطلاق بل قصد به اليمين، ويكون يمينا، لا يقع به الطلاق، ويلزمه كفارة يمين، فالأئمة الأربعة قالوا :يلزمه الطلاق، وهو خالفهم في وقوع الطلاق[3]. واستند رحمه الله في ذلك على أقوال الصحابة رضي الله عنهم فقال رحمه الله: إذا كان الصحابة مثل ابن عمر وابن عباس وعائشة وأم سلمة وزينب ربيبة النبيﷺ وغيرهم من الصحابة قالوا فيمن قال: إن فعلت كذا فكل مملوك لي حر، قالوا يكفر عن يمينه ولا يلزمه العتق، هذا مع أن العتق طاعة وقربه، فالطلاق لا يلزمه بطريق الأولى، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما «الطلاق عن وطر، والعتق ما ابتغى به وجه الله»[4].

ثم قال رحمه الله بين ابن عباس أن الطلاق إنما يقع بمن غرضه أن يوقعه، لا لمن

---

(١) ج٢، ص٧٨٥ .

(٢) ابن تيمية، ١٣٩٨هـ ،ج٣٣ ص٩ .

(٣) ابن تيمية، ١٣٩٨هـ ،ج٣٣، ص١٢٧ .

(٤) البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره، ص ١٠٤٣ .

يكره وقوعه، كالحالف به والمكره عليه، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كل يمين وإن عظمت فكفارتها كفارة اليمين بالله، وهذا يتناول جميع الأيمان، من الحلف بالطلاق، والعتاق، والنذر، وغير ذلك، والقول بأن الحالف بالطلاق لا يلزمه الطلاق مذهب خلق كثير من السلف والخلف، لكن فيهم من لا يلزمه الكفارة، كداود وأصحابه ومنهم من يلزمه كفارة يمين كطاووس، وغيره من السلف والخلف[1].

٥- التوسط والاعتدال:

لقد تميز شيخ الإسلام ابن تيمية بسعة الاطلاع وطول الباع، وسعة المدارك العقلية، والفقهيه والفهم الواسع لأحكام الإسلام وعقائده، والمعرفة التامة بأدلة الخصوم على أنواعهم، وقد تمكن من إعمال الفكر والنظر في مبحث النقد والجرح والتعديل بعين التوسط والاعتدال، فكانت تلك الخاصية من سماته. وتتضح هذه الخاصية في حياته بصفة عامة وفي منهجه النقدي بصفة خاصة، ويمكن بيان ذلك على النحو التالي:

- تملكت ابن تيمية روح النقد والثورة على ما في عصره من عقائد مخالفة لما في مذهبه السلفي فانبرى لنقدها والرد عليها في كثير من الإفاضة والتحليل، ولقد ساعده على ذلك معرفته بما عند كل فرقة من الآراء، وما يمكن أن يورد عليها من النقوض، فتسنى لابن تيمية أن ينظر في هذه المذاهب كلها نظر الناقد الحصيف بعين التوسط والاعتدال، وأن يستخدم ما كانت تعارض به كل فرقة أختها في إبطالها جميعا.

وكان رحمه الله يستخدم في مناقشته للفرق المختلفة أساليب منطقية في غاية الهدوء والاتزان كقوله:

" فإن من نفى بعض ما وصف الله به نفسه كالغضب والرضا والمحبة والبغض ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزم التجسيم والتشبيه قيل له فأنت تثبت له الإرادة

---

(١) ابن تيمية، ١٣٩٨هـ، ج ٣٣، ص ٦١.

والكلام والسمع والبصر مع أن ما تثبته ليس مثل صفات المخلوقين فقل فيما أثبته مثل قولك فيما نفيته وأثبته الله ورسوله لا فرق بينهما فإن قال أنا لا أثبت شيئا من الصفات قيل له فأنت تثبت له الأسماء الحسنى مثل حي وعليم وقدير، والعبد يسمى بهذه الأسماء وليس ما تثبت للرب من هذه الأسماء مماثلا لما تثبت للعبد، فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه فإن قال أنا لا أثبت أسماءه الحسنى بل أقول هي مجاز أو أسماء لبعض مبتدعاته كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة قيل له فلا بد أن نعتقد أنه حق قائم بنفسه وليس هو مماثلا لها..."[1].

إن شيخ الإسلام في هذه المناقشة مع خصومه كان هادئا مسايرا لخصومه غير متشدد ولا معنفاً في حدود دائرة التوسط والاعتدال، حيث تنزل معهم إلى أبعد الفروض، وكل ذلك بقصد إحقاق الحق، وإبطال الباطل، ومن ثم دعوتهم إلى الخير والرشاد ونهيهم عن الزيغ والضلال.

٦- سبر غور علوم المخالفين قبل الخوض في الرد عليهم ونقدهم.

لقد أشار الباحث في مبحث سابق أن من ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية سبر غور علوم المخالفين، فصاحب الانفتاح العقلي لابد وأن يكون مدركا لحقيقة علوم المخالفين محيطا بأصولها وأسسها التي بنيت عليها قد سبر غورها وعلم منشأها، وذلك ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قام بدراسة واسعة لمذاهب المخالفين من الفلاسفة والمتكلمين وذلك ليتمكن من نقدها نقدا علميا نزيها بعيدا عن شوائب الطعن، " فقد كان يعتقد كما اعتقد الغزالي قبله أن نقد المذهب قبل الوقوف على حقيقته خبط في ظلام[2]. ولم يكن يقصد من وراء تلك الدراسة الواسعة نحلة يتبعها أو عقيدة يأخذ نفسه بها، فقد تشبع من أول نشأته بمذهب الحنابلة ،وهو المذهب الذي وضعه أحمد بن حنبل

(١) ابن تيمية، د.ت، ج١، ص ١٧٥ .

(٢) هراس، ١٤٠٥ هـ، ص٣١ .

رحمه الله، والمعروف بمذهب السلف وأكثر المذاهب اعتمادا على الكتاب والسنة كما أشرت إلى ذلك من قبل[1]، إن ابن تيمية كان يعتقد في قرارة نفسه أن سبب ضعف المسلمين وتفرقتهم هو ما وجد في الإسلام من بدع واستحدث من مذاهب فرفت جماعة المسلمين وجعلتهم شيعا، فكان لابد له، وهو يحاول الإصلاح والنهوض بالمسلمين أن يحارب هذه الفرق والمذاهب الباطلة، وأن يرجع بالناس إلى أصول دينهم الأولى من الكتاب والسنة، ويدعوهم إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وبين رحمه الله أن من لم يسبر غور مقالات المتفلسفة والمتكلمين خيف عليه من غائلتها، فقال: " فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، ومن قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما يبقى يخاف من شيء آخر فإذا أظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله، وأما المتوسط فيتوهم ما يلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمعظم هؤلاء، وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، نصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان[2]

إن موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من المتوسطين في معرفة علوم المخالفين، هو موقف صاحب الانفتاح العقلي الواعي والمنضبط، ولذلك ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار ؛ لأن اعتماده يغرس في نفس صاحبه التوهم ومن ثم التقليد الأعمى، ثم الانبهار والافتتان. وفي المقابل دعوته إلى سبر علوم المخالفين وإدراكها، ينبغي الأخذ بها ؛ لأنها تمكن صاحبها من التعامل مع المخالفين من موقع العزة والاستعلاء ومن ثم يتمكن من حرية الانتقاء، فنستطيع التقبل منهم والتفاعل معهم ونحن الأعلون بإيماننا وتوحيدنا بإذن الله تعالى.

***

---

(١) ص ٣١.

(٢) ابن تيمية، ١٣٩٨ هـ، ج٥، ص ١١٨.

الفصل الخامس

تصور مقترح للأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال :

أولاً : طرق التدريس الملائمة.

ثانياً : المقررات الدراسية.

ثالثاً : النشاط المدرسي.

مدخل

جاء الإسلام بمهمة تغييرية شملت كل جوانب الحياة، والإنسان هو المقصود الأول للتغيير، والمدخل الطبيعي لتغيير هذا الإنسان هو العقل، حيث يتم من خلاله كل تحول، ولأهمية العقل بالنسبة للإنسان كان اهتمام الإسلام به اهتماماً بالغاً فهو الذي يوجه النشاط والحركة الإنسانية، وهوالأداة التي بها يفهم، ويتأمل، ويفكر، ويتعلم والعقل هو الأساس الذي يكلف المرء على أساسه بتكاليف الشريعة ،ومن ثم فهو طريقه إلى الله.

والحقيقة أن العالم الإسلامي منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادي مقتلع النوافذ والأبواب في وجه الفكر الغربي منهجاً وثقافة وعلماً وحضارة ... وأصبحت الحصون الفكرية والثقافة الإسلامية تتهاوى واحد بعد الآخر، والأجيال المسلمة تتعرض لعملية استلاب فكري، ثقافي هائل، انتهت بأن أصبحت معارفنا النظرية غربية، حيث أخضعت جوانب كثيرة منها للتطوير والوسائل والطرائق الغربية في توصيل المعرفة وتقديمها وبناء فلسفتها ومعالجة قضاياها وموضوعاتها. وانهارت بذلك المقومات الأساسية العقلية والنفسية لدى الإنسان المسلم ؛ وبانهيار المقومات الأساسية التي بها توجد العقلية وتصاغ من منهج ومعرفة انهارت وانمحت الشخصية الإسلامية[1].

إن هذا الفعل قد أحدث هزة عنيفة وقوية، كأنها الإعصار، حيث نسف الكثير من المسلمات والثوابت لدى العقلية المسلمة مما يستدعي ويحتم إعادة صياغة العقلية الإسلامية اليوم صياغة جديدة وفق مناهج وأساليب إسلامية صحيحة عن طريق تعليمها وتنويرها لتعود إلى أصالتها.

وهذه المهمة أصيلة وحتمية وأساسية في عملية بناء الفرد المسلم الواعي، وهي مهمة تتطلب فكراً تربوياً ينهض بعملية تعليم الفرد المسلم، ويكون وفق الشروط التالية :

---

(١) العلواني، ١٤١٤هـ، ص١٣ .

١- أن يكون نابعاً من الأصول الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم اتجاهات التراث الفكري بعد نقدها وغربلتها لأخذ المفيد منها.

٢- أن يكون هدفه كما هو هدف الإسلام تغيير الواقع إلى الإسلام ومن ثم فالفكر التربوي التعليمي الذي يعتمد على المجتمع الإسلامي يجب أن يغيّر الواقع الآسن الذي يعيشه المجتمع إلى واقع متحرك.

٣- أن يكون فكراً منفتحاً ممسكاً بالأصول، منفتحاً على تجارب الأمم والشعوب يستخرج منها المفيد، فيكون جامعاً بين الأصالة والمعاصرة.

٤- أن يتصدى للمشكلات الراهنة للأمة والتي تعوق حركتها في الاتجاه نحو الأفضل(١).

وبهذا يكون الانفتاح المنضبط وفق الأصول الإسلامية من العوامل التي تنهض بتعليم الفرد المسلم، ولا غرابة من ذلك فهو من الاتجاهات العلمية ذات الأهمية البالغة، إلا أنه لم يحظ في مجال التربية والتعليم بالقدر الكافي من الفهم والاستيعاب وذلك المجال الذي تعلق عليه آمال عراض من خلال الفرص المهيأة التي تتخذ لها منفذا قوياً إلى عقول المتعلمين، في ظل وجود طرائق وأساليب التدريس الملائمة، وما تحويه المقررات الدراسية، وما تنطوي عليه الأنشطة المدرسية.

ولهذا فقد رأى الباحث أن يضع تصورا مقترحا للأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم، وهذا ما سيكون بصدده في هذا الفصل إن شاء الله.

أولاً: أساليب وطرق التدريس الملائمة:

تعتبر الطريقة من أهم أدوات تحقيق الأهداف، بل إن نجاح أي عملية تعليمية، أو تربوية يعتمد على الطريقة التي يستخدمها المعلم، ويتوقف نجاح الطريقة من عدمه على قدرة المعلم على تهيئة نفوس المتعلمين للدرس ليتعلموا، ويصلوا إلى

(١) أبو العينين، ١٩٩٨م، ص١٦- ص١٧.

الأهداف المطلوبة ، حتى لقد قيل بأن"المعلم الناجح هو في الحقيقة طريقة تدريسية ناجحة" بمعنى أن الطريقة في التدريس هي أساس نجاح نقل المعلومات إلى الطلاب ، وبالتالي فهمهم لها.

ومهما كان المعلم متميزاً بغزارة علمه وكثرة معلوماته فإن المعلومات تبقى دون أثر واضح إذا لم يستطع إيصالها إلى أذهان التلاميذ.

أنواع أساليب وطرق التدريس :

إن أساليب وطرق التدريس كثيرة ومتنوعة تبعاً لاختلاف وتنظيم الخبرات ونمط اكتسابها ومن أبرزها ما يلي :

١ – طريقة الإلقاء :

وهي تقوم على أساس عرض المعلم المعلومات والخبرات المتصلة بموضوع درسه عرضاً منظماً وبأسلوب شائق جذاب.

ولطريقة الإلقاء عدة أساليب معروفة مثل :

أ – أسلوب المحاضرة .

ب – أسلوب الوصف والشرح .

ج – أسلوب القصة[١] .

وهذا الأسلوب الأخير يساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلمين ؛ لاشتماله على الفوائد التالية :

١ – التشويق وجذب الانتباه ،وتركيز الذهن، وإثارة المشاعر بما يشد السامع إلى مجريات القصة حتى يستجلي أحداثها ، ويعرف نتائجها.

٢ – تحفيز السامع أو القارئ إلى أخذ العبرة من أبطال القصة واختيار السبيل المناسب .

---

(١) السبحي ، بنجر، ١٤١٧هـ، ص ٨٨ .

٣- دفع السامع أو القارئ إلى الاقتداء بأبطال القصة في الأمور الخيرة، ونبذ ما سوى ذلك.

٤- إشباع حب الاطلاع لدى السامع، أو القارئ لمعرفة مواقف وفواصل وتداخلات القصة حتى يصل إلى عقدة الحل[١]. إضافة إلى ذلك" فالقصة لها دور في التربية من حيث التأثير النفسي والعاطفي للأحداث والظواهر الإنسانية، ومن حيث مناسبتها للتعبير عن التاريخ والأخبار الماضية[٢].

٢ – طريقة المناقشة الجماعية :

يقوم الطلبة في هذه الطريقة بدراسة موضوع الدرس بأنفسهم قبل حضور الحصة، ثم يتناقشون فيما حصلوه من معلومات، وما توصلوا إليه من استنتاجات من المراجع المختلفة[٣]. وهذه الطريقة تتمتع بميزات تعود على التلاميذ بفوائد كثيرة منها :

١– تعلم التلاميذ حب المشاركة والنقاش القائم على التحليل والتطبيق والفهم.

٢– تعلم التلاميذ حسن التفكير، وروح البحث والإبداع، والابتكار.

٣– تنمي في التلاميذ حب الجماعة والعمل الجماعي وتربي فيهم روح القيادة والإدارة.

٤– تنمي في التلاميذ حب العمل وتقديره كمسئولية يجب تحملها.

٥– خير وسيلة لتدريب التلاميذ على الحوار والمحادثة وإبداء الرأي بشجاعة دون خوف أو خجل.

٦– تشجع التلاميذ كي يتعلموا من بعضهم ويستفيدوا من أخطائهم ومشاركاتهم برحابة صدر وتسامح وإدراك للمسئولية[٤].

---

(١) الزنتاني، ١٩٨٤م، ص١٢٠.
(٢) يالجن، ١٤١٦هـ، ص ١٩٣.
(٣) مطاوع، واصف، ١٤٠٦هـ، ص٣٠.
(٤) السبحي، بنجر، ١٤١٧هـ، ص ٩٤.

إن تحقيق هذه الفوائد في نفوس المتعلمين وتمثلها في شخصياتهم لجدير بأن يكسبهم القدرة على التقبل والتعامل والتفاعل مع الآخرين ويخلق فيهم روح التسامح والشعور بالمسئولية التي تعد من الأسس التي يقوم عليها الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية كما سبق الإشارة إلى ذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة وبالتالي فهذه الطريقة أو هذا الأسلوب يعد من الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم .

٣ – طريقة الاستقراء والقياس :

طريقة الاستقراء : وهي التوصل إلى الأحكام العامة من الحقائق الجزئية ، وفيها يتعين على المعلم أن يتيح الفرصة لتلاميذه ليكتشفوا بأنفسهم هذه العلاقة وليعبروا عنها بأسلوبهم ، وتتميز بتثبيت المعلومات في ذهن المتعلم لمدة طويلة ؛ لأنه توصل إلى القواعد بنفسه[١]. وينبغي إدراك أن هذه الطريقة تعد من العوامل التي تساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلم ؛" لأنها تنمي قدرة التلميذ على التفكير والوعي والإدراك ودقة الملاحظة وإثارة النشاط الذهني والعقلي للوصول إلى المعرفة[٢]".

طريقة القياس : وتسمى الطريقة الكلية لأنها تبدأ من الكل وتنتهي إلى الجزء ، وتتميز بالسهولة والسرعة وعدم تكليف التلميذ مشقة التفكير[٣]".

والاستقراء والقياس طريقتان متكاملتان في التدريس :

ففي القياس يحاول المعلم تبسيط القاعدة ، ثم يستعرض الأمثلة والتطبيقات عليها ، وفي الاستقراء يحاول تقديم الأمثلة ، ومساعدة الطلاب في الوصول إلى التعميمات والمبادئ ، فالقياس هو وسيلة للمحافظة على الحقائق وتفسيرها ، بينما الاستقراء وهو وسيلة للكشف عن حقائق جديدة ، ومن هنا اهتم المربون باستخدام القياس والاستقراء معاً ، على أن تتم طريقة التدريس وفقاً لما يلي :

---

(١) مطاوع ، واصف ، ١٤٠٦هـ ، ص٣١ .

(٢) السبحي ، بنجر ، ١٤١٧هـ ، ص٩٦ .

(٣) مطاوع ، واصف ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣١ .

أ - يبدأ المعلم بتقديم أمثلة جزئية محسوسة .

ب - مناقشة الأمثلة ومقارنتها وموازنتها لاستنباط القاعدة .

ج - صياغة القاعدة النهائية .

د - يحاول الطلاب تقديم أمثلة جزئية في ضوء القاعدة التي وصلوا إليها[١].

٤ - طريقة حل المشكلات :

وهي طريقة تثير التفكير عند التلاميذ وتعمل على تشويقه وإلهاب خياله، كما تدربه على حل المشكلات التي هي خير تدريب له لمواجهة ما يقابله من مشكلات أخرى في مستقبل حياته[٢].

ولطريقة حل المشكلات إيجابيات تعود على التلاميذ، و من أبرزها :

أ - تدريب التلاميذ على بعض المهارات مثل: مهارة القراءة والنقد والفهم، وجمع المعلومات والبحث والتنقيب عنها .

ب - الاستعانة بالكتاب المدرسي إضافة لبعض المراجع .

ج - تنمية إحساس التلاميذ ببعض المشكلات التي تتطلب التفكير والمشاركة بصورة منطقية تعاونية .

د - تنمية إحساس التلاميذ بالواقع الحقيقي الذي يحيط بهم .

هـ - غرس حب العمل الجماعي لدى التلاميذ[٣].

٥ - طريقة المشروع :

المشروع في نظر «وليم كلبا تريك» هو سلسلة من النشاط الذي يقوم به فرد أو جماعة لتحقيق أغراض واضحة ومحددة في محيط اجتماعي برغبة وحماس[٤].

---

(١) هندي، عليان، ١٤١٦هـ، ص ١٨٩ .

(٢) مطاوع، واصف، ١٤٠٦هـ، ص٣٤ .

(٣) السبحي، بنجر ١٤١٧هـ، ص ١٠٠ .

(٤) الوكيل، المفتي، ١٩٨٠م، ص٣٨٨ .

وهي طريقة عملية تقوم على اقتراح مشروع لحل مشكلة أو لخدمة غرض[١].

والمشروع: هو نشاط تربوي يخطط له الطلاب مع معلمهم لتحقيق هدف منشود وفي المشروع يقوم الطلاب بنشاطات متنوعة يكتسبون من خلالها بعض الاتجاهات الإيجابية بالإضافة إلى الخبرات الغنية بالمهارات والمعلومات والحقائق[٢].

وتتميز هذه الطريقة بأنها :

أ - تساعد على تأكيد الخبرة المباشرة، وإقرار مبدأ التعليم الذاتي وإيجابية التلميذ في الأداء، وإكساب التلاميذ المهارات الفردية والجماعية وحب العمل وحسن التعامل مع الآخرين وتحمل المسئولية[٣].

ب- تثير اهتمام التلميذ ،كما أن نجاح المشروع يزيد من ثقة التلميذ بنفسه ويدفعه إلى المزيد من النجاح، وتساعد هذه الطريقة على تنمية روح الإبداع والابتكار والاعتماد على النفس، مما يساعد على تكوين شخصية علمية واعية متفتحة، كما أنها تربط التدريس بالحياة ومشكلاتها[٤].

ج - تكسب المتعلمين من خلالها المعلومات النافعة والمهارات المفيدة، وتكون لديهم الاتجاهات الصالحة، وتنمي قدرتهم على التفكير العلمي[٥].

وبعد استعراض هذه الأنواع المتعددة من الطرق والأساليب التدريسية ومعرفة مدى مساعدتها في تحقيق الانفتاح العقلي لدى المتعلمين في التربية والتعليم، يمكن للباحث أن يقترح بعض الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم من خلال طرق التدريس ومن تلك الأساليب ما يلي :

---

(١) مطاوع، واصف، ١٤٠٦هـ، ص ٣٦ .

(٢) هندي، عليان، ١٤١٦هـ ،ص١٨ .

(٣) السبحي، بنجر، ١٤١٧هـ، ص٩٩ .

(٤) مطاوع، واصف، ١٤٠٦هـ، ص ٣٦ .

(٥) الوكيل، المفتي، ١٩٨٠م، ص ٣٨٩ .

١- تشجيع التلاميذ على إبداء الرأي:

إن مدلول حرية الرأي يشمل عنصرين مهمين :

أولهما : حرية الإنسان في طرق النظر العقلي وأساليبه ، دون فرض معطيات وأدوات من الآخرين من شأنها أن تؤدي إلى الخطأ ، أو أن يلزم بسلوك طرائق معينة من شأنها أن توصله إلى نتائج مبتغاة سلفاً.

وثانيهما : حرية الإنسان في إبداء الرأي الذي توصل إليه بالنظر والبحث وإشاعته بين الناس والمنافحة عنه والإقناع به[1] .

ويمكن أن نُظهر هذين العنصرين بوضوح لدى المتعلم في حالة إفساح المجال أمامه من قبل المعلم ، من خلال تشجيعه على اختيار طريقته الخاصة في النظر العقلي دون أن يلزم بأمور قد تعلم نتاجها مسبقا ، فيصبح هذا المتعلم مفكراً بعقل غيره لا بعقله.

وفي حالة تمكينه من إبداء رأيه الذي توصل إليه مقابل إلزامه من معلمه بالدفاع عن رأيه ومناقشته مناقشة علمية موضوعية بعيدة عن الأحكام الجاهزة والنتائج المسبقة بشرط أن تكون المناقشة مقرونة بالدليل والبرهان ، ومن ثم فإن عناية المعلم بتربية تلاميذه وتشجيعهم على إبداء الرأي المقرون بالدليل والبرهان ، والتخلص من التلقي المجرد مما سوى الوحيين يخدم في تنمية الانفتاح العقلي لديهم ، ذلك الانفتاح الواعي المنضبط الذي يمكن صاحبه من أن يقف موقفاً إيجابياً تجاه ما يسمع أو يرى من مؤثرات خارجية .

فمن المعلوم أن من مشكلات الجيل المعاصر التبعية في الرأي والسير وراء الآخرين تلك الخاصية التي تكون الأرضية المناسبة لتلقي التأثير الخارجي على الشخص أياً كان مصدر هذا التأثير ، وتحقيق الانفتاح العقلي لدى المتعلمين عن طريق تشجيعهم على إبداء آرائهم يشكل بإذن الله درعاً واقياً لهم من المؤثرات الأخرى ، ويربي في نفوسهم

(١) النجار ، ١٤١٣هـ ، ص ٤٣ – ص٤٤ .

الموقف الإيجابي تجاه ما يرد إليهم بدلاً من كونهم يتلقون ويتلقفون كل ما يرد إليهم حينها تتحطم الكثير من العوائق أمام هذه الشخصية.

إن حرية الرأي والتعبير عنه دعامة راسخة من دعائم الفكر الإسلامي ولعل المتأمل الجيد في تاريخ المسلمين أو التاريخ الإسلامي يتبين له أنه كلما ضيق الخناق على إبداء الرأي في زمان أو مكان أدى ذلك إلى ضيق في مساحة المعطيات والسبل التي تتأسس عليها المعارف والأحكام فتنتج عن ذلك عقلية جزئية لا تثمر إلا الفرقة والشتات[1].

وتشجيع المتعلم على إبداء الرأي يعكس نتائج مثمرة في ميدان التربية والتعليم منها:

أ - حصول المتعلم على الخبرة الإبداعية عن طريق التعامل الحر مع أفكاره والتعبير بصدق عن أحاسيسه عندما يجري ويستكشف ويتخيل بنفسه[2].

يؤكد ذلك «عصر، ١٩٩٩م» بقوله: " وتسهم الحرية النفسية كثيرا في الإسراع بالابتكار وتجميله وخاصة عندما يتاح للأطفال حرية التعبير"[3].

ب - خلق جو من التفاهم الحواري الذي تتقابل فيه الآراء، وتظهر فيه الحجج والبراهين، ويظهر الرأي الأكثر صوابا.

ج - تربية عقل المتعلم على الشمول والسعي للمعرفة من طرقها السليمة بعيدا عن التعصب والجمود والتضييق وكبت الآراء.

يقول «النجار، ١٤١٣هـ»: " وحينما تتاح حرية الرأي في مستوى الإعلان والحجاج فإن العقل ينفتح على الرأي المخالف، والمعطيات المضادة، وتتم في نطاق الحوار المقابلة بين الآراء فيسقط الضعيف، ويصح القوي، وذلك أمر بين

---

(١) النجار، ١٤١٣هـ ص٥٢.

(٢) الفنيش، ١٩٩٢م، ص ١٧١.

(٣)ص٨٢.

بالمشاهدة، أما الكبت، والمنع من التعبير، والمحاورة فلا يثمر إلا الانغلاق على الرأي الواحد، والتشبث به والتعصب له[1].

إن الانفتاح العقلي لا يكون ممكناً في وجود الكبح والقمع، أو القواعد الصارمة، أو الضبط الزائد عن حده، أو الخوف أو القلق[2]

٢- تشجيع التلاميذ على نقد الآراء:

المقصود بالنقد: " أن يسلك العقل في حركته المعرفية مسلكا يجمع فيه بين المتقابلات من الآراء، ويقابل بين الاحتمالات المختلفة، ثم يمحصها ويختبرها على أساس ذلك التقابل[3].

ويقصد الباحث بذلك النقد البناء الذي يظهر مواطن القوة والضعف في العمل، أو الفكرة التي هي معروضة للنقد والمناقشة، والذي يوصل صاحبه إلى الصواب، ويمكن صاحبه من تطوير ما لديه من فكرة أو مشروع ما ؛ لأن الناظر الواحد قد تخفى عليه بعض الزوايا، أو يكون متأثرا ببعض العوامل النفسية التي تدفعه للتعصب والتحيز دون أن يشعر مع الفكرة أو ضدها[4].

وهذا مؤشر من مؤشرات الانفتاح العقلي الواعي والمنضبط بضوابط الإسلام، ومما يزيد الأمر وضوحاً تأكيد بعض المربين من أن التفتح العقلي لدى المتعلم ينطلق من عدة مؤشرات تبدو واضحة في شخصية ذلك المتعلم، ومن تلك المؤشرات:

أ - اتخاذ القرارات القائمة على التقويم ،وتقديم الأدلة وإعادة تقويمها.

ب - تحدي الأفكار والقرارات، ومجابهتها نقداً، وفحصاً، وتفنيداً.

ج - مواجهة الآخرين لا خصاماً وإنما عقلاً وأدلة[5].

---

(١)ص ٦١.

(٢) الفنيش، ١٩٩٢م، ص١٧١ .

(٣) النجار، ١٤١٣هـ، ص٣٨ .

(٤) الأميري، ١٤١٩هـ، ص ٢٤ .

(٥) عصر، ١٩٩٩م، ص ١١٩ .

إن العملية التربوية تقوم على تبادل الآراء بين المعلم وتلاميذه داخل الحجرة الدراسية وخارجها حتى يربي فيهم روح النقد البناء، مع القدرة على مواجهة مختلف المواقف التي قد تعرض للطالب، وتحتاج منه إلى وعي تام، وتفتح في العقل، وقدرة على الإيجابية الأمر الذي يعني عدم وقوفه سلبياً تجاه ما يعتري مسيرته الدراسية.

إن عناية المعلم وتشجيعه لتلاميذه على النقد البناء يخلق منهم أفراداً متعلمين ناضجين واعين يقفون موقفا إيجابياً تجاه ما يجابهون في حياتهم العلمية وغير العلمية، وهذا الأسلوب متمم لسابقه «التشجيع على إبداء الرأي» والذي سبق وأن أشار الباحث إليه، فالنقد البناء يسهم في إصلاح نواحي القصور، واستبدالها بما هو أفضل، وهذه هي نظرة صاحب الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية، وبالتالي فإن تشجيع المعلم لتلاميذه على النقد البناء لمختلف الآراء أمر ضروري لتوسيع مداركهم وأفكارهم ومن ثم تفتحهم العقلي، وفي المقابل فإن التقليل من حجم أفكار التلميذ النقدية لا يعني شيئا سوى الجمود العقلي، والتعصب الأعمى، وقلة الوعي التي ربما أصبحت ملاصقة لشخصية التلميذ المستقبلية.

إن من الواجب علينا في ميدان التربية والتعليم أن نربيَ في أبنائنا القدرة على اتخاذ القرارات، وتقويم الأفكار في جو من التفاهم بعيدا عن التجريح في تلك الأفكار المنقودة، فالمقصود نقد الفكرة لا صاحبها.

إن القدرة على تحدي أفكار الآخرين تقع بالدرجة الأولى على الأسلوب الأمثل الذي نسلكه مع المتعلمين، دون استصغار آرائهم بأي حال من الأحوال" فإذا أردنا للصغار أن يكونوا ناقدين، فلا بد من أن نشجع فيهم تحدي أفكارنا نحن الكبار، وأساليبنا في التفكير بدلا من أن يقعوا في حبائلنا ؛ مما يسفر عنه قدرة الطفل على فحص الأفكار، وتدقيقها، وعرضها على محك العقل وهذا مطلب ليس هيناً"[(1)]

---

(١) عصر، ١٩٩٩م، ص ١١٨ .

٣- تعويد التلاميذ على النظر والتأمل العقلي في مخلوقات الله :

إن تعويد المتعلم على النظر والتأمل العقلي في مخلوقات الله ، في تدرج يتلائم مع نمو عقله وقدرته على التفكير والتأمل ، يعد من أجدر الطرق المنمية لطاقة العقل الكامنة ، ومن أقربها ثمرة ، وأجداها بناءً وإقناعاً دون مشقة ، وهو الأسلوب الذي سلكه الإسلام في بناء عقول أبنائه ، وبثه في كتابه الكريم في آيات تدعو إلى إعمال العقل ، والإعلاء من شأن الفكر لإيقاظ العقول من غفلتها ، واستنهاضها من خمولها وتحريرها من أغلال جمودها ومن تلك الآيات قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس١٠١] وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة٢٧]. والآيات ففي ذلك كثيرة ، وقد سبق أن أشار الباحث إلى الكثير منها في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

إن تعويد المعلم للتلاميذ على تلاوة هذه الآيات والتأمل العقلي في معانيها باستمرار والعمل بمقتضاها يكسبهم تفتحا في العقل ونضجاً في التفكير ، وقوة في الإيمان ، ويؤكد ذلك «الحليبي ، ١٤١٩ هـ» بقوله :

" الطفل إذا نشأ تالياً لهذه الآيات الكريمة ، ووجد من يعينه ، ويلفت نظره إلى واقعها في الحياة عن طريق النظرة المتأملة لصفحة الكون أو للسماء والأرض ، أو الليل والنهار ، أو للنبتة الصغيرة والشجرة السابقة ، أو للقطة الوادعة ، أو للنحلة العاملة ، فكم تؤثر هذه في النظرة في تفتح عقل الطفل ونضجه"(١) .

إن انتهاج الإسلام لهذا الأسلوب في بناء عقول أبنائه ، وبثه في كتابه يستلزم من رجال التربية والتعليم تأكيد ذلك في ميدانهم ، وتشجيع أبنائهم وتعويدهم عليه ؛ بل ويمكن للمعلم أن يتخذ من ذلك وسيلة للفت عقل المتعلم وتفتيح مداركه إلى مخلوقات الله في هذا الكون ليرى ما فيها من عناية ربانية ، وحكم سامية ومنافع

---

(١)ص ٢٨٦.

متعددة، فمن خلال الممارسة العملية بالنظر والتأمل العقلي في مخلوقات الله، تتكون أفكار المتعلم، وتنمو طاقات عقله، وتتفتح مداركه، ويرسخ إيمانه.

٤- توجيه المتعلمين إلى مصادر المعرفة:

من الأساليب التربوية التي ينبغي على المعلم أن يسلكها تجاه تلاميذه خلال سيره في العملية التدريسية توجيههم لمصادر المعرفة التي تنمي فكرهم وتثري معلوماتهم، وتساعدهم على فهم الواقع، وتعمل على توسيع مداركهم، وتفتح عقولهم. فكما لا ينبغي للمعلم التقيد بمحتوى الكتاب المقرر تقيدا مطلقا، فكذلك الحال بالنسبة إلى الطالب الذي لا ينبغي أن تتوقف به المعلومة عند آخر حرف قرأه في الكتاب المدرسي.

إن دلالة المتعلم على الكتب والمراجع المفيدة، ينمي فيه حب الاطلاع منذ صغره ويجعله شغوفا بالمطالعة الحرة خصوصا وقت فراغه، وأوقات الإجازات الدراسية والحصص التي يتواجد فيها داخل المكتبة المدرسية.

ومن المعلوم أن القراءة هي غذاء للعقل يحتاجه المتعلم باستمرار، مثل حاجته إلى الطعام، ولربما أشد وإلا بقي هذا المتعلم محدود الفكر ضيق البصيرة ؛ فالقراءة نشاط عقلي يجمع بين نوعي التفكير الناقد ممثلا في حل الكلمات والعبارات والجمل، والابتكاري ممثلا في التخيل والتوصل إلى نتائج والقيام بحل مشكلات[١].

ولا يهمنا إثبات أهمية القراءة بقدر ما نريد الإشارة إليه في هذا المقام من أن القارئ الواعي يضيف إلى خبرته خبرات الآخرين، فيعيش حياته بشكل أعمق وأغنى وكذلك الذي يعي أفكار الآخرين يضيف أفكاراً إلى فكره. وعندما سئل عبقري الفيزياء الأشهر نيوتن عن سر إنجازاته وتفوقه أجاب: لقد وقفت على أكتاف العمالقة الذين جاءوا قبلي[٢]. أي أنه قرأ ما كتبوا، وفهمه واستفاد منه، وأضاف إليه.

---

(١) عصر، ١٩٩٩م، ص٣٣٧.

(٢) هازيلت، د.ت، ص٢٧١.

وطلابنا اليوم يحتاجون من يرشدهم إلى المراجع والكتب التي تقدم شرحا أوسع وأدق للموضوعات التي تتناولها الكتب المدرسية، وغيرها ؛ ليشبعوا فهمهم المعرفي وخير من يقوم بهذه المهمة المعلمون، لاسيما ونحن نعيش في عالم متغير وسريع الحركة.

إن تعويد أبنائنا على القراءة من خلال توجيههم للكتب المفيدة أمر يستحق المزيد من الرعاية والعناية لاسيما في عصرنا الحاضر ؛ إذ كثرت فيه الصوارف والشواغل للجيل المعاصر، مما يجعل العناية بذلك في مرتبة متأخرة من اهتمامات الطالب[1].

وحين يلمسون عنايتنا بهم بما نقدمه لهم من توجيه وتعويد على القراءة من خلال دلالتهم على الكتب والمراجع المفيدة، فإننا نساهم في دفع الهم العلمي لدى طلابنا مرحلة أعلى مما هي عليه في الواقع.

٥- تعويد المتعلم على التعقل وضبط النفس:

إن التعقل وضبط النفس خلق إسلامي نبيل، ينبغي أن نعيه تمام الوعي معلمين ومتعلمين، وأن نحاول دائما أن نربي أبناءنا الطلاب على ضبط الذات وعدم الاندفاع أو الاعتماد على الانطباعات السريعة الطائشة التي قد لا تقوم على الأحكام العقلية المتأنية ؛ لأن ذلك يؤدي - بطبيعته - إلى تكون جيل من المتعلمين محدود الذهن، ليس لديه القدرة على التمهل أو الإمعان في الفكر أو البعد في النظر، فيكون فكره سطحيا وربما أورث ذلك في نفسه درجة عالية من التعصب والانقياد لرغبات الذات .. يقول «عصر، ١٩٩٩م»: " ومما يساعد التلاميذ على ضبط الذات، التمهل، والتأني، وانتظار الدور والتريث حتى يفرغ الآخرون، ومن ثم يكتسبون القدرة على تحديد تتابع الأحداث الجارية حولهم، أو أمامهم أو التي يفعلونها، أو يفعلها الآخرون[2].

---

(١) الدويش، ١٤١٩هـ، ص٤٦- ص٤٧ .

(٢)ص٢٢٩.

فهنا أشار «عصر» إلى الأسلوب الأمثل الذي ينبغي على المعلم أن يسلكه مع تلاميذه حتى ينمي فيهم طريقة التمهل وضبط النفس. ومن ثمرات ضبط النفس لدى المتعلمين:

أ- زيادة نموهم العقلي والمعرفي.

ب- ربط النتائج بالأسباب.

ج- عدم التسرع في إصدار الأحكام[1].

والانفتاح العقلي في مجال التربية والتعليم لا تكاد تخرج ثماره عن ما ذكر أعلاه، وما من شك أن إدراكنا لهذه الأمور، وغرسها في نفوسهم يؤدي إلى تكوين اتجاهات علمية في شخصياتهم، ومن بينها الانفتاح العقلي، وبهذا يتبين أن هذا الأسلوب من العوامل المساعدة على الانفتاح في مجال التربية والتعليم.

٦- وإضافة إلى ما سبق فإن هناك العديد من الأساليب التربوية لابد من استثمارها لتحقيق الانفتاح العقلي لدى المتعلم في مجال التربية والتعليم ومن خلال طرق التدريس الملائمة، سوف يتطرق إليها الباحث ويوضح كيفية الاستفادة من هذه الأساليب في بناء عقول الطلاب، والحد من ضيق الأفق الذي قد يعتري البعض منهم، ليس في داخل المدرسة فحسب، وإنما في مسيرتهم الحياتية وهذه بعض من تلك الأساليب:

أ- أسلوب الحوار:

الحوار في أقرب تعريفاته الاصطلاحية هو: "حديث يجري بين شخصين أو أكثر"[2].

ونقصد به هنا ذلك النقاش البناء الذي يسهم في بناء العملية التربوية مشتملا على الأخذ والعطاء، وتبادل الآراء، ووجهات النظر بين المعلم والتلاميذ.

فالحوار نافذة فكرية وشعورية بين الفرد وبين الآخرين، والذي يستغني عن الحوار

---

(١) عصر، ١٩٩٩م، ص ٢٢٩.

(٢) خلف الله، ١٤١٩هـ، ص٥١.

يعيش منغلقاً على ذاته، لا يرى الأمور إلا من زاويته الشخصية، فيكون أكثر تعرضاً للخطأ، وإن زعم أنه أقرب إلى الصواب من سواه، وأغلب الذين يرفضون الحوار إما بدافع الخوف منه لعجزهم عنه أو لضعف أدلتهم، وإما بدافع الجمود والتعصب[1].

وللحوار أهمية تربوية عظيمة، وقيمة حضارية إنسانية، حيث يؤدي إلى كشف الحقائق وخاصة إذا كانت غائبة، إضافة إلى دوره البناء في تكوين شخصية المتعلمين، وخلق روح التنافس بينهم، وبث الروح الجماعية فيهم وتعويدهم على النظام والتعاون، ويخلق في ذواتهم روح الابتكار[2].

ومن إيجابيات الحوار في العملية التعليمية والتربوية:

١- استثارة قدرات التلاميذ العقلية، وجعلها في أفضل حالاتها.

٢- تقارب أفكار التلاميذ وآرائهم.

٣- تنمية معلومات التلاميذ وزيادة حصيلتهم العلمية.

٤- إبعاد التلاميذ عن روح التعصب للآراء والمقترحات[3].

وقد زاد اهتمام المربين بأسلوب الحوار في عملية التدريب، واعتبروه أسلوبا مفضلا ومجديا في التعليم ؛ لأن أسلوب الحفظ عن ظهر قلب لا يجدي وإنما يخلق أطفالا ضيقي الأفق عقيمي التفكير، ومن أولئك المربين الزرنوجي، يقول «الزرنوجي ،١٤٠٦هـ»: " إن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من قضاء شهر بأكمله في الحفظ والتكرار[4]. ولكي تؤدي الطريقة الحوارية الغرض المرجو منها فلا بد من توافر عدة شروط منها:

١ – اختيار المعلم وقتا مناسبا لطرح الأسئلة.

٢ – اختيار الأسئلة الحوارية المناسبة لمستوى عقول الطلاب.

---

(١) الأميري، ١٤١٩هـ، ص٢٨.

(٢) خلف الله، ١٤١٩هـ، ص٥١ – ص٥٢.

(٣) خلف الله، ١٤١٩هـ، ص٦٧.

(٤) ص١٤٠.

٣ - حرص المعلم على استمرارية التفاعل داخل الصف.

٤ - التأكد من مشاركة جميع التلاميذ في الحوار.

٥ - التحلي بروح البحث عن الحقيقة، وتحري الصدق[١].

وبهذا نجد أن للطريقة الحوارية دور كبير في تنمية الانفتاح العقلي لدى المتعلمين، وذلك عن طريق توسيع قاعدة الفهم لديهم، وتعويدهم على تقبل الآراء والأفكار والحقائق، واحترام وجهات النظر والقدرة على النقاش وإبداء الرأي.

فالعقل الذي لا يفكر يموت والعضو الذي لا يتحرك يضمر ويفقد صلاحيته والماء الراكد بيئة خصبة لنمو الطحالب والفطريات .. وبتقليب الأرض وحرثها تستنبت البذور.

ومن المعلوم أن لكل مادة من المواد الدراسية طريقتها المناسبة، والذي يهمنا بالدرجة الأولى هو استغلال الطريقة التي تمكن المتعلم من إعمال عقله وفكره ثم تبعثه على العمل، وتكوّن لديه فهما قويا، ومهارات واتجاهات عقلية بناءة، ومن هنا فإنه لا مانع من استخدام أكثر من أسلوب في العملية التعليمية.

ولهذا فإننا سنتطرق -أيضاً- إلى أساليب أخرى تضاف إلى الأسلوب الحواري الذي ناقشنا جانبا منه قبل قليل.

ب - أسلوب إثارة أذهان المتعلمين باستمرار:

ويحتاج المتعلم إلى أسلوب إثارة الذهن احتياجا تاما للتغلب على الركود الذهني الذي قد ينتابه نتيجة التعود على طريقة واحدة تخلق في نفسه روتيناً مملا يجعله لا يأبه بقيمة الأفكار أو المعلومات التي يسمعها ولو كانت على جانب كبير من الأهمية.

ولكي تعالج الظاهرة فلابد للمعلم أن يعمل جاهداً على مخاطبة عقل المتعلم وإثارة ذهنه، ودعوته إلى المشاركة باستمرار، والعمل على إيقاظ فكره، وتبصيره بأهمية الموضوع الذي تتم مناقشته.

---

(١) خلف الله، ١٤١٩هـ، ص٥٥ - ص٥٦.

إن المتعلمين الذين تعودوا على طريقة السماع العادي بعيدا عن إثارة الذهن تجدهم يواجهون صعوبات بالغة في التمييز بين الأفكار. وقد تفوتهم فكرة مهمة لم تعرض عليهم بأسلوب يثير تفكيرهم من قبل الأمر الذي أدى إلى غموضها وعدم وضوح أهميتها، ولهذا فإنه" لا يكفي أبداً فهم الأفكار فهما عابراً لكسب المقدرة العلمية الصحيحة إذ لابد من الوقوف عليها، ومعرفة حدودها وإزالة الغموض تماماً عن جميع جوانبها حتى تتضح في الذهن تماماً"[١] ومن العوامل التي تساعد على إثارة الأذهان: تكرار الكلام، والقيام بحركات انفعالية، ونظرا لأهمية هذا الأسلوب في مجال التربية والتعليم فقد قرر التربويون: " أنه إذا كان الأسلوب الذي تقوم به المعلومات يثير الأذهان والانفعالات يؤدي إلى ترسيخ المعلومات لأنه يهيئ الاستعدادت النفسية للانتباه"[٢].

ثانيا: المقررات الدراسية.

تعتبر المقررات الدراسية دعامة أساسية من دعامات المنهج، غير أن الاقتصار عليها في تحديد مفهوم المنهج أمر غير مقبول لأمرين أساسيين:

الأول: أن المدرسة لا تقدم لطلابها المقررات الدراسية فقط، وإنما تقدم أنشطة أخرى لا تقل أهمية عن تلك المقررات في تحقيق الأهداف التربوية، كالنشاط غير الصفي، والمكتبة المدرسية، والامتحانات، والإدارة المدرسية، والتوجيه التربوي، والإشراف الجماعي ...

الثاني: أن هذه الأنشطة التي تقدمها المدرسة تسهم مع المقررات الدراسية في تحقيق الأهداف التربوية[٣]. وهذا لا يعني انتقاصاً من أهميتها فهي خلاصة أفكار خبراء التربية والتعليم، وثمرة قيمة من ثمرات الخبرة البشرية وهي الأساس لكل تقدم ثقافي.

---

(١) يالجن، ١٤١٦هـ، ص ١٠٤.

(٢) يالجن، ١٤١٦هـ، ص٢٠٠.

(٣) الشافعي، الكثيري، علي، ١٤١٧هـ، ص٢٦ - ص٢٧.

وفيما يلي يحاول الباحث إيضاح المقصود بالمقررات الدراسية، ثم يشير إلى ما ينبغي مراعاته عند صياغة المقررات؛ حتى تؤدي وظيفتها في تكوين الانفتاح العقلي لدى المتعلم، ثم اقتراح للأساليب التي تساعد على الانفتاح من خلال المقررات الدراسية.

أ – **المقصود بالمقررات الدراسية** هي: "المواد التي تدرس للتلميذ داخل الفصل في مجالات من المعرفة المختلفة، يأخذها التلميذ؛ ليصل بها إلى مستوى ما، أو ليتخرج بها من المدرسة مثلاً"[1].

ومنهم من عرفها بأنها: تلك الكتب التي يعدها خبراء التربية والتعليم للمواد الدراسية، وتحت إشراف وزارات المعارف والتربية والتعليم وغيرها وتقوم بتوزيعها على الطلاب ليتم تدريسهم على ضوئها، وكذلك الكتب التي تقرر على الطلاب من غير مطبوعات الوزارة[2]. وهي بهذا تعتبر جزءاً من المنهج حسب مفهومه الواسع، والذي يشمل الكتب والمراجع والوسائل التعليمية، والنشاط الصفي، وأساليب التقويم وطرق التدريس، ونحو ذلك[3].

ولقد تقدمت التربية في بناء المقررات تقدما كبيراً، حتى أصبح بناؤها فناً هندسيا رائعا، يمارسه المتخصصون، ويخضعونه للتجربة والمراجعة المستمرة وذلك للحاجة الملحة إلى التطوير دائماً بما يساير العصر، ومتطلباته.

وبهذا فإن المقررات تشمل جميع التخصصات لتفي بحاجة الإنسان سواءً منها الدينية الخالصة، أم العلمية البحتة، أم التطبيقية أم الوجدانية، وفي التربية الإسلامية تشمل علوم الدين والدنيا، وذلك لكونها مستمدة من المصادر التالية:

١– الوحي الإلهي المنزل على الرسولﷺ المتمثل في القرآن والسنة.

---

(١) مجاور، الديب، ١٤٠٤هـ، ص١٠٨.

(٢) ابن جبار، ١٤١٩هـ، ص ١٣٦.

(٣) سرحان، ١٤٠٥هـ، ص١٦– ص١٨.

٢- العلم البشري المكتسب عن طريق النظر، والتأمل، والتفكر، والتدبر، وتحكيم العقل فيما لا يخالف النقل.

٣- تراث الإنسانية المطور المنقح، الخالي من التقليد الأعمى والجمود. وكلها تتعاون في مد الإنسان بالمعرفة في عالم الغيب، والشهادة، والوجدان معرفة متصلة، ومترابطة تلتقي على التصور الصحيح الشامل للإنسان والكون والحياة الدنيا والآخرة[1].

ولا يخفى على أحد قدر قوة المصادر التي تستقى منها المقررات، تكوّن قوة المقررات الدراسية أو ضعفها، ولاشك أنه لا يوجد مصادر لأي معرفة أقوى من مصادر الشريعة الإسلامية، فحينما تكتب المقررات الدراسية على ضوئها فإنها عندئذ تخاطب العقل والوجدان وتسعى إلى إرضائهما، فينتفع المتعلم بذلك، ويعتدل سلوكه، وتتهذب أخلاقه، ويتفتح عقله، وتنبني شخصيته بناءً سليماً شامخاً أمام عواصف الحياة ومغرياتها.

وهكذا نجد أن المقررات الدراسية وجدت لتؤدي الغرض المطلوب منها تجاه المتعلم، وتسهم في غرس الاتجاهات العلمية البناءة في شخصية المتعلم ومن ضمنها ذلك الاتجاه الجدير بالأهمية وهو الانفتاح العقلي.

ب- **أمور ينبغي مراعاتها عند صياغة المقررات الدراسية** : ولكي يؤدي المقرر الدراسي وظيفته في تكوين الانفتاح العقلي لدى المتعلم، فإنه لابد من مراعاة عدة أمور عند صياغة هذا المقرر وأخذ ذلك بعين الاعتبار:

١- أن تكون محققة للأهداف المنشودة، التي تعين الفرد المسلم على عبوديته لربه، والقيام بوظيفته في الحياة، وتعين المجتمع على أداء مهمته في نشر الخير وبناء حضارة إنسانية ،كما حدث للرعيل الأول.

٢- أن تكون المقررات وثيقة الصلة بحياة التلاميذ، ومستوياتهم الفكرية

---

(١) النجار، ١٤١٠ هـ، ص١٧٢.

ومطالب نموهم، وذلك لأن المدرسة مجتمع مصغر، فينبغي أن تخدم المجتمع الكبير فيخرج المتعلم إلى المجتمع وهو يجيد الاحتكاك والتفاعل معه، مع مراعاة السن والفروق الفردية.

٣- أن تفي المقررات بحاجة المجتمع، ومتطلباته، فالمجتمع هو المدرسة الكبرى ويحتاج من المدرسة الصغرى أن تعد له أفرادا صالحين، يتفاعلون معه، ويخدمونه، ويطورونه، ويسعون إلى رقيه، ورفع مستواه[١].

٤- أن تؤدي إلى اكتساب العادات الصالحة التي تساعد الطلبة على التكيف الإيجابي مع المجتمع وتؤهلهم لتحمل المسئولية، والاعتماد على النفس والتضحية في سبيل تحقيق الخير العام والاهتمام بمشكلات المجتمع والعمل على دراستها والمساهمة في حلها.

٥- أن تؤدي المقررات إلى تكوين الاتجاهات العقلية المرغوبة مثل القدرة على ربط الأسباب بالنتائج، والملاحظة الموضوعية، وعدم التحيز في الحكم، والاهتمام بالقيم الاجتماعية التي تتمشى مع العقيدة الإسلامية الصحيحة[٢].

٦- الشمول ؛ إذ يشترط في المقررات الدراسية أن تشتمل على العقائد والسلوك والعبادات، وكل ما ينفع الطالب في دنياه وأخراه، إضافة إلى مستويات المعرفة الأخرى ومنها:

أ- الحقائق: ويقصد بها حقائق معينة وصفية، مثل معرفة الجهاز الهضمي.

ب - مستوى الأفكار: وهي التي تبرز العلاقات السلبية بين الثقافة الإنسانية والبيئة الطبيعية، وهي تمثل بنية العملية التعليمية من حيث أنها تمكن التلميذ من تنظيم العلاقات بين الحقائق، وتوفر السياق الذي يتحقق فيه الاستبصار والفهم، وهو نوع من المعرفة يتسم بالحركة الفاعلة.

---

(١) ابن جبار، ١٤١٩هـ، ص١٣٩ .

(٢) جان، ١٤١٦ هـ، ص ١١٨ .

ج- مستوى المفاهيم: وهي انساق معقدة من الأفكار، وبالغة التجريد، ويمكن أن تتكون من خلالها خبرات متتابعة في سياقات متنوعة.

د- الأنساق: ويقع في هذا المستوى النظم الفكرية والطرائق البحثية التي تتألف من قضايا ومفاهيم توجه مسار البحث والتفكير[1].

٧- أن تخدم المقررات الدراسية البيئة وحاجاتها، وتتضمن البيئة بمفهومها الواسع ما يلي:

أ - المجتمع: ويتضمن البشر في إطار ما يربطهم من علاقات دينية، واجتماعية، واقتصادية، وسياسية، وأخلاقية، وغيرها.

ب - الثقافة: وهي الجانب الذي صنعه الإنسان من بيئة سواء أكان معنويا أو ماديا.

ج- المصادر الطبيعية: وتمثل جميع الظروف الطبيعية في البيئة من أرض، وبحار، وماء، شمس، وهواء، وحيوانات، ونباتات، وثروات طبيعية[2].

فإذا اشتملت المقررات الدراسية على البيئة بمفهومها الواسع وكذلك المستويات المادية إضافة إلى العقائد والسلوك والعبادات كانت مجدية ومؤثرة، وأدت رسالتها بنجاح، وبهذا تكون مقررات ناجحة محققة للأهداف المرسومة. معينة للمتعلم على الكيفية السليمة لاستغلال الثروات الطبيعية، وبناء حضارات إنسانية من جانب، ومعرفة بناء العلاقات مع الآخرين من جانب آخر.

وعليه يمكن للباحث أن يقترح بعض الأساليب المساعدة على الانفتاح العقلي من خلال المقررات الدراسية على النحو التالي:

١- إبراز الآراء المختلفة في بعض القضايا:

إن ما يراه المتعلم في حياته وأمام عينيه لا يكاد يتفق في بعض أحواله وإذا ما

---

(١) هندام، جابر، ١٩٧٨م، ص١٠٢.

(٢) سرحان، ١٤٠٥هـ، ص٥٣- ص٥٤.

رأى التلميذ الخلاف جاداً والصراع محتدماً بين الأفكار تجاه قضايا معينة بين مؤيد ومعارض ؛ فإن ذلك يؤدي إلى إحدى نتيجتين :

أولاهما : إصابة هذا المتعلم بالإحباط ، وعدم الثقة في الواقع الذي أمامه ، ومن ثم اللجوء إلى العزلة ورفض الدخول في الأمور الخلافية.

ثانيهما : محاولة الدخول في ثنايا تلك المسائل الخلافية ، والرغبة في الإسهام بوجهة النظر التي يراها.

أما النتيجة الأولى فهي مرفوضة نظرا لآثارها السلبية على شخصية المتعلم ، وأما النتيجة الأخرى فهي مطلب ضروري ، يتعود المتعلم من خلاله على الدخول في شتى مناحي الحوار والنقاش وإبداء الرأي واحترام الرأي الآخر وبالتالي الإسهام في تكوين العقلية الناضجة الواعية والمتفتحة ، التي تستطيع التعامل مع الحقائق والأفكار وفق أسس وضوابط محددة.

ونظراً لأهمية إبراز الآراء المختلفة داخل محتوى المقررات الدراسية فقد نادى بعض المربين بضرورة وجودها ، ومن ضمنهم «الرغبان، ١٤١٩هـ» الذي يرى أهمية الحرص على تربية الطلاب على أدب الخلاف ، واتساع الصدر في تقبل الرأي والرأي الآخر[١].

ويقول «بكار، ١٤٢٠هـ» : " يحتاج الطالب إلى دراسة مقرر ، يتناول شيئا من تاريخ التشريع وأسباب اختلاف الفقهاء ، ويتم التركيز فيه على الأسس الثقافية التي تمكن من إقامة علاقات الحوار والتعاون والتعايش وذلك من خلال كسر حدة العصبية المذهبية والحزبية ، واكتشاف آفاق جديدة للتعاذر والفهم الجيد لوجهات النظر المختلفة[٢]".

وقبل الانتهاء من مناقشة هذا الأسلوب ، يود الباحث أن يشير إلى أن المسائل الخلافية التي تثار داخل المقررات الدراسية مثل الفقه مثلا ينبغي أن تكون ملائمة لمستوى فهم الطالب وقدراته العقلية ، وتختار المرحلة المناسبة لإثارة أي قضية أو

---

(١)ص ٥٩.

(٢)ص٢٦٥.

مسألة خلافية، ولهذا فإنه لابد من مراعاة الدقة التامة عند طرق باب المسائل الخلافية، والبعد تماماً عن أي مسألة قد تورث التعصب في نفس الطالب، فالهدف من مناقشة بعض المسائل الخلافية هو تبصير الطالب بثراء مصادر الشريعة الإسلامية واستيعابها لكل قديم ومعاصر وما سوف يستجد بإذن الله .

٢- اشتمال المقررات الدراسية في محتواها على بعض المبادئ مثل :

- **الاجتهاد:** حيث يعد الاجتهاد مظهرا من مظاهر الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية كما سبقت الإشارة إليه في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

ولذلك ينبغي إدراجه ضمن المقررات الدراسية لتنمية الانفتاح العقلي في شخصية المتعلم، فهو بدوره يدفع المتعلمين من مجرد التقليد والتبعية إلى التفكير الاجتهادي القائم على أسس سليمة من أجل مواجهة قضايا العصر بروح الإنسان المسلم المعاصر.

إن رسم مناهج الاجتهاد بدقة من خلال التعرف الدقيق على مقاصد الشريعة الغراء، لتحريك الحياة والحضارة ومعالجة أمراضهما ومشاكلهما يعد من الوسائل المهمة في بناء العقلية المسلمة الواعية والمتفتحة، وعلى ضوئها ينتج علماً عملياً ننقل به العالم الإسلامي إلى ميدان الخبرة التقنية والإبداع العلمي[١].

- **الواقعية:** المقصود بها: " معرفة حقيقة ومقدرة الإنسان ومراعاتها عند تكليفه أو محاسبته[٢]".

إن معرفة المتعلم بالواقعية ضرورة ملزمة، لذلك ينبغي للمقررات الدراسية أن تتضمنها حتى لا تذهب بعقل المتعلم في غياهب المثالية والتجريد التي لا يمكن أن تفيده، ولا تربطه بالواقع المعاصر، بل إنها قد تأتي مخالفة تماماً لما هو موجود، فتسهم سلباً في تكوين شخصية محدودة الفكر، ضيقة الأفق، غير قادرة على مجابهة الواقع الذي يعايشه هذا المتعلم.

---

(١) عبد الحميد، ١٤١٦هـ، ص ١٨٤ .

(٢) خياط، ١٤١٦هـ، ص ٧٠ .

إن البعض من المعلمين أو المتعلمين قد يرتفع مستوى الحماسة لديه، ويرى أنه قادر على تحقيق ما يريد فيرسم لنفسه أهدافاً طموحة، ونظرة مثالية يصعب الوصول إليها. ومعرفته بحقيقته ومقدرته «الواقعية» يمنعه من ذلك وتعرفه بأن وضعه لأهداف تفوق قدراته أي أعلى من الوقع الذي يعيشه سيشعره بالفشل وضعف النتاج وطول الطريق، وحينها يدرك أهمية الواقعية في الأهداف والطموحات، ويرسم لنفسه أهدافاً تتسق مع الواقع ويمكن ترجمتها إلى واقع عملي[1].

- **شمولية النظر**: وهي صفة التوجه في النظر المعرفي إلى جميع مادة المعرفة، واستجماع المعطيات للقضايا المعينة التي يقصد العقل إلى كشف الحق فيها[2].

فالنظرة الشمولية تكون نظرة ثاقبة تأخذ بعقل المتعلم إلى التفكير الشامل بدلاً من التفكير الجزئي الذي يتمحور حول قضية معينة ويهمل بقية الجوانب الأساسية، وهي نظرة صاحب الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية.

- **الموضوعية**: ويقصد بها: التجرد من الأهواء الشخصية والبعد عن العوامل الذاتية ؛ فإذا كان العقل محجوبا بعوامل الهوى المختلفة فإنه يتوجه الوجهة التي ترتضيها الأهواء الذاتية، ويجعله يقرر الأحكام بحسب ما تطلبه الأهواء[3]. وهذا كله ذو مردود سلبي على عقل المتعلم. فيكون دائم التعصب لأفكاره، مقيدا بأهوائه الذاتية. وبالتالي فإن إدخال «الموضوعية» ضمن المقررات الدراسية وتأكيدها في نفوس المتعلمين يحميهم من ذلك كله، ويجعل منهم أفراداً قادرين على التعامل مع الآخرين بعيداً عن التعصب والأهواء الشخصية.

٣- صياغة المقررات على نحوٍ يرفع من درجة حساسية المتعلمين نحو الحلال والحرام ويبصرهم بالإنجازات الحضارية الإسلامية والتحديات التي تواجه أمة الإسلام في العصر الحديث، والإمكانات المتوفرة لها نظراً لأن بنيتنا

---

(١) الدويش، ١٤١٩هـ، ص ١٠٦.

(٢) النجار، ١٤١٣هـ، ص ٤٩.

(٣) النجار، ١٤١٣هـ، ص ٦٢.

الثقافية الإسلامية مهددة اليوم بالوافدات الأجنبية، مما يستلزم تركيزا جيدا على العلوم الشرعية والإنسانية[1].

وبهذا يكون أبناؤنا من أصحاب البصيرة الإيمانية التي تقيهم الزيغ عن الحق والبصيرة العلمية التي تستند على العلم والفهم المتمكن في المجال الذي سيتفاعل معه، ومن ذلك يتحقق الانفتاح العقلي في شخصية أبنائنا المتعلمين.

٤- صياغة مقررات معاصرة في طبيعة تصميمها، وفي نوعية الموضوعات التي تتناولها.

فنظراً للتغير السريع في كل شيء، ووجود العديد من المجالات والمسائل التي تتطلب معارف جديدة، ولاسيما في المجال الأخلاقي والإنساني ،وحاجة أبنائنا المتعلمين إلى تعلم كيفية اتخاذ القرارات الراشدة والمتعلقة بهم وكيفية التعامل مع المتغيرات، فإن الحاجة ماسة إلى صياغة مقررات معاصرة، إضافة إلى ذلك" إن زماننا هذا يتطلب جيلا يعرف خصوصيته الحضارية، ويتمتع بدرجة جيدة من العقلانية والمرونة إلى جانب النظرة البعيدة المدى والاستعداد للعمل ضمن فريق، وهذا هو المحك الحقيقي لفعالية أداء المناهج لوظيفتها التثقيفية والتربوية[2] .كما لا ننسى في مقام حديثنا عن صياغة مقررات معاصرة أن نشير إلى أن لكل مقرر أهدافا توضع منذ بداية تأليفه ولهذا ينبغي تقويم مدى تحقيق المقرر للأهداف المرجوة منه بين حين وآخر فإن تحققت كل الأهداف أو بعضها كان ذلك بمثابة الدافع القوي لاستمرار مفردات ذلك المقرر مع متابعتها بانتظام، وإن حصل العكس من ذلك فلابد من إعادة النظر في أسباب عدم تحقق الأهداف، وبالتالي إعادة بناء وصياغة تلك المقررات من جديد.

ثالثاً: النشاط المدرسي:

يعتبر النشاط المدرسي من أهم الوسائل التربوية التي تسهم في تربية الأبناء في

(١) بكار، ١٤٢٠هـ، ص ٤٤٣.

(٢) بكار، ١٤٢٠هـ، ص ٤٤٤.

جميع مراحل التعليم تربية متوازنة متكاملة روحاً، وجسماً، وعقلاً، لتنشئة الأجيال الصاعدة أقوياء أصحاء سعداء، مزودين بأسس اللياقة البدنية والنفسية والصحية والعقلية والاجتماعية، ليكونوا لبنات قوية في تحقيق تقدم ونهضة المجتمع. وكان بداية دخول هذا النشاط المدرسي بالولايات المتحدة على يد البرفوسور فرتويل، ومنها إلى مختلف دول العالم، وذلك بهدف محاربة الملل الذي يصيب التلاميذ من جراء الدراسة النظرية، وكان يطلق على هذا النوع من النشاط المدرسي «نشاط خارج المنهج» وكان هذا النشاط يغلب عليه الطابع الحركي، ثم اتسع مجال النشاط بعد ذلك، وأصبح يضم مناشط مختلفة، حتى صار ذا أهداف ثقافية واجتماعية ونفسية وروحية، وعندما تغير مفهوم المنهج من المقررات الدراسية إلى الحياة المدرسية بجميع مكوناتها، لم يعد هناك مكان للتحدث عن نشاط خارج المنهج فقط، بل أصبح النشاط ركيزة رئيسية من ركائز المنهج، مصاحباً له وفي خدمته، ويعتبر النشاط حالياً الدعامة الأساسية في التربية والتعليم، وذلك يقتضي منا الاهتمام والاعتناء به[١].

وفيما يلي يحاول الباحث إيضاح مفهوم النشاط المدرسي، وأهميته، وأهدافه وما ينبغي مراعاته عند تنفيذه، ثم دوره في تحقيق الانفتاح العقلي لدى المتعلم.

أ- مفهوم النشاط المدرسي:

عرفه القاموس التربوي على: " أنه يعتبر وسيلة وحافزاً لإثراء المنهج، وإضفاء الحيوية عليه، وذلك عن طريق تعامل التلاميذ مع البيئة وإدراكهم لمكوناتها المختلفة من طبيعية إلى مصادر إنسانية ومادية، بهدف اكتسابهم الخبرات الأولية التي تؤدي إلى تنمية معارفهم واتجاهاتهم وقيمهم بطريقة مباشرة[٢]. ويعرفه «اللقاني، ١٤١٥هـ» بأنه: " ذلك الجهد العقلي أو البدني الذي يبذله المتعلم من أجل بلوغ هدف ما[٣]. ويعلق على ذلك «هندي، عليان، ١٤١٦هـ» بقولهما: "

---

(١) عبد الوهاب، ١٤٠٧هـ، ص١٩- ص٢٠.
(٢) Good , ١٩٧٣ نقلاً عن عبد الوهاب، ١٤٠٧هـ، ص٢٠.
(٣)ص١٨٥.

ويشير هذا التعريف إلى أن النشاط له مضمون وله خطة يسير عليها وله هدف يسعى إلى تحقيقه، وهو بحاجة إلى تقويم لمعرفة مدى نجاحه في تحقيق الهدف المراد بلوغه وهذا يؤكد طبيعة العلاقة القائمة على التفاعل بينه وبين عناصر المنهج الأخرى وهي الأهداف والمحتوى والتقويم(١).

وجاء تعريف النشاط المدرسي في دليل النشاط المدرسي الذي أعدته الإدارة العامة للنشاط المدرسي بوزارة المعارف عام ١٤٠٦هـ بأنه" ذلك البرنامج الذي تنظمه المدرسة متكاملاً مع البرنامج التعليمي، والذي يقبل عليه الطلاب برغبتهم بحيث يحقق أهدافاً تربوية معينة، سواء ارتبطت هذه الأهداف بتعليم المواد الدراسية، في داخل الفصل أو بعد انتهاء الدراسة على أن يؤدي ذلك إلى نمو في خبرة الطالب، وتنمية هواياته وقدراته في الاتجاهات التربوية والاجتماعية المرغوبة(٢).

ب- أهمية النشاط المدرسي :

النشاط المدرسي يعد مكملا للبرنامج الدراسي، بل هو جزء أساسي منه ويسهم النشاط بدرجة كبيرة في إثراء المنهج، حيث يضفي حيوية على موضوعاته، ويسهم في تحقيق أهداف يعجز البرنامج الدراسي بمفرده عن تحقيقها(٣)، ويرجع ذلك لخصائص النشاط المدرسي التي لا تتوافر بنفس القدر لتعلم المواد الدراسية وذلك لأن الطالب عنصر فعال في اختيار نوع النشاط المدرسي الذي يشترك فيه، وفي وضع خطة العمل وتنفيذها. مما يجعل إقباله عليه متميزاً عن إقباله على المواد الدراسية. الأمر الذي يؤدي إلى تعلم أكثر اقتصاداً ودوماً، هذا بالإضافة إلى أنه يهيئ فرص تعلم المبادرة وتوجيه الذات(٤).

---

(١) ص ١١١ .

(٢) الشريف، ١٤٢٠هـ، ص٩ .

(٣) عطيفة، ١٤١٥هـ، ص ١٤٥

(٤) ريان، ١٩٩٥م، ص٧٥ .

عموماً يمكن حصر أهمية النشاط فيما يحققه من فوائد على النحو التالي :

١- يسهم كثيراً في تثبيت المفاهيم وإدراكها أثناء عملية التعلم .

٢- يتعلم التلاميذ عن طريقه تحمل المسئولية ، والعمل التعاوني بين أفراد الجماعة ، كما يتدربون عملياً على التحلي بروح الإيثار ، وإنكار الذات ، وما شابه ذلك من عادات سلوكية إيجابية تساعد التلميذ على تحقيق الانفتاح العقلي والاعتماد على النفس .

٣- يحقق النشاط الاستقلال والثقة بالنفس .

٤- يتعلم التلاميذ من خلال النشاط كثيراً من الصفات الاجتماعية المفيدة مثل : اكتساب القدرة على النقد البناء ، القدرة على مشاركة الجماعة في تحقيق أهدافها بنجاح ، القدرة على التعامل الإيجابي المتبادل مع أفراد الجماعة بروح طيبة .

٥- يحقق النشاط الحرية والاعتماد على النفس ، فمن خلال سيادة روح الاعتماد على النفس ، وتقسيم العمل بين أفراد الجماعة ، يتعلم التلاميذ كيف يناقشون بحرية ، كما يتدربون على التصرف والسلوك السوي للوصول إلى الأهداف المنشودة .

وهناك فوائد كثيرة يشعر بها كل من المعلم أو المتعلم أثناء ممارسة النشاط ، وخاصة الجوانب النفسية والروحية والإيجابية التي تتكون وتنمو وتتزايد مع تزايد الانغماس في النشاط ومتابعة السير فيه ، والنشاط بهذا يستطيع أن يسهم في تنمية التلميذ بدنياً وروحياً وفكرياً.

وهناك أمور ينبغي مراعاتها عند تنفيذ النشاط المدرسي :

١- محاولة إثارة شوق التلاميذ واهتمامهم بالنشاط.

٢- إعداد الأماكن والأدوات والأجهزة اللازمة المناسبة ، وتوفيرها قدر الإمكان حسب الظروف المتاحة.

٣- محاولة توجيه التلاميذ للنشاط وليس دفعهم إليه[1] .

٤- البعد عن الجانب النمطي الشكلي الذي درجت عليه كثير من المدارس، حيث رسخ في عقول الكثيرين أن النشاط مجرد عمل روتيني تخصص له حصة معينة في الجدول الدراسي، ويجتمع فيه المعلم مع الطلاب، ويكتبون محضراً باجتماعهم وهم في حقيقة الأمر ممن يفهمون هدف النشاط ومغزاه التربوي .. يقول «عطيفة، ١٤١٥هـ»: " إننا نستطيع أن نقرر بكل ثقة أن برامج الأنشطة غائب في مدارسنا في مجتمعاتنا الإسلامية، أو هو – على أحسن تقدير– محدود الفاعلية، فضلاً عن عدم توجيهه الوجهة الصحيحة التي تخدم بناء الشخصية المسلمة" ص ١٤٥. والواجب" أن يكون لدى المسؤولين عن التربية والتعليم عامة وعن إدارة المدرسة خاصة إيمان بأهمية منهج النشاط في العملية التربوية التعليمية السليمة يجعلهم يتحررون من النمطية المعقدة التي تعرقل سير هذا المنهج في اتجاهاته السليمة[2].

٥- التركيز على جوانب التفكير الإبداعي لدى المتعلم، وتشجيع الإبداع العلمي وتوفير المختبرات، ومعامل التجريب، مع السخاء في توفير المواد التي يحتاجها روادها والإعلان في المدرسة عن مسابقات للإبداع والابتكار، مع توفير جوائز قيمة وحوافز حقيقية للفائزين والمبدعين[3].

٦- أن يعمل كل مدرس مع مجموعة غير كبيرة من التلاميذ حتى يستطيع أن يعطي كل تلميذ منهم وقتاً كافياً لتوجيهه التوجيه المناسب الضروري، ووقتاً كافياً للإشراف على نشاطه إشرافاً سديداً[4].

---

(١) عبد الوهاب ١٤٠٧هـ، ص٢٣ .

(٢) إبراهيم، ١٩٨٤م، ص٥٢٤ .

(٣) أبو سمك، ١٤٢٠ هـ، ص ٢٢٦ .

(٤) إبراهيم، ١٩٨٤م ،ص٥٢٤ .

ج – أهداف النشاط المدرسي:

١- بناء شخصية التلميذ على أسس سليمة من الدين القويم.

٢- تعويد التلاميذ على مقابلة الجموع، وإبداء رأيه بحرية.

٣- تعويد التلاميذ وتربيتهم على العمل الجماعي، وحب الجماعة[١].

٤- تجديد النشاط للتعلم، فيرجع الطالب إلى دروسه وهو أشد انتباها وأكثر نشاطاً[٢].

٥- اكتشاف المواهب والقدرات والاستعدادت المختلفة لدى الطلاب، وصقلها وتطويرها، وتوجيهها الوجهة السليمة.

٦- تحويل الدراسات النظرية إلى خبرات عملية.

٧- ربط الطالب باحتياجات البيئة، وتوسيع معرفته بها.

٨- بث روح التنافس.

٩- تنمية الذوق المهني والإنتاجي[٣].

١٠- الارتباط الوثيق بتاريخ الأمة الإسلامية، وحضارتها والاقتداء بسيرة السلف الصالح[٤].

١١- تنمية الروح الرياضية واللياقة البدنية والحركية.

١٢- تعويد التلاميذ على الانتفاع بوقت فراغهم.

١٣- تأكيد وترسيخ المناهج الدراسية بشكل علمي وتطبيقي.

١٤- وسيلة لخلق الجيل الفاعل والمتفاعل مع البيئة التي يحياها.

١٥- احترام العمل وتقدير العاملين، وذلك من خلال الانخراط في جو العمل العلمي المدرسي.

---

(١) الفرج، ١٤١٦هـ، ص١٢٣ – ص١٢٤.

(٢) أبو سمك، ١٤٢٠ هـ، ص ٥٧.

(٣) الرغبان، ١٤١٩هـ، ص١٥.

(٤) الشريف، ١٤٢٠هـ، ص ١١.

١٦- تنمية جانب الإبداع والابتكار .

١٧- تحقيق أغراض التربية الحديثة القائمة على العلم والتكنولوجيا والهادفة إلى خلق المجتمع العلمي المبدع المنتج .

١٨- تربية التلاميذ على احترام الأنظمة والقوانين ، وإكسابهم القدرة على مناقشة الآراء دون تعصب ، وغيرها من المهارات اللازمة للمشاركة الإيجابية[(١)].

د- دور الأنشطة المدرسية في تكوين الانفتاح العقلي لدى المتعلم :

١- التسامح :

ويقصد به "قيمة تهدف إلى معاملة الآخرين بالرحمة والإحسان والعدل والحكمة وفق الضوابط الشرعية[(٢)] .

والأنشطة المدرسية تسهم في ترقية عقول المتعلمين ، وتدعوهم دائما إلى التقارب الفكري ، وتغرس في نفوسهم جانباً كبيراً من التسامح ، والتجاوز عن الأخطاء التي قد يقع فيها البعض من الطلاب ، وفي ذلك يقول «عبد الوهاب ، ١٤٠٧هـ» : " فيتاح الوقت الكافي من خلال النشاط المدرسي لتنمية الاتجاهات المرغوبة ... مثل القيادة ، والتعاون ، والتسامح ، والتحلي بروح الفريق والعمل الجماعي التعاوني ، وغير ذلك من صفات حميدة إيجابية[(٣)]. الأمر الذي حدا بهم إلى توسيع مداركهم وتفتح عقولهم ، وإكسابهم القدرة على مواجهة أمور أكبر ومشكلات أصعب تقتضي المرونة والتسامح.

٢- تبادل الأفكار :

الممارسة العملية للأنشطة المدرسية تؤدي إلى اجتماع العديد من الأفكار بين الطلاب ، حيث يدلي كل تلميذ بدلوه ، ويطرح كل طالب فكرته ، فيستفيد الطالب

---

(١) عبد الوهاب ، ١٤٠٧هـ ، ص ٤٢ – ص ٤٤ .

(٢) الحسين ، ١٤١٩هـ ، ص٢٧ .

(٣)ص٤٢.

من زميله فكرة، وينقل إليه فكرة، " إذ أن مجالات النشاط تتيح الفرصة للاستفادة من مجموع الخبرات التي يكتسبها التلميذ بطريقة عملية تؤدي إلى إدراك العلاقات التكاملية بينها وأثرها في الحياة العملية"[1] .

وبتبادل هذه الأفكار والخبرات ينشأ جيل علمي قادر على الحوار والتفاهم. بل قادر على تبادل الأفكار مع الآخرين، واحترامها، وقبولها، ومناقشتها دون تعصب.

٣- تعويد المتعلم على حب العمل الجماعي:

عندما يندمج المتعلم مع زملائه في جماعة النشاط، ويشعر بقوة الروح الجماعية، وقدرتها على القيام بأصعب الأعمال وبأقل المجهودات في وقت قصير وتكلفة محدودة. فإن إحساسه بالمسؤولية تجاه الجماعة يكبر وحبه للعمل الجماعي يقوى ويزداد، وبالتالي يتعود على ذلك، وفي المقابل يبدأ يتخلى تدريجياً عن فكرة «الفردية في العمل»، يقول «عطيفة، ١٤١٥هـ»: " ومثل هذه المشاركة تمكنه أيضاً من اكتساب صفات أخرى جيدة مثل: التحرر من الخرافات، ورفض الاتكالية، والتجريب، والتعاون ويقول أيضاً: " والحقيقة التي يجب أن نعيها جيداً أن الأنشطة المدرسية الصفية واللاصفية، تستطيع أن تسهم بدرجة كبيرة في تكوين الاتجاهات المرغوبة، وفي تعديل الاتجاهات والسلوكيات الحالية غير المرغوبة"[2] . ويؤكد «الكيلاني، ١٤١٨هـ» على أهمية العمل الجماعي وهيمنته على نشاطات الحياة الجارية ؛" لأن ردود الفعل التي يبديها الناس لمواجهة التحديات، وتلبية الحاجات في بيئتهم المحيطة، لا تكون فاعلة – مؤثرة – إلا إذا قامت على تنظيم الجهود واجتماعها، وحسن التنسيق بينها واختيار أحسن الوسائل والمؤسسات والنظم والأساليب ثم المضي في استعمالها وتعديلها وتقويمها انطلاقاً من وعي الجماعة بمتطلبات المواقف التي يمرون بها"[3] .

---

(١) عبد الوهاب، ١٤٠٧هـ، ص٤١ .

(٢) ص١٤٥.

(٣)ص٦٢.

٤- **إبعاد المتعلم عن العزلة الاجتماعية :**

كلنا يدرك خطورة انعزال المتعلم بأفكاره عن الآخرين، فهذه الأفكار قد تموت في مهدها إذا لم تجد الدعم والتشجيع والاندماج في روح الجماعة، وبدلاً من أن يبقى المتعلم في عزلة عن زملائه الطلاب عليه أن ينضم إليهم حتى يتعود على الخلطة بأفراد مجتمعه ،وذلك هدف من أهداف النشاط المدرسي.

يقول «عبد الوهاب، ١٤٠٧هـ» : " فخلال مواقف النشاط المدرسي يمكن معالجة بعض المشكلات النفسية والاجتماعية مثل الانطواء والخجل وحب العزلة. ويتم العلاج بطريقة عملية مثل تشجيع التلاميذ على التعامل مع زملائهم والاندماج معهم مما يساعدهم على التغلب على ما يعانون من مشكلات"[١] فيصبح فيما بعد مؤثراً ومتأثراً، يسهم بدرجة كبيرة في بناء مجتمعه ويسمح لنفسه وفكره أن ينضج ويتفتح ليأخذ ويعطي في جو اجتماعي بعيداً عن العزلة بنفسه وأفكاره عن الآخرين.

٥- **تنمية جانب الإبداع والابتكار :**

من ثمار النشاط المدرسي تنمية الجانب الإبداعي والابتكاري لدى المتعلم حيث تكون لدى بعض الطلاب قدرات ابتكارية عجيبة، فإذا لقيت بيئة علمية مناسبة، نبتت وآتت ثمارها كما ينبغي أن تكون، لاسيما إذا وجد المتعلم جماعة النشاط الملائمة لمستواه العقلي، واستعداده الفكري، وتلقي التوجيهات السديدة من معلمه المشرف على النشاط، فإن هذا المتعلم قد يكون في يوم من الأيام من المبدعين الذين يشار إليهم بالبنان، وهذا المبدع لم يصل إلى هذه الدرجة إلا بعد سلسلة من مراحل التفتح الذهني، والاستيعاب الفكري، والقدرة على التفاعل البناء مع متغيرات العصر ومتطلباته، والتمكن من اكتساب المرونة الفكرية اللازمة، حتى توصل في نهاية الأمر إلى عالم الإبداع والابتكار، الذي كان منطلقه الأول البيئة المدرسية، وتحديداً من خلال جماعة النشاط التي كان منصباً إليها، والنشاط" وسيلة من وسائل

---

(١) ص٤٢.

الإنتاج والخلق والإبداع والابتكار[1] ، ويشجع التلميذ على التعرف على الميادين الممكنة لإشباع++الميل المهني، وعلى التعرف على المهنة التي يشعر بالميل إليها أكثر من غيرها، وتتاح أمامه فرصة لتذوق هذه المهنة وممارستها في المستوى الذي يستطيعه، كما تتاح أمامه فرص لتنمية القدرة على الابتكار والإتقان[2] .

ومن ذلك يخلص الباحث إلى أن النشاط المدرسي يساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلمين من خلال :

تعويدهم على التسامح، وتدريبهم على تبادل الأفكار، وتعويدهم على حب العمل الجماعي، وإبعادهم عن العزلة الاجتماعية، وتنمية جانب الإبداع، والابتكار لديهم.

❖❖❖

(١) عبد الوهاب، ١٤٠٧هـ، ص٤٣

(٢) إبراهيم ، ١٩٨٤م، ص٥٢٣ .

خاتمة البحث

أولاً: النتائج .   ثانياً: التوصيات.

أولاً : النتائج.

يمكن إجمال النتائج التي انتهى إليها البحث في النقاط التالية :

١- أن العقل خلقه الله تعالى ليقوم بوظيفته التي خصه الخالق بها وفي الحدود التي حدها الشرع ، وإذا تعطل عمل العقل عن القيام بما أختصه الله تعالى به ، فيكون الجمود العقلي الذي تنطلق منه الانحرافات العقدية والتي يتفجر بها العقل فيكون أثرها التدميري ، والواجب وضع العقل في موضعه ، فلا جمود مع تحقير العقل وإهمال عمله ، ولا افتتان بالعقل إلى حد تأليهه.

٢- لا تعارض في الإسلام بين النقل الصحيح ، والعقل الصريح ، وإنما هما متعاضدان ، متكاملان ، ويبقى الوحي أكبر من العقل وأشمل ، وهو الأصل الذي يرجع إليه العقل ، والميزان الذي نختبر به مقررات العقل ، ومفهوماته ، وتصوراته ، وبه تصحح إخلالات العقل ، وانحرافاته.

٣- إن لفظ العقل لم يرد في القرآن الكريم بصيغة الاسم وإنما ورد بصيغة الفعل ، لكن وردت مرادفات له مثل : الألباب والنهى.

٤- العقل الذي يخاطبه القرآن هو العقل الواعي المتفتح الذي يدرك الحقائق ، ويميز بين الضار والنافع ، والخير والشر ، وهو العقل الذي يقابله الجمود ، والعنت ، والضلال.

٥- للانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة معالم أساسية تتمثل في :

أ- رفض الظن في موضع اليقين.

ب- عدم اتباع الهوى.

ج- رفض التقليد والجمود العقلي.

د- النظر العقلي.

هـ- الاعتماد على الدليل والبرهان .

٦- للانفتاح العقلي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أهمية تتمثل في :

أ- أنه يحقق للمسلمين بناء مجتمع متميز.

ب- أنه وسيلة للرقي العلمي والحضاري.

ج- أنه سبيل لبناء العادات الحسنة ، والتحرر من إسار التعصب ، والجمود.

د- أنه وسيلة للإقناع الإيماني.

٧- للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية أسس يقوم عليها :

أ- الإيمان بالله.

ب- الأمانة العلمية.

ج- التواضع.

د- الشعور بالمسئولية.

هـ- تعلم وتوظيف اللغات الأجنبية.

٨- للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية مظاهر تدل عليه منها : أ-

أ- سلامة العقيدة.

ب- مكانة العلم وقدره.

ج- رفض التعصب واتباع الهوى.

د- الاجتهاد.

هـ- التوسط والاعتدال.

و- قبول الحق من المخالفين.

٩- للانفتاح العقلي في التربية الإسلامية ضوابط تتحكم فيه منها : ما يتعلق بالشخص الذي يتصف بهذه الصفة :

أ- أن يكون صاحب عقيدة صحيحة ،ومنهج واضح ، راسخ في العلم ، قد امتزج نور الوحي بعقله ، وسمعه ، وبصره.

ب- أن يراعي توحيد الجهود المبذولة في التقبل من الآخرين.

ج- أن يتعامل مع الغرب من موقع العزة والاستعلاء بالإسلام.

د- أن يكون مدركاً لحقيقة علوم الآخرين، محيطا بأصولها، وأسسها التي بنيت عليها.

ومنها ما يتعلق بالشيء أو المادة المراد تقبلها من الآخرين:

أ- موافقة الأصول الإسلامية.

ب- الاعتماد على الحجة والبرهان.

ج- تحقيق المصلحة والمنفعة للمسلمين.

١٠- أبرز مظاهر الانفتاح العقلي عند المربين المسلمين الذين تناولهم الباحث بالدراسة في هذا البحث «عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الإمام الشافعي رحمه الله، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» هي:

أ- سلامة العقيدة.

ب- مكانة العلم وقدره.

ج- رفض التعصب واتباع الهوى.

د- الاجتهاد.

هـ- التوسط والاعتدال.

و- الشورى.

ز- بعد النظر.

ح- الانفتاح المنضبط على خبرات الآخرين.

ط- المجادلة بالتي هي أحسن.

ي- سبر غور علوم الآخرين.

١١- طريقة التدريس في التربية الإسلامية تعتني بمبدأ التكامل بين المعلم والمتعلم، فهي لا تغفل دور المتعلم بل ترى أن له كبير الأثر في طلب العلم والمعرفة كما أنها تهدف إلى جذب انتباه المتعلم حتى يستوعب ما يعطى له،

كما أنها تهتم بجميع جوانب شخصية المتعلم في تكامل واضح فتعمل على إيصاله إلى مرحلة التفتح الذهني ، والنضج العقل ، والوجداني ، والأخلاقي والاجتماعي ، ومن الأساليب التي تساعد على الانفتاح العقلي من خلالها :

أولاً : تشجيع التلاميذ على إبداء الرأي.

ثانياً : تشجيع التلاميذ على نقد الآراء.

ثالثاً : تعويد التلاميذ على النظر والتأمل في مخلوقات الله.

رابعاً : دلالة المتعلمين على مصادر المعرفة.

خامساً : تعويد المتعلمين على التعقل ، وضبط النفس.

سادساً : استخدام الأسلوب الحواري.

سابعاً : إثارة أذهان المتعلمين باستمرار.

١٢- تساعد المقررات الدراسية على الانفتاح العقلي من خلال الأساليب التالية :

أولاً : إبراز الآراء المختلفة في بعض القضايا.

ثانياً : اشتمال المقررات الدراسية في محتواها على بعض المبادئ مثل : الاجتهاد ، الواقعية ، شمولية النظر ، الموضوعية.

ثالثاً : صياغة المقررات على نحو يرفع من درجة حساسية المتعلمين نحو الحلال والحرام.

رابعاً : صياغة مقررات معاصرة في طبيعة تصميمها ، وفي نوعية الموضوعات التي تتناولها.

١٣- النشاط المدرسي يساعد على الانفتاح العقلي لدى المتعلمين من خلال : تعويدهم على التسامح ، وتدريبهم على تبادل الأفكار ، وتعويدهم على حب العمل الجماعي ، وإبعادهم عن العزلة الاجتماعية ، وتنمية جانب الإبداع والابتكار لديهم.

***

ثانياً: التوصيات

في ضوء ما تقدم يمكن اقتراح التوصيات التالية:

١- أن تتبنى الجهات القائمة على صياغة الأهداف التربوية تنمية الانفتاح العقلي وإعطاءه الأولوية وربطه بالغايات العليا المتعلقة بترسيخ الإيمان والعقيدة الصحيحة.

٢- أن يتم إبراز مفهوم الانفتاح العقلي في مختلف مستويات الأهداف التربوية لجميع المراحل الدراسية بشكل يتضح معه كيفية ترجمته إلى أهداف إجرائية وسلوكية.

٣- أن يتم تطوير برامج إعداد المعلم في الجامعات حتى تسهم في تخريج معلمين أكْفاء يستطيعون فهم المعارف المعاصرة ويقفون منها موقفاً إيجابياً، موقف النقد والتحليل في ضوء الكتاب والسنة، وهذا يستلزم إعداد المعلم في المجالات الآتية:

أ- الإعداد الإيماني الذي يكفل للمعلم التحلي بالأخلاق الفاضلة النابعة أساساً من العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ب- الإعداد الثقافي الذي يعطي المعلم قدراً كافياًمن الثقافة الإسلامية وقدراً ملائماً من الثقافة المعاصرة، حيث تمكن من خلالهما من التعامل الصحيح والتفاعل البناء مع متغيرات العصر ومستجداته.

ج- الإعداد التخصصي الذي يكفل للمعلم القدر المطلوب من التمكن في مجال تخصصه سواء كان هذا التخصص شرعياً، أو لغوياً، أو طبيعياً، أو اجتماعياً.

د- الإعدا التربوي الذي يمكن المعلم من انتهاج الأساليب التربوية التي تساعد على الانفتاح العقلي في التربية والتعليم سواء كان ذلك من خلال اختيار طرق

التدريس الملائمة، أو السير في المقررات الدراسية، او تنفيذ الأنشطة المدرسية. وعلى ضوء ذلك يتم إعداد المعلم بالمستوى المطلوب، حتى يؤدي رسالته المناطة به، بحيث يساهم في تنمية شخصية المتعلم، وتوسيع مداركه العقلية.

٤- أن يتوفر للمؤسسات التربوية المناخ اللازم الكفيل بتنمية الانفتاح العقلي لدى المتعلمين، من خلال التفاعل والمشاركة في إدارة شؤون المؤسسة وحل مشكلاتها والتشاور وتبادل الآراء، ومناقشة مشكلات المجتمع والأمة .

٥- أن تعمل المؤسسات التربوية على إيجاد برنامج تربوي منظم في شكل موضوعات ضمن المقررات الدراسية حيث يتم من خلالها توضيح أسس الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية وغرس ذلك في نفوس التلاميذ.

٦- أن يعاد النظر في أسلوب صياغة المقررات الدراسية في مختلف المراحل التعليمية لمحاولة تقديمها بشكل يتيح للتلاميذ فرصة أكبر للمشاركة والتفكير، والإبداع، والابتكار، ويمكنهم من توظيف المعلومات والمعارف التي يحصلون عليها في حياتهم العملية ومواجهة مشكلاتهم.

٧- التقبل والتفاعل مع الآخرين أمر ضروري للمسلمين ولذلك يوصي الباحث بتكليف فرق من المتخصصين للوقوف على المؤسسات التعليمية في كافة الدول وخاصة الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، لتزويد مراكز البحث والجامعات بتقارير عن النظم التعليمية لتلك البلاد، سواء من ناحية المنهاج أو الوسائل والتجهيزات أو المحتوى من الأنشطة والمقررات الدراسية ونحو ذلك من جوانب العملية التعليمية، وذلك للاستفادة من خبراتهم ؛ لتحسين وتطوير العملية التربوية والتعليمية. شريطة توفر ضوابط الانفتاح العقلي في التربية الإسلامية فيمن يقوم بتلك المهمة.

***

قائمة المراجع

قائمة المراجع :

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: المصادر .

أ- علوم القرآن الكريم .

١- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، د.ت، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر .

٢- أبو حيان، محمد بن يوسف، ١٤٠٣هـ، البحر المحيط، ط٢، بيروت، دار الفكر .

٣- الألوسي، السيد محمود، ١٤١٥هـ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية .

٤- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، ١٤١١هـ، تفسير القرآن العظيم، ط١، بيروت، دار الجيل .

٥- البغوي، الحسين بن مسعود، ١٤١٧هـ، تفسير البغوي معالم التنزيل، ط٤، الرياض، دار طيبة، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش .

٦- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي .

٧- البيضاوي، عبد الله بن عمر الشيرازي، ١٤٠٢هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر .

٨- الذهبي، محمد حسين، ١٤١٦ هـ، التفسير والمفسرون، ط ٦، القاهرة، مكتبة وهبة.

٩- الزمخشري ، محمود بن عمر ، د .ت ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي.

١٠- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، ١٤١٤هـ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عالم الكتب ، تحقيق محمد زهري النجار .

١١- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ١٣٨٧هـ ، الإتقان في علوم القرآن ، القاهرة ، مكتبة دار التراث .تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٢- الشوكاني ، محمد بن علي ، ١٤١٢هـ ، فتح القدير ، ط١ ، دمشق ، دار الخير .

١٣- القاسمي ، محمد جمال الدين ، ١٤١٥هـ ، محاسن التأويل ، ط١ ، بيروت ، دار إحياء التراث. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

١٤- القرطبي ، محمد بن أحمد ، ١٤١٣هـ ، الجامع لأحكام القرآن ، بيروت ، لبنان .

١٥- قطب ، سيد ، ١٤١٢هـ في ظلال القرآن ، ط ١٧ ، القاهرة ، دار الشروق.

١٦- القنوجي ، صديق بن حسن بن علي ، ١٤١٠هـ ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، بيروت ، المكتبة العصرية .

١٧- المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، د.ت ، فيض القدير ، بيروت ، دار المعرفة.

ب- السنة النبوية وعلومها .

١٨- أبو داود ، سليمان بن الأشعث ، د.ت ، سنن أبي داود ، بيروت ، دار الفكر .

١٩- الألباني ، محمد ناصر الدين ، ١٤٠٨هـ ، صحيح الجامع وزيادته ط٣ ، بيروت ، المكتب الإسلامي .

٢٠- الألباني ، محمد ناصر الدين ، د .ت ، سلسلة الأحاديث الصحيحة بيروت ، المكتب الإسلامي .

٢١- ابن أبي عاصم، عمر الحافظ عمرو ،١٤٠٠هـ، السنة، ط١ ، المكتب الإسلامي، تخريج وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني .

٢٢- ابن أنس، مالك، ١٩٩٤ م، الموطأ بروايةسويد بن سعيد الحدثاني، ط١ ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، دراسة وتحقيق: عبد المجيد تركي.

٢٣- ابن حجر، أحمد علي، ١٤٠٧هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط٣، القاهرة، دار المطبعة السلفية .

٢٤- ابن حنبل، أحمد بن محمد، د.ت، مسند الإمام أحمد، بيروت، دار الفكر.

٢٥- ابن رجب، عبد الرحمن بن شهاب الدين، ١٤٠٠هـ، جامع العلوم والحكم، ط٥، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني

٢٦- ابن ماجة، محمد بن يزيد، ١٤٠٥هـ، سنن ابن ماجة، د.ت، بيروت، دار الفكر.

٢٧- البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤١٩هـ، صحيح البخاري ، د.ت، بيت الأفكار الدوليّة .

٢٨- الترمذي، محمد بن عيس بن سورة، ١٤٠٨هـ، سنن الترمذي ط١، بيروت، دار الكتب العلمية. تحقيق: أحمد محمد شاكر .

٢٩- الحاكم، أبي عبد الله، د.ت، المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار المعرفة.

٣٠- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٤٠٩هـ، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، بيروت، دار الفكر، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف .

٣١- المباركفوري، محمد، د.ت، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ط ٣، بيروت، دار الفكر .

٣٢- مسلم، ابن الحجاج، ١٤١٦هـ، صحيح مسلم، ط١، بيروت دار ابن حزم.

٣٣- النسائي، أحمد بن شعيب، ١٤٠٩هـ، سنن النسائي، ط٢، بيروت، دار البشائر الإسلامية، اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه عبدالفتاح أبو غدة.

٣٤- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، د. ط بيروت، دار الكتب العلمية.

ثالثاً: المراجع:

٣٥- الأبراشي، محمد عطية، د.ت، روح التربية والتعليم، القاهرة مطبعة عيسى البابي الحلبي.

٣٦- إبراهيم، عبد اللطيف فؤاد، ١٩٨٤م، المناهج أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها، ط٦، القاهرة، مكتبة مصر.

٣٧- أبو العينين، علي خليل مصطفى، ١٩٨٨م، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، ط٣، السعودية.

٣٨- أبو العينين، علي خليل مصطفى، ١٤٠٩هـ، عمر بن الخطاب واهتماماته التربوية، مكتب التربية العربي لدول الخليج.

٣٩- أبو زهرة، محمد، ١٣٦٧هـ، الشافعي حياته وعصره -آراءه وفقهه، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي.

٤٠- أبو زهرة، محمد، د.ت، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي.

٤١- أبو زيد، بكر بن عبد الله، ١٤١٠هـ، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ط٢، داربن الجوزي.

٤٢- أبو سليمان، عبد الحميد، ١٤١٤هـ، أزمة العقل المسلم ط٣، الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

٤٣- أبو سمك، أحمد عبد العزيز، ١٤٢٠هـ، التربية الترويحية في الإسلام أحكامها وضوابطها الشرعية ،ط١، الأردن، دار النفائس.

٤٤- أبو غدة، عبد الفتاح، ١٤١٣هـ ، صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، ط٣، دمشق، دار القلم .

٤٥- أبو نعيم، أحمد بن عبدالله، د.ت، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتب العلمية .

٤٦- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم ،١٣٩٩هـ،كتاب الخراج، بيروت، دار المعرفة .

٤٧- الآجري، محمد بن الحسين ،١٤٢٠هـ ،كتاب الشريعة، ط٢، الرياض ،دار الوطن، تحقيق: عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي.

٤٨- أرسلان، الأمير شكيب، ١٤٠١هـ، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم القاهرة، المركز السلفي للكتاب.

٤٩- أسد، محمد، ١٤١٨هـ، الإسلام على مفترق الطرق، بيروت، دار الملايين، ترجمة عمر فروخ .

٥٠- الأشقر، عمر سليمان، ١٤١٨هـ، محاضرات إسلامية هادفة، ط١١، الأردن، دار النفائس.

٥١- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، ١٤١١هـ، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، ط١، الرياض، دار الراية، تحقيق: محمد المدخلي، ومحمد أبو رحيم.

٥٢- الأصفهاني، الراغب، ١٤١٨هـ، مفردات ألفاظ القرآن، ط٢، جدة، دار البشير.

٥٣- الأصفهاني، الراغب، د.ت، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين تحقيق: عبد المجيد النّجار .

٥٤- إقبال، محمد، ١٩٦٨م، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ط٢ القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٥٥- آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن، د.ت، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ط١، مكة المكرمة، المكتبة التجارية.

٥٦- آل منصور، صالح بن عبد العزيز، ١٤٠٥هـ، أصول الفقه وابن تيمية، ط٢، شبرا، مصر، دار النصر للطباعة الإسلامية.

٥٧- الأميري، أحمد البراء، ١٤١٩هـ، التفكير السديد طريقك إلى النجاح والتفوق، الرياض، دار الناس الدولي.

٥٨- الأنصاري، فريد، ١٤١٦هـ، التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، ط١، الدوحة، وزارة الشؤون الإسلامية، قطر، كتاب الأمة، العدد ٤٨ السنة الخامسة عشرة.

٥٩- ابن الجوزي، عبد الرحمن، ١٤١٧هـ، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، تحقيق: علي محمد عمر.

٦٠- ابن القيم، أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر، د.ت، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي، تحقيق: سيد كيلاني.

٦١- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ١٣٩٢هـ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت، دار الكتاب، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٦٢- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ١٤٠٦هـ، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط١٣ بيروت، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط.

٦٣- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ١٤١٨هـ، مفتاح دار السعادة، ط١، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز.

٦٤- ابن بدران، عبد القادر، د.ت، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ط١ دمشق، المكتبة العربية.

٦٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٣٩٦هـ، مجموع الفتاوى، ط٢، الرياض، دار الإفتاء والدعوة والإرشاد، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم العاصمي.

٦٦- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٣٩٦هـ، الرد على المنطقين، ط٢، الرياض، مكتبة الحرمين.

٦٧- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٣٩٩هـ، درء تعارض العقل والنقل، ط٢، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٦٨- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٤٠٤هـ، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، تحقيق: زهير الشاويش.

٦٩- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٤٠٩هـ، الاستقامة، ط٢ القاهرة، مكتبة السنة. تحقيق: محمد رشاد سالم.

٧٠- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٤٢٠هـ، التسعينية، ط١ الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان.

٧١- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، د.ت، منهاج السنة النبوية، بيروت، دار الكتب العلمية، وبهامشه الكتاب المسمى بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول.

٧٢- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ١٤١٧هـ، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ط٥، الرياض، مكتبة الرشد، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل.

٧٣- ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، د.ت، الوصية الكبرى، الطائف مكتبة الصديق تحقيق: عثمان ضميرية، محمد النمر.

٧٤- ابن حجر، أحمد بن علي، ١٣٢٨هـ، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، ط١، دار العلوم الحديثة.

٧٥- ابن حنبل، عبدالله، ١٤٠٦هـ، مسائل الإمام أحمد، ط١ المدينة المنورة، مكتبة الدار، تحقيق: علي سليمان المهنا.

٧٦- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ١٤١٩هـ، مقدمة ابن خلدون، ط١، بيروت، المكتبة العصرية، تحقيق: درويش الجويدي.

٧٧- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، ١٤١٨هـ، جامع بيان العلم وفضله، ط٣، الدمام، دار الجوزي، تحقيق: أبي الأشبال الزهري.

٧٨- ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد، د.ت، العقود الدرية في مناقب ابن تيمية، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٧٩- ابن عبد ربه، ١٤٠٤هـ، العقد الفريد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية تحقيق: عبد المجيد الترحيبي.

٨٠- ابن فارس، أبو الحسن أحمد، ١٤١١هـ، معجم مقاييس اللغة، ط١، بيروت، دار الجيل تحقيق عبد السلام محمد هارون.

٨١- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد، ١٣٨٩هـ، المغني، القاهرة، الفجالة الجديدة، مكتبة القاهرة، تحقيق: طه محمد الزيني.

٨٢- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء، د.ت، البداية والنهاية، القاهرة، دار أم القرى، تحقيق: أحمد أبو ملحم، علي نجيب عطوي، فؤاد السيد، مهدي ناصر الدين، علي عبد الساتر.

٨٣- ابن مانع، سعيد بن علي، ١٤١٢هـ، المسايرة والمغايرة، مكة المكرمة، مطابع الجامعة.

٨٤- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، د.ت، لسان العرب، ط١، بيروت دار صادر.
٨٥- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، بيروت، دار المعرفة، حققها وضبطها ووضع فهارسها : مصطفى السقا ابراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي.
٨٦- باقارش ،صالح سالم ،عبدالله علي الآنسي، ١٤١٥هـ، مشاهير الفكر التربوي عبر التاريخ، ط٢، مكة المكرمة، شركة مكة للطباعة والنشر.
٨٧- البرديسي، محمد زكريا، اصول الفقه، ط١، القاهرة، دار الثقافة للنشر التوزيع.
٨٨- البريكان، إبراهيم بن محمد، ١٤١٨هـ، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط٥، الخبر، دار السنة.
٨٩- البزار، عمر بن علي ،١٤٠٠هـ، الأعلام العلمية في مناقب ابن تيمية، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، تحقيق: زهير الشاويش.
٩٠- البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، ١٤١٧هـ، الفقيه - والمتفقه ط١ ،الرياض دار ابن الجوزي.
٩١- بكّار، عبد الكريم، ١٤١٧هـ، مقدمات للنهوض بالعمل الدّعوي، ط١، الرياض، دار المسلم.
٩٢- بكّار، عبد الكريم، ١٤١٨هـ، مدخل الى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ط١، الرياض، دار المسلم.
٩٣- بكّار، عبد الكريم، ١٤١٣هـ، فصول في التفكير الموضوعي ط١، دمشق دار القلم.
٩٤- بكّار، عبد الكريم، ١٤٢٠هـ، حول التربية والتعليم، ط١، الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع.

٩٥- البلاذري، أحمد بن يحيى البغدادي، ١٩٣٢هـ، فتوح البلدان، ط١، القاهرة، النهضة المصرية والتجارية.

٩٦- البيطار، محمد بهجة، ١٤٠٧هـ، حياة شيخ الإسلام بن تيمية، ط٣، المكتب الإسلامي.

٩٧- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، ١٤١٧هـ، مناقب الشافعي ط١، مجلس البنجري للتفقه في الدين.

٩٨- التبريزي، الخطيب، د.ت، الإكمال في أسماء الرجال، بيروت، المكتب الإسلامي.

٩٩- جان، محمد صالح بن علي، ١٤١٦هـ، المناهج بين الأصالة والتغريب، ط١، الطائف، دار الطرفين.

١٠٠- الجرجاني، علي بن محمد، ١٤١٨هـ، التعريفات، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي.

١٠١- الجليل، عبد العزيز بن ناصر، ١٤١٨هـ، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ط١، الرياض، دار طيبة.

١٠٢- الجمبلاطي، علي، التوانسي، أبو الفتوح، ١٩٧١م، الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية، القاهرة، دار نهضة مصر.

١٠٣- الجندي، أنور، ١٣٨٤هـ، ترشيد الفكر الإسلامي، القاهرة دارالاعتصام.

١٠٤- الجندي، أنور، ١٤٠٥هـ، شبهات في الفكر الإسلامي، نشر الاتحاد الطني لطلبة الإمارات.

١٠٥- الجوهري، محمود محمد خيال، ١٤٠٠ هـ، الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية، ط١، الإسكندرية، دار الدعوة للطبع والنشر.

١٧١- الطنطاوي ،علي، الطنطاوي ،ناجي ،١٤٠٣ هـ، أخبار عمر وأخبار عبدالله بن عمر، ط٨، بيروت، المكتب الإسلامي .

١٧٢- العبد، عبد اللطيف محمد، ١٤٠٢هـ، تأملات في الفكر الإسلامي، د.ت، مكتبة النهضة المصرية .

١٧٣- عبد الباقي، محمد فؤاد، ١٤٠٨ هـ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٢، القاهرة، دار الحديث .

١٧٤- عبد الحميد، جابر و أحمد خيري، ١٩٩٠ م، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة، دار النهضة العربية .

١٧٥- عبد الحميد، محسن عبد الحميد، ١٤١٦هـ، تجديد الفكر الإسلامي، ط١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٧٦- عبد الخالق، عبد الرحمن، ١٤٠٥هـ، السلفيون والأئمة الأربعة ط٣، الكويت، الدار السلفية .

١٧٧- عبد الله، عبد الرحمن صالح، ١٤٠٦هـ، ابن الجوزي وتربية العقل ، مكة المكرمة .

١٧٨- عبد الله، عبد الرحمن صالح، ١٤٠٦هـ، المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية ،الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

١٧٩- عبد الوهاب، محمد، د.ت، مختصر سيرة الرسول ﷺ، مكة المكرمة، المكتبة التجارية .

١٨٠- عبد الوهاب، جلال، ١٤٠٧هـ، النشاط المدرسي، مفاهيمه، ومجالاته، وبحوثه، ط٢ الكويت، مكتبة الفلاح .

١٨١- عبيدات، ذوقان وآخرون، ١٩٩٦م، البحث العلمي. مفهومه. أدواته. أساليبه، ط٣، الرياض، دار أسامة .

١٨٢- عـريفج، سـامي وآخـرون، ١٤١٩هـ، في منـاهج البحـث العلمـي وأساليبه، ط٢، عمان، دار مجد لاوي.

١٨٣- العساف، صالح بن حمد، ١٤١٦هـ، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

١٨٤- عصر، حسني عبد الباري، ١٩٩٩م، مداخل تعليم التفكير وإثراؤه في المنهج المدرسي، الإسكندرية، المكتب العربي الحديث.

١٨٥- عطيفة، حمدي أبـو الفتـوح، ١٤١٥هـ، التربيـة وتنميـة الاتجاهـات العلمية من المنظور الإسلامي، ط١، المنصورة، دار الوفاء.

١٨٦- العقـاد، عبـاس محمـود، د.ت، الإنسـان في القـرآن الكـريم، بـيروت منشورات المكتبة العصرية .

١٨٧- العقاد، عباس محمود، د.ت، التفكير فريضة إسلامية، بيروت المكتبة العصرية.

١٨٨- العقـاد، عبـاس محمـود، د.ت، مجموعـة العبقريـات الإسـلامية كاملـة بيروت، المكتبة العصرية .

١٨٩- العقل، ناصر بن عبد الكريم، ١٤١٢هـ، مباحث عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها ط١، الرياض، دار الوطن للنشر.

١٩٠- العلـواني، طـه جـابر، ١٤١٤هـ، الأزمـة الفكريـة المعاصـرة، ط٤، الرياض الدار العالمية للكتاب الإسلامية.

١٩١- علي، سعيد إسماعيل، ١٤١٢هـ، الأصول الإسلامية للتربية ط٣، القاهرة، دار الفكر العربي.

١٩٢- العـودة، سـلمان بـن فهـد، ١٤١٢هـ، ضوابط للدراسات الفقهية ط١، الرياض، دار الوطن للنشر.

١٩٣- الغزالي، أبو حامد محمد بن أحمد، إحياء علوم الدين ، القاهرة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني .

١٩٤- الغزالي، محمد ،١٤١٦ هـ، خلق المسلم، ط ١٢ ، جدة، دار البشير .

١٩٥- غنيمة، محمد عبد الرحيم، ١٩٥٣م، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان، دار الطباعة المغربية .

١٩٦- الفرج، عبد الرحمن بن مبارك، ١٤١٦هـ، أساليب وطرق تدريس مواد التربية الإسلامية، ط٢، مكتبة دار الحميضي .

١٩٧- فروخ، عمر ،١٤١١هـ، ابن تيمية المجتهد بين أحكام الفقهاء وحاجات المجتمع، ط١، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر .

١٩٨- الفنيش، أحمد علي، ١٩٩٢م، التربية الاستقصائية، ط٢، طرابلس، الهيئة القومية للبحث العلمي .

١٩٩- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، ١٤١٦هـ، القاموس المحيط، ط٥، بيروت، مؤسسة الرسالة .

٢٠٠- الفيومي، أحمد بن علي، ١٩٨٧م، المصباح المنير، بيروت، لبنان.

٢٠١- القرضاوي، يوسف، ١٤١٢هـ، الصحوة الإسلام بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٢٠٢- القرضاوي، يوسف، ١٤١٤هـ، الثقافة العربية والإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ط ١، القاهرة، مكتبة وهبة .

٢٠٣- القرضاوي، يوسف، ١٤١٦هـ، العقل والعلم في القرآن الكريم ط ١، القاهرة، مكتبة وهبة .

٢٠٤- القرضاوي، يوسف، ١٤١٦هـ، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة .

٢٠٥- القرضاوي، يوسف، د.ت، الرسول والعلم، دار الصحوة .
٢٠٦- القطان، مناع خليل، ١٤١٧هـ، تاريخ التشريع الإسلامي ط١٤، بيروت مؤسسة الرسالة.
٢٠٧- قطب، محمد، ١٤١٠هـ، واقعنا المعاصر، ط٣، جدة، مكتبة الصحابة.
٢٠٨- قطب، سيد، ١٤١٣هـ، خصائص التصور الإسلامي، ط١٣، القاهرة، دار الشروق .
٢٠٩- قطب، محمد، ١٤١٢هـ، قبسات من الرسول، ط١١، القاهرة، دار الشروق .
٢١٠- قلعة جي، محمد رواس، ١٤١٨هـ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ط٢، بيروت، دار النفائس.
٢١١- كرزون، أنس أحمد، ١٤٢٠هـ، التخلف العلمي في واقع المسلمين المعاصر بيروت، دار ابن حزم.
٢١٢- الكرمي، سعيد حسين، د.ت، قول على قول، بيروت، دار لبنان.
٢١٣- الكروي، إبراهيم سلمان، شرف الدين، عبد التواب، ١٤٠٤هـ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، الكويت، منشورات ذات السلاسل .
٢١٤- كمال الدين، خوجة، د.ت، المثل العلى في الأنبياء ، دار الفكر المعاصر.
٢١٥- كوفي، ستيفن، ١٩٩٥م، العادات السبع للقادة الإداريين، ط١ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ترجمة: هشام عبدالله.
٢١٦- الكيلاني، ماجد عرسان، ١٤٠٧هـ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط٣، دمشق، بيروت، دار ابن كثير.
٢١٧- الكيلاني، ماجد عرسان، ١٤١٨هـ، التربية والتجديد وتنمية الفاعلية عند المسلم المعاصر، ط١، بيروت، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١٨- الكيلاني، ماجد عرسان، ١٤٠٧هـ، الفكر التربوي عند ابن تيمية، ط٢، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث .

٢١٩- اللقاني، أحمد حسين، ١٤١٥هـ، المنهج. الأسس، المكونات، التنظيمات، ط١، القاهرة، مكتبة عالم الكتب .

٢٢٠- الماص، بدر عبد الرزاق، ١٤١٨هـ، أخلاق المسلم وآدابه، ط١، الكويت، مكتبة الفلاح .

٢٢١- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، ١٤٠٥هـ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية .

٢٢٢- المبارك، محمد، ١٣٩٨ هـ، الإسلام والفكر العلمي، ط١ بيروت، دار الفكر .

٢٢٣- المباركفوري، صفي الرحمن، ١٤٠٠هـ، الرحيق المختوم، ط١ دار مكتبة وليد الكعبة .

٢٢٤- مجاور، محمد صلاح الدين، الديب، فتحي عبد المقصود، ١٤٠٤هـ، المنهج المدرسي، أسسه وتطبيقاته التربوية، ط٦، الكويت، دار القلم .

٢٢٥- المحاسبي، الحارث بن أسد، ١٣٩٨هـ، مائية العقل وفهم القرآن ط٢، بيروت، دار الفكر، تحقيق: حسين القوّتلي .

٢٢٦- المحاسبي، الحارث بن اسد، د.ت، آداب النفوس، القاهرة. دار الثقافة، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .

٢٢٧- محمود، عبد القادر، ١٩٧١م، الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث، جامعة الخرطوم، جمهورية السودان المطبعة الحكومية، الخرطوم .

٢٢٨- محمود، علي عبد الحليم، ١٤١٢هـ، تربية الناشئ المسلم، ط١ المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر .

٢٢٩- مرسي، محروس سيد، ١٩٨٨م، التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، القاهرة دار المعارف .

٢٣٠- مصطفى، إبراهيم، أحمد حسن، حامد عبد القادر، محمد علي، ١٣٩٢هـ، المعجم الوسيط، ط٢، استنبول، المكتبة الإسلامية.

٢٣١- مطاوع، إبراهيم، واصف، واصف عزيز، ١٤٠٦هـ، التربية العملية وأسس طرق التدريس، بيروت، دار النهضة العربية .

٢٣٢- المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن، ١٤٠٨هـ، مختصر منهاج القاصدين، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، خرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله الليثي الأنصاري .

٢٣٣- الملقي، هيام، ١٤١٥هـ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري ط١، الرياض، دار الشرق.

٢٣٤- ملك، بدر محمد، أبوطالب، خليل محمد، ١٤٠٩هـ، السبق التربوي في فكر الشافعي، ط١، الكويت، مكتبة المنارة الإسلامية.

٢٣٥- المناوي، محمد عبد الرؤوف، ١٤١٠، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، بيروت، دار الفكر، تحقيق: محمد رضوان الداية .

٢٣٦- المودودي، أبو الأعلى، د.ت، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. دار الخلافة للطباعة والنشر .

٢٣٧- المودودي، أبو الأعلى، ١٣٩٧هـ، نظام الحياة في الإسلام، الكويت، دار القرآن الكريم .

٢٣٨- الموسوعة العربية العالمية، ١٤١٦هـ، مجلد١٤، ط١، الرياض مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .

٢٣٩- الميداني، عبد الرحمن حبنكة ، ١٤١٨هـ، الحضارة الإسلامية، ط١ ، دمشق، دار القلم.

٢٤٠- الميداني، عبد الرحمن حبنكة، ١٤٠٨هـ، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط٣، دمشق دار العلم .

٢٤١- الميداني، عبد الرحمن حسن، ١٣٩٩هـ، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢، بيروت، دار الأرقم .

٢٤٢- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، ١٤٠٣هـ، بصائر للمسلم المعاصر، ط١، دمشق، دار القلم .

٢٤٣- الميداني، عبدالرحمن حسن، ١٤١٨هـ، الحضارة الإسلامية، ط١ دمشق، دار القلم .

٢٤٤- النجار، زغلول راغب، ١٤١٠هـ، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢٤٥- النجار، عبد المجيد، ١٤١٣هـ، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢٤٦- الندوي، أبو الحسن، ١٤٠٣هـ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط٤، الكويت، دار القلم .

٢٤٧- نصر، محمد موسى، ١٤١٣هـ، منزلة العقل في الإسلام، ط١ المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية .

٢٤٨- النقيب، عبدالرحمن، ١٩٩٦هـ، مشروع منهجية البحث في التربية الإسلامية «رؤية مغايرة» .

٢٤٩- هازيلت، هنري، د. ت، التفكير علم وفن، مكتبة الأنجلو المصرية، ترجمة حامد العبد .

٢٥٠- هراس، محمد خليل، ١٤٠٥ هـ، باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي، ط٢، طنطا، مكتبة الصحابة .

٢٥١- هندام، يحي، جابر، جابر عبد الحميد، ١٩٧٨م، المناهج أسسها، تخطيطها - تقويمها. ط٣، القاهرة، دار النهضة العربية.

٢٥٢- هندي، صالح، تعليان، هشام، ١٤١٦هـ، دراسات في المناهج والأساليب العامة، ط٦، عمان، دار الفكر .

٢٥٣- الوكيل، حلمي أحمد، المفتي، محمد أمين، ١٩٨٠م، أسس بناء المناهج وتنظيماتها .

٢٥٤- الوكيل، محمد السيد، ١٤٠٦هـ، الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه ط١، جدة، دار المجتمع .

٢٥٥- الياسين، جاسم بن محمد بن مهلهل، ١٤١٧هـ، رسائل شباب الدعوة، الكويت، مؤسسة الكلمة للنشر والتوزيع .

٢٥٦- يالجن، مقداد، ١٤١٦هـ، أخلاقيات المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية وآدابها، الدار الصولنية للنشر .

٢٥٧- يالجن، مقداد، ١٤١٦هـ، توجيه المتعلم إلى منهاج التعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، ط٢، الرياض، مكتبة العبيكان.

رابعاً: الرسائل العلمية :

٢٥٨- أمير، جابر إدريس علي، ١٤١٩هـ، منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة، رسالة دكتوراه - منشورة من قسم العقيدة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٥٩- ابن جبار، سالم بن سعيد بن مسفر، ١٤١٩هـ، الإقناع في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير - منشورة مقدمة من قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٢٦٠- التويم، خالد محمد، ١٤١٧هـ، التبعيّة الفكرية في مجال التربية

وعلاجها من منظور إسلامي رسالة دكتوراه - غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى.

٢٦١- الجمال ، حمدبن صادق، ١٤١٤هـ، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، رسالة دكتوراه - منشورة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

٢٦٢- حسن، عثمان بن علي، ١٤١٨هـ، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، رسالة ماجستير - منشورة مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

٢٦٣- الحسين، عبد اللطيف إبراهيم، ١٤١٩هـ، تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، رسالة ماجستير - منشورة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

٢٦٤- الحليبي، أحمد عبد العزيز، ١٤١٩ هـ، ثقافة الطفل المسلم، رسالة ماجستير - منشورة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

٢٦٥- الحليبي، احمد بن عبد العزيز بن محمد، ١٤١٧هـ، المسئولية الخلقية والجزاء عليها، رسالة دكتوراه - منشورة مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

٢٦٦- داود ، منى عبد الله حسن، ١٤١٣هـ، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة ماجستير - منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية بجامعة اليرموك.

٢٦٧- الشريف، نايف بن حامد، ١٤١١هـ، التربية الإسلامية وقضية التفكير العلمي رسالة دكتوراه - غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى. مكة المكرمة .

٢٦٨- الصوفي، حمدان عبدالله، ١٤١٦هـ، مفهوم الأصالة والمعاصرة وتطبيقاته في التربية الإسلامية رسالة دكتوراه - غير منشورة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى. مكة المكرمة .

٢٦٩- العريفي، سعود بن عبد العزيز، ١٤١٩هـ، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، رسالة ماجستير - منشورة مقدمة إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى. مكة المكرمة.

٢٧٠- القرني، عبد الله محمد، ١٤١٩هـ، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، رسالة دكتوراه - منشورة مقدمة إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى. مكة المكرمة .

٢٧١- ميمني، هدى عبد الرحيم، ١٤٠٦هـ، التربية العقلية في القرآن الكريم - رسالة ماجستير - غير منشورة، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى .مكة المكرمة .

خامساً: الندوات والمحاضرات :

٢٧٢- البستوي، عبد العليم عبد العظيم، ١٤١٨هـ، شيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه في الدعوة الإسلامية، ط٢، بحوث الندوة العالمية عن شيخ الإسلام ابن تيمية وأعماله الخالدة، الرياض، دار الصميعي .

٢٧٣- الشريف، مدني بن عامر، ١٤٢٠هـ، المراد من دورات تدريب الرواد، مجموعة محاضرات ألقيت في إدارة التعليم«قسم النشاط» بمحافظة القنفذة التعليمية .

٢٧٤- الطماوي، سليمان بن محمد، ١٤٠١هـ، الفكر الحضاري لدى عمر بن الخطاب في أصول السياسة والإدارة الحديثة، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

سادساً: الدوريات:

٢٧٥- الحميدان، عاصم بن عبد المحسن، ١٤١٨هـ، العبادة المهجورة، مجلة الإعجاز، العدد الثالث ربيع الثاني مجلة علمية متخصصة تصدرها هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢٧٦- الشرقاوي، محمود، ١٤١٦هـ الإسلام وأثره في الثقافة العالمية، دعوة الحق، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، ربيع الآخر، العدد ١٦٠، السنة الرابعة عشرة.

٢٧٧- صابر، حلمي عبد المنعم، ١٤١٨هـ، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، دعوة الحق، كتاب يصدر عن رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة، العدد ١٨٣ .

٢٧٨- ضميرية، عثمان جمعة، ١٤١٦هـ، دور العقل ومكانته، العدد ٤٦، مجلة البحوث الإسلامية ، مجلة دورية تصدر عن رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٢٧٩- عبد الحميد، محسن عبد الحميد، ١٤٠٥هـ، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة كتاب الأمة، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ة العدد رقم ٦ .

٢٨٠- العدوي، محمد عبد العليم، د.ت، الداعية المجاهد شيخ الإسلام ابن تيمية، مجلة الدعوة الإسلامية، م٨.

٢٨١- العزب، محمد أحمد، تأملات في تكوين الشخصية الإسلامية، مجلة المنار، السنة الأولى، العدد الرابع ،الإمارات العربية المتحدة.

٢٨٢- فهمي، أحمد، ١٤٢٠هـ، صفات المربي، مجلة البيان، العدد ١٤٣، مجلة إسلامية شهرية جامعة تصدر عن المنتدى الإسلامي.